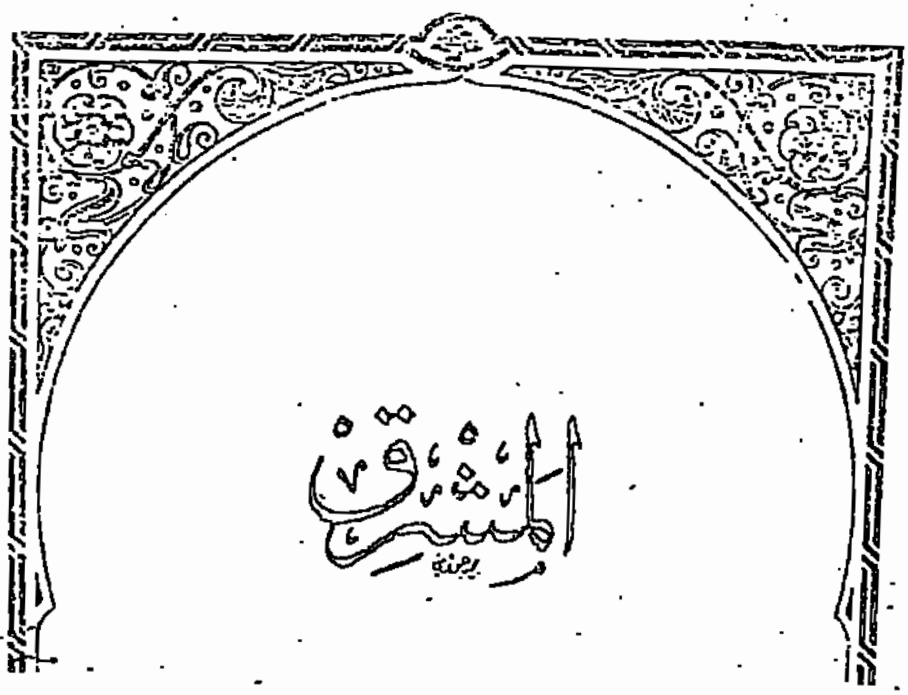

السنة الثالثة والاربعون — كانون الثاني — اذار ١٩٦٩

من الخزانة الشرقية — بقلم حبيب زيات

النساء الفرنجيات

في عهد الصليبيين

من احق ما يؤخذ على المؤرخين الاوربيين ، في ما دوّنوه من اخبار الصليبيين ، أنهم اجتزأوا منها برواية الوقائع والانباء التي كانت تذهب بالممالك والنفوس والاموال ، وزهدوا في كل ما عداها من اوصاف الاعداء في اوقات السلم . فالناظر اليوم في كتبهم لا يكاد يدري ، في ما عدا الحروب والملاحم ، شيئاً يُذكر من جوار الفرنج لاهل البلاد ، وتأثير فريق منهم في الآخر في وجوه المعيشة والمجتمعات والابنية والمساكن والمآكل والمشارب واللهجات واللغات والصناعة والزراعة ، الّا بعض اشارات يسيرة ونكات معدودة وردت عرضاً في حكايات بعض المعاصرين ، نظير ابن جبير في رحلته ، والامير اسامة بن منقذ في كتابه « الاعتبار » .

وقد اقتصر الامير اسامة على ذكر بعض النساء الصليبيات مما لا يجمل ايراده ، ولم يتعرض ، مع كثرة من رآه منهن ، لوصف جانب مما انفردن به من خلق وخلق ، وأغرين فيه من هيئة وشارة . ولا شك انه ، لو كانت سلمت لنا دواوين الشعراء الذين ساكنوا الصليبيين وخالطوهم في كل عذه الحقبة الطويلة ، وقرب منا متناولها ، لوجدنا في بعض قصائدهم وابياتهم نتفاً من اوصاف ذلك العصر تكشف عما كان فيه من حضارة وفن ومصطلح وزي .

واوحد من وقع الينا بعض شعره ، وانفرد فيه بذكر النساء الفرنجيات ، ابو عبدالله محمد بن نصر القيسراني المكاوي . وقد وقفنا على جزء منه سماه «الغربيات» في ديوان اختاره بنفسه من نظمه محفوظ في دار الكتب المصرية ، وسيأتي وصف هذا الديوان فيما بعد ، حرصنا فيه على نقل كل ما رواه من هذه الغربيات . ولم يقتصر فيها على وصف الغواني الفرنجيات في الطرقات وطاقات المنازل ، بل الم من اجلهن بالبيع والكنائس كعادة اضرابه في ديار الاسلام من طروق الاديار والمعابد ، ايام الآحاد والاعياد ، لاجتلاء ما فيها من الوجوه الحسان . وكان في انطاكية عدة كنائس منها كنيسة السيدة لنصارى انطاكية خاصة دون الافرنج ، وكنيسة بولس للافرنج خاصة ، وكنيسة اشوتيث للغربية (كذا) ، وكنيسة القسيان (القديس بطرس) ، وهيكل المكشوف ولا ندري لمن هو ، وتنزل بكل من شاهده فيهن :

من كل بيضاء مسيحية ... ما عندها البدر بموصوف

ولما طاف المدينة أعجب بما عاينه فيها من القصور الفخمة الشاهقة والابنية الحسنة والمنازل المزخرفة ، وشاهد في كل شباك منها مليحة سافرة تطل بوجه يرقمه الحياء :

ترى قصوراً كأنها يمم ... ناطقة في خلالها الصورُ
حالات طاقاتهن آهلة ... يبسم في كل حالة قمرُ
سوافر كلما نشرن بنا ... برقعهن الحياء والخفرُ

ووصف بعضهن بسواد الشعر وطول الضفائر ، ولا شك انهن كن رومیات لان الفرنجيات اكثر ما يذكرن عادة بزرقة العيون كقوله يشبب باحداهن :

لقد فتنتني فرنجيةٌ نسيم العبير بها يعبقُ
ففي ثوبها غصن ناعمٌ وفي تاجها قمر مشرقُ
وان تكُ في عينها زرقة فان سنان القنا ازرقُ

يريد بالتاج ما كانت تعقده من غدائرها فوق رأسها . وكان لهنّ تحت هذا التاج طُرر يصففنها فوق الجبين ، واصداغ يُرسلنها من جانبي الخدين كالزرقين اي كالحلقة . وكان هذا التاج عامًّا فيما يظهر للفرنجيات والروميات كما يؤخذ من قوله :

وسبتني لها ذوائبُ شعرٍ عقدتها تاجًا على ابرواز
من معيني على بنات بني الاصفر غرًّا فانني اليوم غارِ

يريد بابرواز الملك كسرى ابرويز . وكان لنساء الروم والفرنج ولعٌ خاص وعناية غالية بالتفنّن والتزيّن بالشعور :

سمنَ بين سكنٍ يوت شعر فابرزنَ المحاسن في الشعورِ
وامرجن النواظر في وجوهٍ مترّعة الخدود عن الخدورِ
تريك الحسن غير مبرقعاتٍ الا ما في البراقع من غرورِ
فلو خادعتَ طرفك لم تعرّج بسه الّا على قمر منيرِ
فدعني من منازلة البوادي فلي شغل بسكان القصورِ

ووصف في كنيسة القسيان راهبة حسناء رومية قصيرة الزنار طويلة حبل العاتق متشحة بالسواد ، تحكي ثيابها غدائرها باللون ، اذا صحّ انه كان لها غدائر فقال فيها :

كمْ بالكنائس من مثلثة مثل الهاة يزينها الخفرُ
من كل ساجدة لصورتها لو انصفت سجدت لها الصورُ
قدّيسة في حبل عاتقها طول ، وفي زنارها قصرُ
غرس الحياء بصحن وجنتها وردًا سقى اغصانه النظرُ
وتكلمت عنه الجفون ، فلو حاورتها لاجابك الحورُ
وحكت مدارعها غدائرها فكأنما ضفي ليله بقرُ

وكانت انطاكية قديمًا موصوفة بالنزاهة والحسن وطيب الهواء وعذوبة الماء وكثرة الفواكه وسعة الخير[1] . ولما استولى الروم والفرنج عليها انضمّ الى

١) معجم البلدان لياقوت ١ : ٢٨٣

هذا الطيب جودة الخمر والشراب ، فكان كل من اراد معاقرة المدام في ما جاور من ديار الاسلام يقصد انطاكية للتمتع بلذاتها . ولذلك قال ابو العلاء فيها :

لا يقرنّ بانطاكيةٍ ورعٌ ... كم حلّل الدينَ عقدٌ للزنانير
فيها مدام كذوب النار تزجره ... المشاربين وجوه كالدنانير (١)

فلا عجب اذا كان القيسراني اراد انتهاز فرصة وجوده فيها لانتهاب اوقات الطرب والقصف . وكان فيهـا وقتئذٍ من جملة القيان المشهورات بالحسن والاحسان جارية تروي الشعر العربي اسمها ماريًا تغني بالدف خفيفة الروح في نهاية اللطف . ومن اصواتها التي تغايظ بها النصارى وتستميل قلوب المسلمين:

علقتُ بحبل من حبال محمد ... أمنتُ به من طارق الحدثانِ

ولا يخفى ما في هذا البيت من التعريض باسم النبي العربي واسم القيسراني محمد وهو من قصيدة للحسن بن هانئ يمدح بها الامين ابن الرشيد اولها:

لمن طلل لم أشجُ وشجاني ... وهاج الصبا لو هاجهُ لأوانِ

وبعد ان تقضى القيسراني اطيب ايام في هذه البلدة الجامعة طيب الهوائين ، انكفأ راجعاً وفي فؤاده نيران الحسرات تفور ، وتذكّر ساعات مرّت له مع ماريًا فانشد فيها :

ألا يا غزال الثغر هل انت منشدي ... « علقت بحبل من حبال محمد »...

❖

ولابن جبير في النساء الصليبيات وصف اوفر غناء واتم شرحاً حكى فيه زفاف عروس فرنجية شهده اتفاقاً لما كان في صور سنة ٥٨٠ / ١١٨٤ في شهر شنتبر = ايلول ، قال :

« من مشاهد زخارف الدنيا المحدّث بها زفاف عروس شاهدناه بصور في احد الايام في ميناتها وقد احتفل لذلك جميع النصارى رجالاً ونساءً واصطفّوا صاطين عند باب العروس المهداة والبوقات تضرب والمزامير وجميع الآلات اللّهْويّة حتى خرجت تتهادى بين رجلين يمسكانها من يمين وشمال كأنها من ذوي ارحامها وهي في اجمل زيّ وافخر لباس تسحب اذيال الحرير المذهب سحباً على الهيئة المعهودة من لباسهم وعلى رأسها عصابة ذهب قد حفّت شبكة ذهب منسوجة وعلى لبّتها مثل ذلك منتظم وهي رافلة في حليها وحُلاها تغني فترًا في فتر مشي الحمامة او سير الغمامة تهز بانّ من قضبة الناظر . واماموا جمّة رجالها من النصارى في افخر ملابسهم البهية تسحب اذيالها خلفهم ووراءها اكفاؤها ونظراؤها من النصرانيات

(١) الفردسيات ، طبعة بومباي ، ١٥٣

يتهادين في افخر الملابس ويرفلن في ارفل الحلى والآلات اللهوية قد تقيدتهم والمسلمون وسائر النصارى من النظار قد عادوا في طريقهم ساطين يتطلعون فيهم ولا ينكرون عليهم ذلك . فسارو! حتى ادخلوها دار بيلها واقاموا يومهم ذلك في وليمة فأدّانا الانفاق الى رؤية هذا المنظر الزخرفي المستعاذ بالله من الفتنة فيه . »(١

ولا يخفى على احد ما في مثل هذا الوصف على ايجازه واجماله من الطرافة والندرة لصدوره عن قلم عربي تعوّد غالباً قلة الاعتداد بكل ما لا يتعلق بأمّته وملّته ، والنفور والتعوّذ من كل ما يمرّ به من المشاهد والاحوال بين اهل الكتاب في ايامه . وقد احسن غاية الاحسان في موضع آخر في رحلته بالتنبيه على ما لم ينبّه عليه احد قبله من ولع الفرنجيات بتقليد النساء المسلمات في التزيي والتنقب والتحلي والتخضّب والتعطر . وهو ما يجب ان يُضاف الى جملة ما كان الغربيون وقتئذٍ يحرصون على استعارته من مذاهب الحضارة الشرقية ووجوه المعيشة وطرق الصناعة والزراعة في المدن السورية . وقد نعت ابن جبير ما عاينه من هذه العواري في البلاد الفرنجية ايضاً فقال في كلامه على مدينة بالرمة وقد وافق اجتيازه بها عيد الميلاد :

«وزيّ النصرانيات في هذه المدينة زيّ نساء المسلمين فصيحات الالسن بالتحفات متنقبات خرجن في هذا العيد المذكور وقد لبسن ثياب الحرير المذهب والتحفن المُحُف الرائقة وانتقبن بالنُقُب الملونة وانتطقن الاخفاف المذهبة وبَرَزْنَ لكنائسهنّ او كُنُسهن حاملات جميع زينة نساء المسلمين من التحلّي والتخضّب والتعطّر فتذكرنا على جهة الدعابة الادبية قولَ الشاعر :

ان من يدخل الكنيسة يوماً يلقَ فيها جآذرًا وظباءَ

ونعوذ بالله من وصف يدخل مدخل الغرر ويؤدّي الى اباطيل الاثر ، ونعوذ به من تقييد يؤدي الى تفنيد انه سبحانه اهل التقوى والمغفرة »(٢

وليست هذه اول مرة استعاذ فيها ابن جبير من فتنة ما شاهده او عرفه بنفسه اثناء مروره ببلاد الصليبيين . ولا بأس ان ننقل هنا قولاً له سابقاً في احوال المسلمين العائشين في ذمة الفرنج بين قبرص وعكة حين مرّ بهما . وهو ، وان يكن غير داخل رأساً في اوصاف النساء الصليبيات ، غير انه يتصل بها باقرب سبب لمشاركتهنّ الرجال في التدبير والسياسة في اغلب الاحوال .

١) رحلة ابن جبير ، طبعة ليدن ٢٥٠ - ٢٥٦

٢) رحلة ابن جبير ٢٣٣

وكان الملك العادل سيف الدين ، شقيق صلاح الدين ، لا يجهل ذلك منهن فاذا اراد ان يُقعد رجالهن عن الحرب احياناً يتزلف لديهن ببعض التحف من الحلي والحلل الدمشقية التي كنّ معجبات بها.[1]

وغاية هذه النبذة اليسيرة من كلام ابن جبير وصف جانب من احوال المجتمع الفرنجي الاسلامي ، ومخالطة المسلمين للصليبيين في بلادهم ، وفيه خير شاهد على ما كان بين الفريقين من حسن الجوار وما امتاز به خصوصاً رؤساء الفرنج من الرفق بمن كان تحت ايديهم من البلديين والمستعربين ، ومعاملتهم لهم بغاية العدل والسماح والبعد عن كل تقور وتعصب ، ولا شك انه كان للمرأة الصليبية في هذه المعاملة نصيب وافر في الشفقة على المرأة الذمية . وهذا نص كلام ابن جبير وهو حري بالتروي والاعتبار قال :

« رحلنا من عنين ، وسرنا الى سحر يوم الاثنين وطريقنا كله على ضياع متصلة وعمائر منتظمة سكانها كلها مسلمون وهم مع الافرنج على حالة ترفيه تعوذ بالله من الفتنة . وذلك انهم يؤدون لهم نصف الغلة عند اوان ضمّها وجزية على كل رأس دينار وخمسة قراريط ولا يتعرضونهم في غير ذلك . ولهم على ثمر الشجر ضريبة خفيفة يؤدونها ايضاً . ومساكنهم بأيديهم وجميع احوالهم متروكة لهم وكل ما بأيدي الافرنج من المدن ساحل الشام على هذه السبيل رساتيقها كلها للمسلمين وهي القرى والضياع وقد أشربت الفتنة قلوب اكثرهم لما يبصرون عليه اخواتهم من اهل رساتيق المسلمين وعمالهم لانهم على ضدّ احوالهم من الترفيه والرفق . وهذه من الفجائع الطارئة على المسلمين ان يشتكي الصنف الاسلامي جور صنفه المالك له ويحمد سيرة ضده وعدوه المالك له من الافرنج ويأنس بعدله فالى الله المشتكى من هذه الحال »[2]

ولا يخفى على احد قدر هذه الشهادة من رجل كان ينظر شزراً الى الصليبيين ويوسمهم شتماً ولعناً ، ويدعو على حصونهم وبلادهم بالدمار ، وعليهم بالخذلان ، ومع إقراره بما كان عليه صاحب عكة من الاعتدال في سياسة المسلمين والرفق والتؤدة لم يتوقف عن وصفه بالملك « الخنزير الملعون » ووصف امه « بالخنزيرة »[3] وامثال هذا الحقد والبغض طافحة في آثار العصور الوسطى في الغرب والشرق .

١) الحزانة الشرقية ٣ : ٣٦

٢) رحلة ابن جبير ، طبعة ليدن ، ٣٠١ — ٣٠٢

٣) رحلة ابن جبير ٣٠١ و ٣٠٢

ليلة رقص وسماع اميريّة

للفقراء بدمشق

سنة ٦٥٩/١٣٦١

يُراد بالفقراء هنا كل من تظاهر بالزهد واحتال بالفقر والنسك من اصحاب الطرق والمتصوفة ، في ما عدا المساكين حقاً والمعدمين . وربما دخل بينهم من ليس منهم ، وانضوى اليهم بعض الكبراء والعلماء والكتاب ، احتماء بهم من صولة السلطان ، او تدللاً على ملوك الزمان ، كما فعل عماد الدين الاصبهاني الكاتب المشهور بانشائه الحوشي وتقعره في السجع ، حين غضب من اجل ختم من اختام الذهب التي كانت تكون على كتب الافرنج ورد منها كتاب على الملك الناصر صلاح الدين الايوبي في غياب عماد الدين وفاته تحصيله ، فجرد وابى ان يجيب على الكتاب . فأخرجه صلاح الدين من حضرته ، وتعصّب له القاضي الفاضل ، واشار عليه ان يقعد احتياطاً في خانقاه الفقراء وما زال فيها متزوياً متظاهراً بالجرد ، حتى اتى السلطان بشفاعة القاضي الفاضل وترضاه بنفسه[1] . ولا يخفى ما في هذه الغريبة من الملحة والفكاهة .

وقد تحامى المؤرخون وصف شيء من حياة هؤلاء الفقراء في عاداتهم واخلاقهم ورسومهم وسُننهم وملابسهم وازيائهم ومشاربهم ومآكلهم ، فلا ندري منها سوى تلويحات ولمحات لا تكفي لتصوير ما كانوا عليه من المعيشة والسلوك بغاية الوضوح والتحقيق . واشتهر المتصوفة منهم خصوصاً بكثرة الجشع في الاكل والشرب ، والولع بالرقص ، والتهافت على السماع والغناء ، حتى نعتهم ارباب اللغة بالزفانة الحفانة . قال الزبيدي في التاج : اي يرقصون ويحفنون الطعام بحفناتهم[2] . ووصف بعض الشعراء اكلهم ورقصهم باكل البهائم ورقص الدباب ، وانكر عليهم ابو العلاء المعري هذا الشذوذ فقال :

(١ جزء من المقفى للمقريزي فيه بعض تراجم المحسنين ، في خزانة جامعة ليدن ، غير مرقوم Amb 1366 C.

٢) تاج العروس ٩ : ٢٢٧

ارى جيل التصوّف شرّ جيل فقل لهمُ وأهونْ بالحلولِ
أقال الله حين عبدتموه : كلوا اكل البهائم وارقصوا لي (١)

وقلده في هذا الهجاء شداد بن ابرهيم الملقب بالطاهر الجزري فقال بافظه ومعناه :

ايا جيلِ التصوّف شرّ جيلِ لقد جئتم بأمر مستحيلِ
أفي القرآن قال لكم الهي كلوا مثل البهائم وارقصوا لي (٢)

وللسيد ابي محمد عبدالله احمد بن ابرهيم الزاوي الكاتب في وصفهم والتحذير منهم :

لا تثق بالسكوت من كل صوفي واجتنب مكرهم وكن في صدوفِ
قصّروا قمصهم وحفّروا لحاهم ثمّ احدودبوا بمثي قطوفِ
افسدوا العالم اكلاً ورقصاً وادّعوا انه لربّ رؤوفِ
اترى ربهم يقول ارقصوا لي واتركوا ما فرضتُ من معروفِ (٣)

وكان بالبوازيج ، وهي بليدة بالقرب من السلامية ، زاوية لجماعة من الفقراء اسم شيخهم مكّي . فعمل فيهم ظهير الدين قاضي السلامية المتوفى سنة ٦١٠ = ١٢١٣ هذه الابيات :

ألا قل لمكّيّ قول النصوح فحقّ النصيحة ان تُستَمعْ
مشى سمع الناس في دينهم بان الغنا سنّة تتّبعْ
وان يأكل المرء اكل البعير ويرقص في الجمع حتى يقعْ
ولو كان طاوي الحشا جائعاً لما دار من طرب واستمعْ
وقالوا سكرنا بحب الاله وما اسكر القوم الا النبيعْ
كذاك الحمير اذا اخصبت يُنَفّزها (٤) ريّها والشبعْ (٥)

وربما استحلّ بعضهم كل المحرّمات والكبائر ، وتظاهروا غير مبالين بالفسق والفجور ، واقترفوا مخزية ليلة الماشوش كما تقدم لنا وصفها في الكلام على متصوفة شيراز (٦) . واشتهر منهم بالتهتك والاستباحة الشيخ خضر الكردي ،

١) ارشاد الاريب لياقوت ١ : ١٧٥
٢) ارشاد الاريب لياقوت ٦ : ٢٦١
٣) مجمع الآداب للغوطي في دار الكتب الظاهرية بدمشق ٢٦٧ تاريخ
٤) اي يرقصها
٥) وفيات الاعيان ، طبعة دسلان ٩ ١
٦) المشرق ٢ : ١٩٦٨ ص ٢١٧

شيخ الملك الظاهر بيبرس[1]، والشيخ ابي الحسن الحريري[2] والشياع ابي بكر المجذوب الحلبي[3] ، واضرابهم من المستهزئين بالاديان الذين اسهب المؤرخون في تعداد مساوئهم او طلب الاعذار لهم فيها ، واحتقروا من اجلهم تدوين فضائل المبرزين والمهرة في الفنون والصناعات .

وعُرف الدمشقيون خصوصاً بالاحسان الى هؤلاء الفقراء او المتفقرين وكثرة التصدق عليهم ، وبناء الدور والمساكن لاضيافتهم ،ولذلك تعددت في مدينتهم قديماً الخوانق والرُبط والزوايا والملاجئ ، وعاش بعضهم فيها عيشة الاغنياء ، وساعدهم الامراء والاسخياء على الاخذ بنصيب من ملاذّ الحياة ، فكانوا يُغدقون عليهم الارزاق والهبات ، ويقيمون لهم الدعوات والولائم ، ويُحيون لاجلهم السهرات والليالي الراقصة والساهرات ، ويفتقدونهم دائماً بالاكسية والحُلع والمآكل والمشارب و قد وصف ابن جُبير عيش الصوفية بدمشق حين اجتيازه بها في القرن السادس للهجرة فقال وقوله جدير بالتدبر والاعتبار :

« هم الملوك بهذه البلاد لانهم قد كفاهم الله مُؤَن الدنيا وفضولها وفرّغ خواطرهم لعبادته من الفكرة في اسباب المعايش واسكنهم في قصور تذكّرهم قصور الجنة »[4]

وقد فاتنا وصف بعض هذه القصور الفقيرة ، اذا جاز هذا النعت ، فلا ندري الى اي رباط او زاوية او مدرسة يومئ ابن جبير ، وهو لا يبعث في النفس اشد الحسرات لخفاء مثل هذه الفوائد النادرة التي تتجلى فيها باصدق وجه واوضح بيان معيشة طبقة من سكان دمشق هي اغضهم خبراً وتاريخاً واوفرهم آبدة وشاردة .

وبينما كنا في شهر ايار (مايو) سنة ١٩٣٤ ، نطالع بعض مخطوطات خزانة اكسفرد ، اسعدنا التوفيق بالوقوف على فصل مُمتع من ذيل قطب الدين

---

١) طالع من بعض تراجمه ما حكاه عنه صلاح الدين الكتبي في فوات الوفيات ١ : ١٩٢ – ١٩٣

٢) طالع من بعض تراجمه ما حكاه عنه صلاح الدين الكتبي في فوات الوفيات ٢ : ٥٢ – ٥٧

٣) طالع ترجمة احمد الناري في خلاصة الاثر للمحبي ١ : ٢٥٩ – ٢٦٠

٤) رحلته ، ص ٢٨٤

اليونيني[1] على مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي وصف فيه عَرَضاً دقيق وصف احدى هذه الليالي الراقصة التي دُعي اليها خصوصاً واختلط فيها الامراء بالمشايخ والفقراء ، وتمثلت فيها صورة طرف من ترف اهل دمشق في القرن السابع للهجرة اصدق تمثيل ، ولا نعلم صفحة اخرى أجيد فيها هذه الاجادة في وصف نعيم اهل دمشق وملاذ الفقراء في الزمن الغابر . ولا يخفى ما في مطالعة هذا الفصل من الطرفة والفكاهة والفائدة التاريخية . قال في وفيات سنة ٦٦٢ (١٢٦٣—١٢٦٤) في ترجمة لاجين بن عبدالله الامير حسام الدين الجوكنداري العزيزي :

« كان من اكبر الامراء واعظمهم مكانة واعلاهم قدراً . . . وكان له في الفقراء والصالحين عقيدة حسنة ويكثر من الاحسان اليهم والبرّ بهم وافتقادهم بالنفقة والكسوة وغير ذلك وكان يعمل لهم السماعات ويحضر فيها من المآكل والمشارب والاراييح الطيبة والشموع ما يبهر العقل ويتجاوز الحد فكان يُقدّر ما يغرمه على السماع الواحد بقريب من مائة آلاف درهم وكنت اسمع احتفاله في امر السماع وعلو همته فاحمل الامر على المجازفة في القول من الحاكي فاتفق انه طلبني ليلةً لحضور ذلك فحضرت عنده فكان الامر على ما بلغني واكثر فاني لما دخلت داره التي بالمُقَيبة رأيت من الشموع الكافوري الكبار في الانوار[2] الفضة والمطعمة ما يقصر عنه الوصف ثم مدّ بعد صلاة المغرب ساطاً عظيماً يشتمل على قريب مائة زبدية عادلية كبار في كل زبدية منها خروف صحيح رضيع وقريب ثلاثة زبدية دون تلك في كل زبدية ثلاثة طيور دجاج وغير ذلك من انواع الاطعمة فلما فرغ الناس من الاكل صلّوا عشاء الآخرة وشرع المغاني في الغناء ورقص هو بنفسه بين الفقراء كاحدهم وكان يسلك معهم الادب والتواضع لهم ما لا مزيد عليه .

فلما فرغ من النوبة الاولى مدّ ساطاً عظيماً يشتمل على عدة اطباق وصحون خيرانية حلوه وسكب وقطائف رطبة وقلوة وشبك وغير ذلك مما جرت به العادة بالسكر المصري المكرّر والفستق والمسك فاكل الناس من ذلك ما امكنهم وحملوا بحيث شيل معظم ذلك في خيرق الحاضرين فلما فرغوا من ذلك شرع المغاني في الغناء نوبة ثانية فرقص هو وغلمانه ومن حضر من الفقراء والمشايخ وغيرهم . فلما فرغ المغاني من النوبة الثانية مدّ ساطاً عظيماً من الفواكه النادرة من السفرجل والتفاح الفتحي والكمثري الرحبي والرمان اللفّان والخلو والعنب النادر والبطيخ الاخضر وكانت هذه الفاكهة التي حضرت معدومة في مثل ذلك الوقت يتعذر وجودها على غيره لان ذلك كان في اواخر فصل الشتاء وانما كان يُذخر له ذلك

---

١) خزانة أكسفرد رقم 113 — 112 *Poc. or.* 132 f.

٢) الانوار جمع نَوْر بمعنى الشمعدان .

بالقصد فان قرية كفربطنا وزبدين وعدة قرى من الغوطة كانت جارية في اقطاعه وجميعها الفواكه النادرة فاكل الناس من ذلك ما امكنهم .

ثم غنّى المغاني النوبة الثالثة ورقص الجميع فلما فرغوا مدّ لهم سماطاً من المكسّرات على اختلاف انواعها من القصب(١ العراقي والفستق والبندق والزبيب الجوزاني(٢ والفستق المملّح والمُشكّكان(٣ والكعك المحشو والبقسماط المعمول بالسكر واللوز وغير ذلك فاكل الناس من ذلك وحملوا . وجميع ما يُعدّ على كثرته لا يُرفع منه بقية البتة بل يؤكل منه ما يمكن ويتفارق الحاضرون ما بقي ويذهب . وجميع ما شُرب في تلك الليلة من اولها الى آخرها مصنوع بالثلج والسكر وماء الخلاف(٤ والورد والمسك والسفاة يلاثون الكيزان من ذلك على الدوام والماخر تُسمل بالند والعنبر والعود الهندي المذكّى من اول الليل الى آخره .

ولما كان وقت السحر اخلى حمام ابن السرمك(٥ المجاورة لداره ودخل اليها ومعه معظم الجمع ولم ادخل انا معهم فحكى لي الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ محمد اليونيني رحمه الله وكان حاضراً قال : بعد خروجك دخلنا الحمام فجعل الامير يخدم الفقراء بنفسه ويعانقهم فلما خرجوا كان منهم جماعة خلعوا قصاعهم ودلوقهم(٦ فاحضر لهم قُمصاً حُمُدياً وثياباً جدداً في غاية الحسن والمناسبة لما يليق بهم ثم خرج واستدعاهم الى داره وسقاهم من الاشربة ما يناسب الحمام ويلائمه وعدّ لهم سماطاً عظيماً من الطُّفاج واحضرهم حاوي سُخنة فاكلوا وانصرفوا واما هو فانه خلع على المغاني من ملبوسه عدة بغالطيق(٧ تساوي جملة كبيرة وكذلك غلمانه خلعوا .

وكان هذا السماع في آخر سنة تسع وخمسين (وستمائة = ١٣٦١ م) والفرارة القمح بدمشق ثمنها ما يقارب ثمانية دوهم والرطل اللحم بالدمشقي يبلغ سبعة دراهم والدجاجة ببلغ ثلاثة دراهم وجميع الاشياء غالية جداً :

---

١) كذا وردت هذه اللفظة مرسومة في الاصل بالصاد . ولعلها سبق قلم لان القصب العراقي اذا كان موجوداً لم يكن يعد من المكسّرات . والارجح ان الصحة قَسْب بالسين الساكنة وهو نوع من تمر العراق يابس يتفتّت في الفم .

٢) الجوزاني نسبة غامية الى الجوزة ضرب من العنب كبير الحب صلب زكي الحلاوة كان يجفّف ويصنع منه زبيب غاية في الجودة ذكر ياقوت انه كان معروفاً في القرن (معجم البلدان ٣ : ٨٧٣) وفي « تذكرة الصفدي » و « محاسن الشام » للبدري ذكر الجوزاني مع الدربلي والخاراني بين اصناف العنب بدمشق ولا يُعرف فيها اليوم .

٣) اقراص من الدقيق والسكر .

٤) الخلاف نوع من الصفصاف المصري كان معروفاً بدمشق يستقطر منه ماء تطيب به الاشربة كماء الورد وزهر النارنج .

٥) كان بالعُقيبة بدمشق ١٣ حماماً منها اثنان لابن السرمك (عدة الحمامات في تعداد الحمامات لجامعه يوسف بن عبد الهادي من مخطوطات الخزانة الظاهرية بدمشق) .

٦) الدلوق جمع دلق نوع من الثياب متسع الاكمام طويلها كانت تلبسه اولاً العلماء والقضاة والخطباء ثم شاع بين الفقراء .

٧) البغالطيق جمع بَغْلُطاق لفظة فارسية لضرب من القباء قصير الكمّين او لا كمّ له .

وكانت وفاته رحمه الله في رابع عشر محرم ودفن بسفح قاسيون ».

ولا نظن ان بعد هذه السعة وهذا الترف والتنعم والتهتم واللهو محلًا للمزيد . وكذا كان بعض الفقراء والصاليك بدمشق يعيشون احيانًا معيشة الامراء والمماليك ، ولذلك كان الاقبال عظيماً على حرفة الفقر والاستعطاء .

ويظهر ان مثل هذه الليالي الراقصة والباهات لم تكن خاصة بدمشق بل كان يجري مثلها او قريب منها في مصر ويُستدعى الفقراء لحضورها ، وهو ما نقله علاء الدين علي بن خطيب الناصرية بروايته عن الشهاب محمود في ترجمة الامير جمال الدين العزيزي ايدغدي بن عبدالله من مماليك الملك العزيز محمد بن غازي صاحب حلب قال :

« قال المولى قطب الدين نفع الله به : حكى لي بعض الناصرية قال : لما دخلنا الديار المصرية اتفق ان بعض اكابر الامراء عمل سماعًا وحضر بنفسه الى الامير جمال الدين ودعاه فوعده بالمضيّ اليه والحضور عنده فلما كان عشاء الآخرة مضى ونحن معه جماعة من مماليكه وخواصّه الى دار ذلك الامير فلما دخل وجد جماعة من الامراء جلوساً في ايوان الدار وجماعة من الفقراء في وسط الدار فوقف ولم يدخل وقال لصاحب الدار : أخطأتم في ما فعلتم كان ينبغي ان يقعد الفقراء فوق وانتم في ارض الدار ولم يجلس حتى تحول الفقراء الى مكان الامراء والامراء الى مكان الفقراء وقعد هو ونحن بين الامراء فلما غنّى المغني قام احدهم والدف بيده يستعطي وهذه كانت عادة المغاني في الديار المصرية فلما رآه الامير جمال الدين انتهره وقال : والك(١ انت في الخلق(٢ ؟ واشار الى خزندار فوضع في الدف كيساً فيه الف درهم فلما رقص الجمع دار فيهم ورمى على المغني بغلطاقه وهو ابيض قطن بطبلكي ما يساوي عشرين درهمًا فرمى سائر مماليكه بغالطيقهم موافقة له وقيمتها فوق الثلاثة آلاف درهم ثم دار في النوبة الثانية ورمى على المغني منديله وهو ابيض كان يساوي ثلاثة دراهم فرمى سائر اصحابه مناديلهم وفيها ما هو بالذهب وغيره ولعل قيمتها فوق الالف وخمسمائة درهم فحُسب ان المغاني حصل لهم منه ومن غلمانه نحو الستة آلاف درهم»(٣

---

١) « والك » كلمة انتهار وتهديد لا تزال يتلفظ بها اليوم والاصل «اولى لك » ومن كان مولعًا بها الوزير علي بن عيسى (تاريخ الوزراء للصابي ٢٢٣) . ولاحد الشعراء :

سألتهُ قبلة في روض وجنتهِ يحيا بها القلب مني قال «ميرٌ» . والك»

(كتاب بيان الاسى لمحمد بن الحكم الشافعي ، خزانة اكسفرد Marsh. 490, f° 25)

٢) الاول من الدر المنتخب في تكملة تاريخ حلب نسخة ناقصة من مخطوطات المكتبة الاحمدية بحلب رقم ١٣١٤ ص ٢٧٠ – ٢٧١ .

ومثل هذا الرمي على المغنين هو ما يسمّى النقط[1] او النقوط ، كما تقول العامة وهو قديم . وانما كانت خلعة الامير جمال الدين ايدغدي من القطن دون خلع مماليكه واصحابه لانه كان كما وصفه ابن خطيب الناصرية « مقتصداً في لبسه لا يتعدى ثياب القطن في ملبسه من القماش الهندي والبعلبكي وغيره مما يُباح ولا يُكره لبسه »

وكانت وفاته في القدس سنة ٦٨٨ / ١٢٨٩ فليس اذن بين الليلتين والسماعين زمن بعيد ، ولكن البعد والفرق بين نعيم الفقراء بدمشق ونعيمهم بمصر « وما قصبات السبق الا لمبدٍ » !

١) جاء في كتاب الاغاني لابي الفرج الاصبهاني في حكاية غناء وطرب وعطاء «طَرِب وفرض لي » قال : وفرض لي اي نقّطني يعني ما يجب الناس للمغنين ويسمونه النقط (١٧ : ٩٨) وقد ورد هذا اللفظ كثيراً في اشعار المتأخرين قال ابن المرحّل المعروف بابن الوكيل المصري :

اناه النسيم الرطب رقّص دوحَه فنقّط وجه الماء بالذهب المصري

(فوات الوفيات للكتبي ٢ : ٢١٨)

البطريرك اسطفانوس الدويهي

وتاريخ الازمنة

بقلم الاب فرديناند توتل اليسوعي

١٦٣٠ م كان حبراً اعظم في رومة البابا اوربانوس الثامن ، وبطريركاً على الطائفة المارونية جرجس عميرة ، وسلطاناً في القسطنطينية مراد الرابع ، واميراً نافذ الكلمة في لبنان فخر الدين المعني الثاني .

في تلك السنة ، في ٢ آب ، ولد اسطفانوس الدويهي في اهدن ، وسمي باسم القديس المعيد ذكره في ذلك النهار في السنكسار الماروني . ابوه الشدياق مخايل ، وامه الحاجة مريم ، من بيت الدويهي . تعلم مبادئ القراءة العربية في ظل كنيسة القرية سنة ١٦٤١ ، ثم سافر الى رومة ، فدرس في اكليريكيتها المارونية تحت ادارة الآباء اليسوعيين . وانتمى الى اخوية العذراء القديسة ، وكل برنامج الدروس كما كان في ايامه في التعليم مشابهاً لما نعهده اليوم في المعاهد الثانوية والعليا . ونجح نجاحاً تاماً للوقوف في محفل علماء وكادلة رومه مجادلاً ومدافعاً عن قضايا الفلسفة واللاهوت ، فنال شهادة الملفنة او الدكتوراه ، وعاد الى لبنان سنة ١٦٥٥ م ، ولم يستنكف عن تعليم الاولاد فافادهم واستفاد ، لانه في تعليمهم عوض عما نقصه من درس اللغة العربية ، وكان ضعيفاً فيها وقد هاجر من لبنان الى اوروبة وهو في السنة الحادية عشرة من عمره . فما تم ان قبض على ناصية اللغة والمّ بالالفاظ ومعانيها ، وتمكن من الكتابة والخطابة بالعربية باسلوب وضاح شهي غير خال من الخلل في قواعد الصرف والنحو ، وغير عار من لون الابتكار ، على ما فيه من شتى المواد المأخوذة جماً وتصنيفاً عن الاقدمين .

وكان اسطفانوس الدويهي ، بين سائر كهنة زمانه ، ارقى علماً وفصاحة من ان يقارنه الكثير من امثاله . وكانت مدينة حلب اذ ذاك في عزها ،

وكنيسة الموارنة فيها تجتمع نخبة المسيحيين الكاثوليك . فارسل اليهم واعظاً سنة ١٦٦٢ م في عهد الاسقفين جبرائيل ومخائيل البلوزاني ، واقام هناك الى سنة ١٦٦٨ م . ويتحدث الحلبيون الى يومنا عن اقبال المسيحيين في ذلك العهد لسماع عظاته ، فتضيق بهم الكنيسة فينقل المنبر الى جانب الباب ، ومنه يبلغ الصوت الى الجماعة الواقفين في الفسحة الخارجية ، وبينهم الكاثوليكي والغير الكاثوليكي . وقد طالعنا عند المثلث الرحمة المطران عبدالله الحوري مجموعة عظات ترجح الدلائل انها من قلم اسطفانوس الدويهي ، ومما يكون قد القاه في حلب .

وسنة ١٦٦٨ م زار الدويهي الاراضي المقدسة مع والدته «الحجّة» ، وفي عودته الى لبنان سيم اسقفاً على ابرشية قبرس ، فجال البلاد « لافتقاد الرعايا » وجمع ما تسنى له ان يجمع من الآثار والكتب لوضع مؤلفه ، فابتدأ به في ٢ ايار سنة ١٦٦٩ م (١٠٨٠ هـ) وهذا التاريخ قرأناه محرراً باللاتينية في الصفحة ٤٧ من المسودة : incipit 1080 2 mai 1669

ولا نرى له تفسيراً في غير ما رأيناه اي انه دليل على توقيع المؤلف بذكر اليوم الذي سطّر فيه الصفحة قُبيل ان يأتي على الاخبار في ص ٤٩ .

وسنة ١٦٧٠ ، رفع الدويهي الى المقام البطريركي ، وظل فيه اربعاً وثلاثين سنة الى وفاته سنة ١٧٠٤ في ٣ ايار في دير قنوبين ، في الوادي المقدس .

وترك مؤلفات عدة ذكرها المطران يوسف الدبس في كتابه تاريخ سورية (٣٠٩:٧) والمطران بطرس شبلي في ترجمة الدويهي (الفصل العاشر ، ص ١٩٧ وما بعدها) فمنها المختصة بالمواضيع الدينية والطقسية ، ومنها التاريخية واشهرها تاريخ الازمنة ، وهو الذي نعرض للكلام عليه ، ونحن نستمد لنشره بلغته العربية ثم باللغة الافرنسية نقلاً عن العربية . ونشكر لقراء المشرق كل افادة يتكرمون بها علينا تساعدنا على القيام بعملنا حق القيام بعد اطلاعهم على المصاعب المعتورة طريقنا ، بسبب تعداد نسخ هذا الكتاب ، واختلاف بعضها عن بعض ، وصعوبة الحصول عليها وقراءتها في الخط الكرشوني المضطربة اصوله ، في تشابه الاحرف بين ك وع وخ وظ وج وغ وغير ذلك فضلاً عما يشكل امره من القراءات باهمال الناسخ او بتلف الورق مع مرور الزمان .

تاريخ الازمنة

هذا الكتاب جليل حقيق بان يعدّ من « اصول » تاريخ الشرق المعروضة لانحتها للنشر في برنامج النهضة التاريخية الحديثة [1] وان رشيد الشرتوني في سنة ١٨٩٠ ، اظهر تحت اسم الدويهي تاريخ الطائفة المارونية آخذًا معظمه عن تاريخ الازمنة . لكن الغاية منه لم تكن ابراز الكتاب كما هو في اصله ، فاقتصر على الانتخاب والنسخ والتصليح او التغيير بما رآه صالحًا لهدفه الخاص ، وهو تأليف تاريخ الطائفة المارونية ، ولم يكن بين يديه نسخة الدويهي الكاملة الاصلية بل المختصرة منها المحفوظة في « المكتبة الشرقية » تحت رقم ٣٦ وقد وصفها الاب شيخو في فهارسه ص ٢٣ وهي لطنوس الشدياق .

وسنة ١٩٣٢ وفقنا الى اقتناء نسخة من تاريخ الازمنة صالحة للنشر فاخذنا بنسخها او « بدقها » على الآلة الكاتبة ، ولم نسر بالعمل الا سيرًا بطيئاً لصعوبة قراءة الكتاب بالخط الكرشوني المشوه بنخر الدود ، وعلى امل الحصول على غيرها مما يساعدنا على ضبط المتن كما كان في اصله .

ومن ثم تحقق الامل وتوافرت بين يدينا المخطوطات فاتينا نعرفها الى قراء « المشرق » ونحاول درس المشكل المطروحة عناصره بين يدينا من جراء الاختلافات الموجودة فيها فنحلّه ان شاء الله ، ونشكر لكل من يتفضل ويزيدنا تعليماً في الموضوع حتى اذا اقدمنا على طبع الكتاب بمتنه العربي وترجمته الافرنسية كانت جهودنا مكللة بالنجاح المرغوب فيه فلا نكون بعيدين كل البعد عن تحقيق الاماني بالقيام بهذا المشروع حق القيام .

نسخ تاريخ الازمنة

بين يدينا اثنتا عشرة نسخة من هذا الكتاب واليك لائحتها موسومة كل واحدة منها بحرف من حروف الابجدية اصطلاحاً وطبقاً للظروف التي وفقنا فيها الى الحصول عليها ، فنصفها بالايجاز قبل ان نأتي على الكلام في

---

١) راجع لامنس : المشرق (١ : ٢٦٢) – رستم والبستاني : لبنان في عهد الامراء . . . للامير حيدر . . . توطئة ص : ج بالمطبعة الكاثوليكية .

ايها تصلح للنشر ولا بد من معرفة وجودها هدايةً لمن يهمهم الوقوف على آثار الدويهي فيقصدون الى التفتيش عنها في مواطنها ، وصيانةً لذكرها من الضياع على مرور الايام .

ا : نسخة المكتبة الشرقية ، ابتعناها من السيد يوسف صفير الكتبي في بيروت سنة ١٩٣٢ م . هذا الكتاب طوله ٣٠ ، وعرضه ٢٢ سنتمترًا ، جلده اسود ، ورقه عبادي ، صفحاته عددها ٢٩٩ ، وعدد الاسطر في كل صفحة ٢٧ ، وهو مكتوب بالكرشوني بالحبر الاسود ، وفيه تأثير الدود . نسخه الخوري الياس سركيس من قرية عابيه في ٨ شباط ١٧٠٧ م . فيه المقدمة ثم سرد الحوادث من سنة ١٠٩٤ م . الى سنة ١٦٩٩ م . وفيه تنقص بعض الحلقات من السنين .

ب : نسخة عزيز خاصة ورثة المرحوم القس برزدوس غبيرة الراهب الانطوني . هذا الكتاب طوله ٣٢ ، وعرضه ٢٢ سنتمترًا ، جلده اصفر قاتم ، ورقه عبادي ، صفحاته ٤٤٢ ، وعدد الاسطر في كل صفحة ٢٦ ، حبره اسود ، كتابته بالكرشوني ، حالته جيدة . نسخه الخوري الياس سركيس سنة ١٧٨٠ « عن النسخة الاصلية » . فيه الحوادث من بدء الهجرة الى ١٧٠٣ م . وفيه نقائص اكثرها في الجيل الخامس عشر .

ت : نسخة بكركي تحت رقم ٤٧ هذا الكتاب طوله ٣٠ ، وعرضه ٢٠ سنتمترًا ، جلده احمر اصفراني ، ورقه عبادي ، صفحاته ٣٤٩ ، خطه كتابي عربي واضح جميل ، حبره احمر واسود . نسخه الخوري بولس برهوش من قرية ساحل علما في ١٥ حزيران ١٨٥٤ . فيه الحوادث من بدء الهجرة الى السنة ١٦٩٩ م .

ف : نسخة الڤاتيكان تحت رقم 683 بين يدينا صورتها الفوتوغرافية ، نسخها بالكرشوني ، سنة ١٧٠١ ، الشدياق يوسف بن حبقوق من قرية بشعلة فيها المقدمة وبعدها الحوادث من سنة ١٠٩٤ م الى ١٦٩٩ م . وخطها حسن سهل القراءة .

ه : نسخة الڤاتيكان تحت رقم ٣٩٤ ، بين يدينا صورتها الفوتوغرافية ،

الصفحتان ٢٥٨ و ٢٥٩ من السورة (م)

وهي بالخط الكرشوني وليس فيها توقيع الناسخ ولا تاريخ النسخ. فيها المقدمة والحوادث من ١٠٩٤ م. الى ١٦٩٩ م. وخطها حسن سهل القراءة.

ط: نسخة القس اغناطيوس طنوس كفرشخنا اللبناني، بالخط الكرشوني والحبر الاسود والاحمر، على ورق عبادي بقلم الخوري مارون اشقر الشبابي في ١ آب سنة ١٨٨١ م. عدد صفحاتها ٣٩٤، اسطرها في الصفحة ٢٧ على عمودين. وفيها الحوادث من بدء الهجرة الى سنة ١٦٩٩ م وذيل فيه ذكر حوادث سنة ١٧٣٠ والكتاب بحالة جيدة مجلد بجلد اسود منتق طوله ٣٢٫٥، عرضه ٢٣٫٥٠ سنتمترا، خطه حسن سهل القراءة.

ظ: نسخة المكتبة الظاهرية في دمشق (عام ١٧٤١) انتهاء عن يد السيد فيليب دي طرازي، وصفها السيد يوسف العش في كتابه «وصف مخطوطات الظاهرية» ورقها عبادي، بدؤها في الهجرة، آخرها سنة ١٦٧٥ م، والحقت بها اخبار سنوات اخرى الى سنة ١٧٣٢ م والكتاب بالخط العربي من يد لويس التبرصي بن يوسف الفرنجي من الارنبكا في قبرص برسم الشيخ كسروان الخازن مؤرخ بسنة ١١٨٩ هـ ١٧٧٦ م. سهل القراءة.

ع: نسخة الآباء اللعازريين في بيروت، بالخط الكرشوني الحسن ورقها عبادي بدؤها مع الهجرة نهايتها سنة ١٦٩٩ م وفيها «المقدمة» في ص ١١٩ وما بعدها، وهي من قلم منصور بن يوحنا الحكيم من قرية غوسطا، انتهى منها في ٣١ حزيران نهار الثلاثاء سنة ١٨٨٤ م.

ل: نسخة الكريم للمرسلين اللبنانيين بالخط الكرشوني طولها ٢٩، عرضها ٢٠٫٥٠ سنتمترا، صفحاتها ٣٦٧، بدؤها مع الهجرة نهايتها سنة ١٦٧٥ م. وفي ذيلها اخبار بعض السنين آخرها سنة ١٨٠٠ م. ولا يذكر ناسخها ولا تاريخها، ومن ورقها يظهر انها حديثة.

م: نسخة المكتبة الوطنية في بيروت، دخلتها حديثاً وهي ناقصة في بدئها ونهايتها وهي بالخط الكرشوني تتناول الاخبار من سنة ١٠٩٤ الى ١٦٩٩، ولا فرق يذكر بينها وبين نسخة «ا» «ف» «ن».

ك : نسخة الفاتيكان تحت رقم ٢١٥ ، بين يدينا صورتها الفوتوغرافية وهي بالخط الكرشوني وبحالة سيئة تتعذر على المبتدئ قراءتها في مواضع كثيرة . وفيها تشطيب وتصليح وتعليق مما يدل على ان يد المؤلف قد اعملت فيها القلم اولها بدء الهجرة وآخرها سنة ١٦٨٦ م .

وهناك نسخ مختصرة عن تاريخ الدويهي منها التي ذكرناها وهي في المكتبة الشرقية وغيرها في المكتبة الاميركية ببيروت وغيرهـا في مكتبة موتيخ (باڤاريا) وغيرها كانت سنة ١٩٣٢ عند السيد فؤاد خطار في عينطورين وكلها اخذاً عن الشماس انطونيوس ان الشيخ ابو خطار الشدياق من بيت الحاج عبد النور من قرية عين طورين في جبة بشري .

م : المسودة بخط المؤلف تحت رقم ٤٨ كذا عنونها المطران بطرس شبلي مترجم الدويهي ، وقد قابل بين الخط فيها وفي سائر آثار الدويهي الخطيـة (منها المواعظ المحفوظة عند المثلث الرحمة المطران عبدالله الخوري) وانك عند مطالعة هذا الكتاب في متنه وحواشيه واستدراكاته وتصليحاته لا تشك بانه من قلم المؤلف ذاته ، فلما يكون في بعض اجزائه ، ولا بـد من وصفه بالتفصيل لما له من الاهمية في اعتمادنا المتن الاساسي للنشر .

« المسودة بخط المؤلف »

كذا عنوانها في مكتبة بكركي كما قلنا ، فهي ليست كتاباً واحداً بل مجموعة اوراق وكراريس متفاوتة الطول والعرض بعض التفاوت تقارب ٢١ سنتيمتراً طولاً و ١٥ عرضاً . عدد صفحاتها ٣٠٨ تتخللها صفحات بيضاء منها بالورق العادي ومنها بالورق العبادي ، وكلها محررة بالخط الكرشوني الا صفحة واحدة بالعربي (فيها مديح مدينة حلب شعراً ص ٢٠٥) وفيها على الهامش ، وخلال الاسطر بعض الكتابات باللغة اللاتينية ، وكذلك رقم السنين بالارقام الافرنجية ، ولا تاريخ لها في اولها ولا في آخرها وليس عليها اسم المؤلف ولا المحرر ، وورقها الرقيق متهرئ بالرطوبة ، ويتمزق بين انامل القارئ اذا لم يعالج بغاية العناية .

ولا بد من وصفها الوصف المفصل لتكون على بصيرة من امرنا ، اذا اقدمنا على اختيار المتن الواجب اعتماده في نشر وترجمة تاريخ الازمنة .

ص ١ : فيها بدء الكتاب كما في ب ت ن ط ظ ل ع و .

ص ٢ : مقدمة الصفدي .

ص ٣ الى ٤٦ : الحوادث من السنة ٦١١ الى السنة ٩٩٨ ميلادية في صفحات قسمت على عمودين رقمت فيها التواريخ اكثرها بالرقم الافرنجي ، وقد يختص العمود الايمن حيناً باخبار المسيحيين وحيناً باخبار المسلمين وخلال الاسطر في صفحتي ٣ و ١٢ يأتي اسم TEOPH وقد يكون تيوفانوس المؤرخ البيزنطي الذي عاش في القرن الثامن الميلادي والف تاريخ السنين من ٢٨١ الى ٨١٣ م.

ص ٤٧ و ٤٨ : جدول السنين الموفق بين تاريخ الهجرة والميلاد وخلق العالم مع لائحة الاشهر الميلادية والهجرية.

ص٤٩ : لائحة مؤلفات قد تكون هي المصادر التي اخذ عنها الدويهي واليكها :

« الكتاب الثاني الذي يتكلم ايضاً من امارة الترب التتوخي

فبدؤه من سنة خمسماية و ٣٧ للهجرة (١١٣٣ م) الى سنة تسعماية و ٢٢ (١٥١٦ م) فيحتوي ولاية اربعماية سنة من ملوك دمشق ومصر والترك وامارة الترب التتوخي

وكتاب دوحة الازهار الاسحاقية يبتدئ من بدئ المهاجرة الى سنة الف و ٣١ للهجرة

= المؤرخون =

قطب الدين اليونيني صنف اربع مجلدات من الذيل حوادث ٧٢٠ سنة من سني الهجرة

تاريخ مراة الزمان مبسوطة نحو ثلاثين مجلد كبار

وتاريخ للمختصر في اخبار البشر لابن ايوب صنفه عماد الدين اسماعيل بن الملك الافضل ابن ايوب وتاريخ القاضي شمس الدين خليفان

وعيون التواريخ للشيخ المؤرخ صلاح الدين محمد بن شاكر الكتبي

وتاريخ المسعودي انقطع سنة ٣٣٦

وتاريخ الكاتب جرجس بن العميد النصراني

تواريخ حمزة بن احمد بن سباط من بلاد الغرب من ثغر بيروت من سنة ٥٣٧ الى سنة ٩٣٢ للهجرة (وابن الحريري) [1]

تواريخ غوليلموس مطران صور من دخول الفرنج الى بلاد الشام الى سنة ١٨٣ ص .

---

١) ان ما وضعناه بين هلالين جاء على الهامش في المسودة دليلاً على ان المحرر وضعه بعدما اكمل متن الصفحة .

المصحف

السعد الله المعسى والحمد لله والصلاة والسلام على الله الاطاهر امه.
والانز خلائقه. الحمد لله الذى هو لا يليق الحمد الا له وحده
لا شريك له هذه صفة الله وصفاته والله اعلم والحمد لله
الذى اعلمنا الله اننا نحمد الله ابدا دائما الحمد لله الذى خلق
الانبياء و. اهدوه الله ما لم يحمد احد احدا ولا يرضاه الحمد
حتى يعلم الله انه يحمد الله. وقولنا الحمد لله الذى
لحمد الله الشاهد وعلمنا ما لم يعلم الحمد الشاهد فى هذه
الصفة وصفته وعلمنا ان نحمد. الصفة لهذه هى صفة
الشيء: فالحمد لله الذى احمد الله حتى علم ما لم يعلم ارسل ولحمد
الذى لم يحمد الله احد الا بعد ان الحمد الله هو الله الاسم
الذى سمى. والله ولا يرضاه الحمد الا به ولا يسمى بذلك. الحمد
لله رب العالمين. فاعلم ان الحمد لله هو الذى سمى
نفسه بهذا الاسم الشريف الذى هو الحمد لله فاعلم
وتعلم ان الله هو الذى حمد نفسه لا احد والحمد لله فاعلم
ان الذى يحمد الله هو الله لا غير ان الحمد لله هو الذى
حمد نفسه لا غير هو الذى حمد نفسه والحمد لله هو الذى
الذى يحمد الله لا غير والحمد لله هو الذى حمد نفسه
والحمد لله هو الذى يحمد نفسه والحمد لله هو الذى
يحمد نفسه لا غير والحمد لله هو الذى حمد نفسه
والحمد لله هو الذى يحمد نفسه والحمد لله هو الذى
المصحف: فالمصحف الذى جعله الله لا يعلم علما
ولا يعلمه احد غيره ولا يعلمه الا الله وحده لا شريك له
الا الله وحده

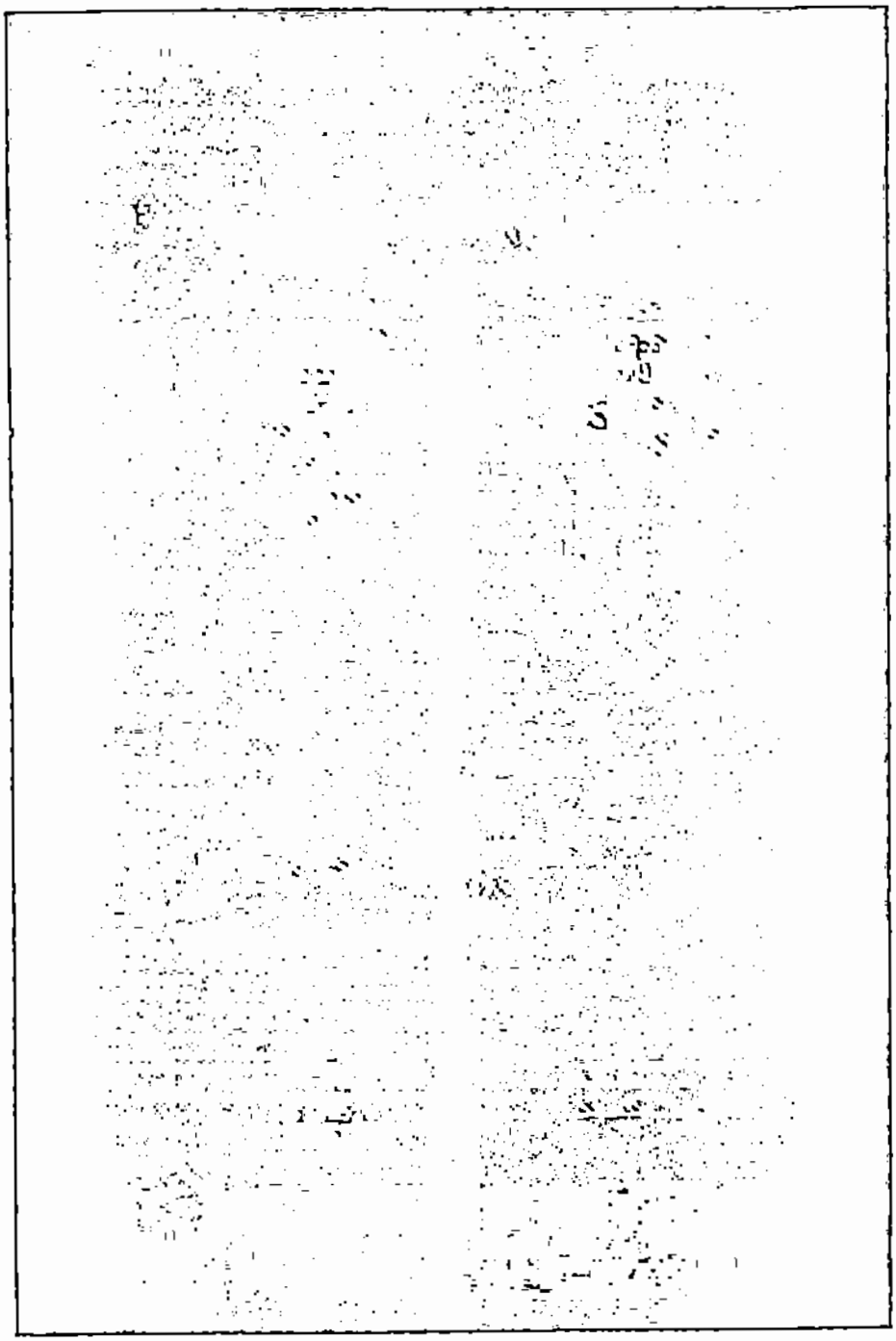

الصفحة ٣ من مخطوطة المكتبة الفاتيكانية (ف)

تواريخ لوريدان عن ملوك قبرص من بلدوين الابرص وغير ذلك من كتب التواريخ المتضمنة حوادث الزمان : [١]

ص ٤٩ الى ص ٨١ : رؤوس اقلام مختصرة عن ابن العميد وابن الحريري من سنة ٩٣١ م الى ١٠٩٧ م

ص ٨١ الى ص ٨٧ : ذكر الحوادث من ١٠٩٧ م الى ١١١٨ م دون الاشارة الى مصدرها .

ص ٨٧ الى ص ١٥٧ : موجز تواريخ ابن سباط .

ص ١٥٧ الى ص ١٥٩ مختصر اخبار سلاطين بني عثمان اخذاً عن الاسحاقي

ص ١٦٠ : حكم واقوال سطرها المحرر ولا علاقة لها بالتاريخ .

ص ١٦١ : صفحة فيها اخبار بيت جبيش التركماني من سنة ١٥١٦ م .

ص ١٦٢ : جاء فيها على الهامش : « من تاريخ احمد بن محمد الخالدي من اهالي صفد والشيخ ابو نوفل الخازن » ومن هذه الصفحة الى ص ٢٠١ سياق الاخبار من سنة ١٥٩٠ م الى السنة ١٧٠٣ م فتكون هذه المحررات ذات التاريخ المنوه به في تاريخ الصفدي الذي نشره رستم والبستاني [٢] .

فلم « يُفقد » .

ص ٢٠٤ : طريقة معرفة التاريخ الميلادي بالمقابلة مع اليوناني والقبطي والهجري .

ص ٢٠٥ مديح مدينة حلب .

ص ٢٠٨ الى ٣٠٨ : الاخبار من سنة ١٥١٧ م الى السنة ١٦٧٣ م

تلك هي مجموعة مخطوطات تاريخ الازمنة ، وان في فحصها والمقابلة بينها يتولد السؤال . هل هي من آثار الدويهي أو من آثار غيره ؟

ان اسمه ليس موقعاً بيده على نسخة من تلك النسخ ، واذا قرئ في ابتداء بعضها فهو محرر بيد غير يد المؤلف فنسخة ن الفاتيكانية الراقي عهدها الى ست سنوات بعد موت الدويهي جاء فيها بعد البسملة : « تبتدئ كتاب

١) قد تؤدي هذه اللائحة مادة لدرس لا محل له في هذا المقال

٢) تاريخ فخر الدين للخالدي الصفدي (نشر اسد رستم وفؤاد افرام البستاني) بيروت ١٩٣٦ ، ص : ب ، ج .

التاريخ للاب الاقدس والسيد الكامل الانفس البطريرك مار اسطفانوس الدويهي المدناني . . . » وكذلك ايضاً سائر النسخ الغير الناقصة في بدئها . مما يدل على ان الكتاب لم يصدر بكماله من قلم الدويهي ، ومع ذلك فهو منه ، وقد نسبه اليه النساخ اجمعون والمسودة التي وصفناها لا تترك مجالاً للشك في انها سطرت بيراعته وفي « المقدمة » على سنة ١٠٩٤ م قال : « لما خرجنا سنة ١٦٦٨ الى افتقاد الرعايا الذين اوقفنا على زيارتهم لئلا نهدر باطلاً الزمان الذي يفضل عن الارتشاد استصوبنا التقاط بعض اخبار تخص هذه البلدان المقيمين بها من الكتب التي نقف عليها . . »

فالكتاب من الدويهي ويجوز لنا ان نستند الى الحاشية التي قرأناها في ص ٤٧ من المسودة جاء فيها باللاتينية incipit 1080 2 maii 1669

فنقول انه اخذ بانتأليف سنة ١٦٦٩ م في ٢ ايار ، وذلك سنة بعد عودته من « افتقاد الرعايا » ولكن من المرجح انه لم يأت على الكتاب بكماله من غير ان يستعين بكاتب او مساعد واشفاله مطراناً اولاً ثم بطريركاً لم تكن لتترك له مجالاً واسعاً للتحبير والتصليح ، فينصرف اليه ما استطاع ويترك لغيره مهمة النسخ الى ان يبلغ الينا تاريخ الازمنة بالمخطوطات التي ذكرناها فالدويهي مرجعها الاصيل ومؤلفها بحصر المعنى .

اما بعد فاي مخطوطة منها تكون احق من غيرها بالنشر والترجمة ؟

ان الاثنتي عشرة نسخة التي وصفناها تنقسم الى فرعين : الاول يتناول الحوادث من بدء الهجرة الى سنة ١٧٠٣ م والثاني من قدوم الافرنج للحروب الصليبية في بلادنا سنة ١٠٩٥ م الى سنة ١٦٩٩ م .

اما الفرع الاول فيشمل كما رأيت نسخة ب ث ط ظ ع ك ل م والجزء الثاني يشمل نسخة ا ق ن ز .

واننا في معالجتنا الكتاب رأينا ان ننشر ونترجم الجزء الثاني للاسباب التالية :

١ً هذا القسم من تاريخ الازمنة قال فيه الدويهي : «تعبنا عليه بزيادة»[1]

---

(١) راجع الدبس : تاريخ سورية الجزء ٦ المجلد ٧ والمطبعة العمومية في بيروت ١٩٠٣ ، ص ٢١٠ سطر ٥ و ٦

٢ً ان نسخه الاربع التي بين يدينا متطابقة التطابق الحرفي التام الا في بعض القراءات الطفيفة المسببة من النساخ ، او في بعض ما يكون ناسخه قد اهمل تدوينه من حلقة سنة سقطت في مخطوط من هذه الاربع المخطوطات وظهرت بالثلاثة الباقية . وقد يتعذر تفضيل نسخة منها على غيرها لشدة تطابقها غير اننا اتخذنا نسخة ا اساساً للعمل ، وان تكن اقرب الينا عهداً من نسخة ف الراقية الى ٦ سنوات بعد وفاة الدويهي ، لاننا كنا نسخناها اولاً ، ثم تحققنا من ثم انها لا تختلف مع ف اختلافاً يستحق الذكر .

٣ً ان تطابق ا ف ن و التام دليل على ان هذا المتن المعتمد عليه من ايام المؤلف ونشره يغني عن نشر السنين الموازية له في سائر النسخ وقد يردنها حرفياً او بمعناها .

ولم نقدم على نشر الجزء الاول للاسباب التالية :

١ً ان نسخاته ناقصة ، كما رأيت ، او اذا تكملت طابقت ا ف ن و بين سنة ١٠٩٤ م وسنة ١٦٩٩ م فاغنت هذه عنها في السنين المذكورة .

٢ً تلك النسخ عسير التوفيق بينها لما يعتورها من النقائص او الزيادات ولو نمت عن تعليقات قد تكون من يد المؤلف .

٣ً ان المسودة م هي في بعض تقاطيعها من يد المؤلف لكن قد يكون بعيداً عن الصواب اتخاذها اساساً للنشر لانها كما رأيت بعضها وؤوس اقلام اخذاً عن المؤلفين الذين اعتمدهم الدويهي فلا فائدة مثلاً في نشر خلاصة ابن الحريري وابن سباط والاسحاقي وهي في المسودة كالمراجع التي يعتمدها الكاتب لنفسه لا لقرائه . وهي في زبدتها محررة في ا ف ن و على اننا قرأنا في اجزائها المحررة بيد المؤلف والقريبة العهد منه او حدثت في ايامه ، بعض زيادات او تعليقات لم نجدها في ا ف ن و فاتخذناها مادة للحواشي في ذيل الكتاب .

ولا يلومنّ لائم بابرازها « منتخبات » من المسودة لاننا لم نعتمد الا نشر ا ف ن و والله الموفق الى الصواب .

لسان العرب

حول كتاب الاب مرمرجي :

"هل اللغة العربية منطقية ؟"

بقلم منصور ابي صالح

لسان العرب ، وثبا ، واعتقل . وها هو يتحرّك لينطلق من جديد اداةً صالحة لأداء وظيفتها اما طور الاشوء فهو متوغلٌ في القدم حتى يرجع الى ما قبل سام وحام ويافث ، يوم كانوا يتفاهمون بلسان واحد .

واما عهد النموّ فقد ادّى لسان العرب الواجب المطلوب من كل لسان ، فعبّر عن فكر العرب ، ونقل اليهم علوم العصور والامم ، وحفظها وديعة تناقلها منه الشعوب التي كتب لها القدر تزعم العالم والسير في الطليعة .

واما عهد الاعتقال فله فيه مزيّة حفظ حيويته الكامنة فيه ، كعصار الشجرة المتوقف في فصل الجمد الى ان يطلّ الربيع فيدبّ الى الحياة . هكذا تغلّبت في لسان العرب مزايا البقاء على عوادي الفناء ، فلم يحلّ به ما حلّ بالالسنة القديمة كالسنسكريتية واليونانية واللاتينية ومجمل اللغات السامية – الحامية .

ومن اهم اسباب منعته :

١ً – كونه لساناً بعيداً بطبيعته عن الالسنة الهندية – الاوربية السائدة حالاً ، فلم ولن يسهل عليها التغلب عليه في عقر داره .

٢ً – كونه لساناً مقدّساً باعتقاد الاكثرية الساحقة من ابنائه فلا يسهل لاحدى اللهجات الخاصة (كالعراقية والشامية والمصرية والمغربية) ان تستقل عنه وتؤلف لغات جديدة تحلّ محله ، كما جرى للغات الهندية – الاوربية .

واما تغلبه على سائر الالسنة المصطلح على تسميتها بالسامية او السامية – الحامية كالارامية (السريانية والكلدانية) والعبرية والكنعانية او الفينيقية وسواها فلأنها كلها شقيقاته حتى يمكن القول انها كلها تؤلف معه لساناً

واحدًا بمفرداته بوصيغه الاسمية والفعلية ، ولا تختلف عن بعضها الا بمفردات قليلة ولهجات متفاوتة تبعاً لاقطاره بين فتح وضم وكسر ، فالباب يلفظه اللبناني الشمالي « بُوب » وهي اللهجة الموروثة عن الكنعانية ، والجنوبي الشيعي « بيب » ، وسواهما « بَاب » ؛ وبين الابقاء على حركة الاعراب المنونة : بابٌ – باباً – بابٍ (وهو الترنم البدوي الباقية آثاره في :

« اقلي اللوم عاذل والعتابْ
وقولي ان اصبت لقد اصابْ »

وفي : « وقاتم الاعماق خاوي المخترقْ
مشتبه الاعلام لماع الخفقْ »

الى آخر القصيدتين) . . . او اهمال الحركة والتنوين معاً وهي قاعدة الجزم الارامية المطّردة فكل اسم منتهٍ باطلاق الصوت في آخره يجوز به حذف الف الاطلاق والوقوف به على السكون فلديهم :

يومُا (السريان) يوما (الكلدان) ويومْ .
وبيتُا (») بيتًا (») وبيتْ
ونفشُا (») نفشًا (») ونفشْ الخ .

ويمكن القول بالنتيجة ان لسان العرب لهجة سامية – حاميّة تغلبت على سائر اللهجات بحكم القرابة والسهولة اولاً ، وتغلّب الامة العربية ثانياً . والا فكيف امتنع على الفارسية واليونانية واللاتينية والتركية وسائر لغات الامم الفاتحة ان تتغلّب على اللغة الوطنية وقد سادت تلك الامم ولا سيما اليونان والرومان على البلاد العربية (اليوم) احقاباً متطاولة قد تزيد كثيراً على المدة التي استطاعت اللغة العربية ان تتغلّب فيها على اللغات الوطنية .

واما عهد النهضة وفكّ العقال فلا يزال في مبتداه وقد طرق بابه المستشرقون القائمون بخدمة حكوماتهم اطلاعاً لها على ما يهمها من امور الشرق ، فدرسوا الالسنة الشرقية على اساليبهم الخاصة ، ففتحوا بذلك ابواباً جديدة للدرس والبحث ، والعلم لا وطن له ولا جنس ، ويضيق المجال عن التبسط في البيان عنهم وعن الخدم الجليلة التي ادّوها .

ومن حسن الحظ ان سرت الينا العدوى وامتدّت الشعلة فبدأ بعضنا بالروية

والتنقيب من الشدياق الى اليازجي وزيدان وامثالهم . فكان لهم فضل المتقدم الحامل اللواء او قائد الحملة ، وحسبهم النهوض بالدعوة وتنبيه الافكار الى النزول بالمضمار . فحق لهم الشكر والاجر سواء توفقوا ام اخفقوا . بل المحقق اجران عن جهده وبلائه وعن مرارة اخفاقه .

ومن المتقطعين لهذا البحث حضرة الاب مرمرجي فقد آمن بالقاعدة الثنائية ، وانكب على درسها لاعتقاده انها « من انجع الذرائع لاصلاح المعجمية العربية» (صفحة ٦ من كتاب المعجمية العربية المنشور سنة ١٩٣٧) ولهذا نشر كتابه الثاني « هل العربية منطقية ؟ » وهو موضوع هذه الكلمة :

١

موضوع الكتاب

١ - ابحاث ثنائية

قال المؤلف : « ان المعجمية العربية لا منطقية لانها مبنية على قاعدة جعل المادة الثلاثية مبدأ لتفرع المفردات

غير ان هذه الخطة المعيبة ظاهرية من شأنها الزوال اذا تغير وضع المعاجم واقيم اساسها لا على الثلاثية بل على الثنائية .

هذا ما حاولنا اثباته في كتابنا « المعجمية العربية » وهذا ما نحن غير منفكين عن السعي في تحقيقه . وها نحن نسرد طائفة من الامثلة تظهر فيها اللامنطقية طالما هي باقية على الحالة الثلاثية وتتجلى فيها المنطقية التامة حين معالجة اشتقاق الالفاظ وتطور فحاويها طبقاً للنظرية الثنائية » (صفحة ٤ من الكتاب)

وحلّل نحو عشرين لفظة تحليلاً مفصلاً ، وتطرق استطراداً اثناء ابحاثه الى نحو مئتي لفظة .

وقد بدأ الكتاب بالافعال « ساد ، خدر ، هلب ، رجم ، حرب الخ . . . » فرأى في معانيها تبايناً وتنافراً وعدم منطقية حين بقائها على حالتها الثلاثية . بيد ان ذلك يتلاشى دون مرية فتبرز المنطقية للعيان اذا بدأنا الاشتقاق من الثنائي (ص ٦ و ٨ سد . ص ٦ خد — ص ٨ هل . وج — ر الخ)

وان الثلاثي غير ناشئ عن ثنائي واحـد بل عن ثنائيين او ثلاثة كَلَم وضَعُفَ وطلع ونهر وهلب الخ .

مثاله :

هلب = كثر شعره من لب بمعنى التلبد بزيادة الهاء تتويجاً

هلب = نتف ، جزّ من هب بمعنى قطع بانزال اللام اقحاماً

هلب = امطر من هل المطر بمعنى اشتد انصبابه باضافة الباء تذييلاً

وهكذا بسائر الامثلة وهي طريقـة Mayer Lambert يراجع (Moscati) ويجاريه عليها الشدياق (سرّ الليال ص ٤) ثم اليازجي (في الامالي اللغوية) ثم زيدان في (الفلسفة اللغوية ص ٥٧)

٢ً – الثنائية مبطلة الضدّية واصل مادتها

ثم عقد المؤلف فصلين احدهمـا رأى به الثنائية مبطلة للضدية اي وجود كلمات كثيرة كل منهـا بمعنيين متعاكسين مثل (الجون) المراد به الاسود والابيض معاً ... وان من جملة الوسائل لمحو الضدية ردّ مادتها الثلاثية الى ثنائيين يكون كل منها اصلاً للثلاثي في احدى الدلالتين (ص ١٣٥) وهو تزكية لما سبق له (ص ١٢) وضرب على ذلك امثالاً غير قليلة اولها :

ابض = سكن وتحرك – ضد

فقال ان ابض في المعنى الاول صادر عن الثنائي « بضّ في بضا وباض » اقام في المكان وسكن وبالمعنى الثاني من « ابّ الشيء حرّكه » الخ ...

٣ً – الثنائي اصل الثلاثي والرباعي

وثانيها اثبت فيه « ان الثلاثي المعاد اليه الرباعي قابل الرد هو ذاته الى ثنائي وان الثنائية هي الاصل وما البقية سوى فروع او مشتقات منها » (ص ١٤٥) مثاله : دحرج = مشتقة من دحر المشتق بدوره من دح ودحا

ولا تفوتنا الاشارة الى ان المؤلف بكل ابحاثه لم يقتصر على العربية بل قارن بينها وبين سائر اللغات السامية من اكّدية (البابلية – الاشورية القديمة) وآرامية (كلدانية وسريانية) وعبرية وحبشية . وفي هذا من النصب والجهد ما فيه .

٢

نشوء اللسان

المذهب المعوّل عليه قديماً وحديثاً عند العرب والعجم هو ان اصل اللغة الطبيعية الاصوات الحيّة في الحيوان والانسان .

قال الاب لار : « ليس الولد يتكلم بل هي الطبيعة تتكلم بلسانه»[1] ثم تدرج الانسان الى تقليد الاصوات الجامدة كدق الحجر وخرير الماء ودوي الريح الخ . ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد[2] .

ثم تطورت وتعددت الى ان بلغت ما هي عليه اليوم . ولكنّها لم تخرج عن السنن الفطرية الاولية الّا ما وضعه العلماء بالنص وفي الغالب لم يخرجوا به عن السليقة ، وعلى هذا يستحيل التحول باللغات والا انتهى التحول الى غرائب مضحكة تذكرنا « الانداس من التدليس »

أ - نشوء الاحادية

قال فريق ان اللغة نشأت احادية وان كل حرف يؤدّي معنىً خاصاً به . وبالواقع فان ضمير المتكلم بالاشورية والمصرية القديمتين « أ » لا اراه بعيداً عن لغة العرب في قولهم افعل فهذه الهمزة حالّة محل « أنا » . وقد لاحظت ولداً لم يتجاوز السنتين يقول « أأضربك » بمعنى « أنا اضربك » جواباً لمن قال له « سأضربك » . ولا شك بانه لم يسمع ذلك من احد بل هو ينطق بالسليقة الغريزية وقد سمعته ايضاً يختصر الالفاظ الطويلة فيسمي البندورة « بونا » والقراصية « ديسا » بحيث كوّن لنفسه لغة خاصة يفهمها ذووه وحدهم .

وعليه كان المذهب الاحادي غير مستحيل وقد قال به الكثيرون وآخرهم المرحومان حبيب الشماس وتلميذه الدكتور ايلي كنعان وكانت تركتهما بهذا الموضوع مندمجة ببعضها لدى ورثة الثاني اطلعت عليها على اثر وفاته ، ثم لدى اطلاعي عليها من عهد قريب اذا بمخطوط المرحوم الدكتور كنعان وحده فاقتبستُ منه ما يلي :

---

١) الفلسفة للاب لار (طبعة ٨) ج ١ ص ٢٠٤

٢) ابن جني

ب = صوت ماء نابع = مخرج طريق بيت
ت = التراب اليابس
ث = صوت السائل المبثوث تحت ضغط = ماء يتفجر
ج = اجيج جلبة
ح = صوت خفيف = رحب اتساع
خ = رخو لزج
د = صوت الدبيب والثقل والتصدي
ر = صوت الماء الجاري المكرر = التكرار
س = صوت احتكاك الرمل بالرمل والسير على الحصى الدقيق الناعم (اضعف من الزاي)
ش = صوت الحشيش اليابس = الجفاف والنشاف
ص = صوت الصوان = قاس
ض = صوت الضوضاء
ط = الصوت الوطيء
ع = صوت ماء عالٍ = اشعاع اضطراب
غ = صوت غموض عدم وضوح = ابهام
ف = صوت زفزفة وتطيب = فوران نار او هبوب ريح
ق = صخر = قوة ثقل
ك = اضعف من القاف
ل = صوت تجمع وتلوّ = حرف جرّ
م = صوت تسكين، سكون اجتماع، سكون مياه مجتمعة
ن = صوت الماء والهواء المحصور المتحرك
ه = صوت الهواء . العدم

وقد قال الشدياق بالاحدي . وانّ المعاني التي عينها لبعض الاحاد توافق ما اقتبسناه عن كنعان والشماس، وكذلك ما ورد للبستاني (الخوري بطرس) في مقدمة البستان، وما قاله اخيرًا المرحوم نجيب خلف من ان النون يفيد

معنى الخروج والظهور . والزاي : التضيّق والتلزز . والميم : الضم والجمع . والراء : التكرار .

وقد روى لي شقيقي يوسف ، وشهادته مما يؤخذ به ، انه اجتمع بصديقه المرحوم الدكتور كنعان في طرابلس وتباحثا في الموضوع فاخذ يوسف المعجم يقلبه في مواضع مختلفة ويسأل الدكتور عن معاني الغريب فيه فيجيبه الدكتور عن معنى كل حرف بحيث يتألف من المجموع معاني الالفاظ وفقاً لما ذكر في المعاجم واذا به يقتنع .

بعد هذا ارى المذهب الاحادي ليس غريباً عن المعقول .

ولكن يبقى علينا ان نعرف هل يعقل ان تردّ كل الالفاظ الى الاحادي . والا فما هو الحد الذي تقف عنده .

انني لا اتردد بالجواب ان من المعقول طبيعياً ان تكون البشرية عهد طفولتها نطقت بالاحادي نطقاً اولياً لا يتعدّى الالفاظ العادية البسيطة على نحو قول الولد عفواً « أأضربك »، أأكل ، أأشرب ، أأنام . وكل هذه الالفاظ مستمدة منه .

فعلى هذي هذه الفطرة الطبيعية يجب درس اللغات .

وقد قال بعضهم ان اللغة الاولية اقتصرت على بيان الضروريات من المعاني الوجدانية والطبيعية وبعض الافعال والاسماء الكثيرة العروض في التقلب والمعاش في احوال البداوة الاولى وهو الصواب ولا يجلوه الا تتبع اللسان كلمة كلمة .

٢ – نشوء الثنائي

ان القول بالاحادي لا يعدو الاحرف والالفاظ المركبة منها تركيباً اشبه بالاصوات الموسيقية دون المنطقية ، ولا شك أن معانيها تدرجت مع الاستعمال الى شيء من الاستقرار والتمييز بحيث اصبح للالفاظ المعاني التي توصل اليها الناس وكنعان . الّا ان ذلك لا يمنع ان تكون نشأت على الاثر قاعدة جديدة ثنائية فالطفل الذي يقول (أ) اذا ما كبر ترشده الطبيعة الى تقليدها وايجاد حرف ثان يتصل بالاول فيقول أنْ او انا او سوى ذلك عفواً : بر ثر . قد شد الخ .

وهكذا نشأ الثنائي متحرك فساكن، ودلّ على معانٍ عديدة لم يتيسر للغة

الاحادية التعبير عنها . وقد قال بالثنائي جلة الباحثين من المتقدمين والمتأخرين بين عجم وعرب ومنهم حضرة المؤلف وما هو بالاخير .

(يراجع الشدياق في سرّ الليال واليازجي في الامالي اللغوية وزيدان في الفلسفة اللغوية وقد سبقهم الى كل ذلك المستشرقون)

واذا كان الاصل الثنائي ثابتاً بالاتفاق فيبقى نشوء الثلاثي منه عقدة العقد تتضارب فيه الابحاث وكلها لم تؤدِّ الى نتيجة .

وقد مرّ بالقارئ اعتماد الاب مرمرجي على الحرفين الاولين واعتبار الحرف الثالث مزيداً اولاً او وسطاً او اخيراً موافقاً من سبقه بهذا الرأي .

وليس من الصعب ايجاد امثلة على ذلك كما ورد للمؤلف في هلب وامثالها وكلها لا تخرج عن التخمين والتحكم ، خلافاً لما تقدم من ان اللغات تنشأ نشوءاً طبيعياً مطّرداً الا لعائق لفظي او معنوي يميل باللسان الى الشذوذ بحيث يبقى الشذوذ امراً معقولاً له سبب مبرر .

اما ان نعرض لكل لفظة حلاً خاصاً بها فشيء خارج عن السنة الطبيعية .

٣ – نشوء الثلاثي من الثنائي

اما القاعدة الصحيحة فقد طرق بابها اليازجي ووضع يده على المفتاح ثم اقفل على نفسه دون ان ينتبه لها وذلك انه اشار الى النحت في الثلاثي وضرب امثلة (على النحو الذي يقول به الاب مرمرجي) فقال : نبض الماء اذا سال يصحّ ان يكون من نضّ بزيادة الباء او من بضّ بزيادة النون او من كليهما بان نويَ تركيبهما معاً وجعلهما كلمة واحدة ثم حذف احد المتماثلين وهو الضاد . واضاف : « بعق » من بقّ وعقّ ، وبعج من بعّ وعجّ ، وعبط من بطّ وعطّ ، وبتك من بتّ وبكّ ، وقش من قمّ وقشّ الخ . . . ولعمري ان ذلك كله غير طبيعي ولا معقول اذ ايّ بدوي يحضره اللفظان « نضّ وبضّ » فيعالج لسانه ليسقط الضاد الاول ويقول نبض واذا فعل الا يأتي سواه فيبدأ ببضّ ويسقط ضاد نضّ فيصبح لديه بضن . فالطريقة الطبيعية للعامة ان يجعلوا من نضّ بضّ نضبض ومثله بعبج وبقعق وبتبك الخ .

وواصل اليازجي بحثه فوقع على المفتاح في انع : زعم من انّ ونحّ الا

انه تابع قواه : وان شئت جعلته من احّ ونحّ قدلّ على انه لا يزال يضرب في الحدس والتخمين. ثم اشار الى « عبر النهر » : قطعه قائلاً « انه اشبه ان يكون مأخوذاً من العباب والبر لان العابر يقطع الماء الى البر »

وهذا هو الصواب لان المرء يقول بالسليقة نبّ . بضّ ثم يتدرّج اللسان بالتأدي الى القول نبض .

والمتثبت من ذلك يمكن الرجوع الى اي مادة شئت في اللغة ولنبدأ بالمادة نفسها من اوّلها اي نبّ وما يثلثها فنراها كلها جارية هذا المجرى على النحو التالي :

نبأ (من نبّ اي طلع وبا من بأبأ اسم صوت) طلع الخبر .

نبت (من نبّ اي طلع وبتّ اي قطع مستأصلاً) طلع من شق الارض .

نبث (من نبّ اي طلع وبثّ الخبر نشره) اطلع الخبر ونشره ومن سجعات الاساس : يتنابثون عن الاسرار ويتباحثون عن الاخبار .

نبج (من نبّ وبجّ اي شقّ) طلعت القبجة من جحرها (والقبجة واحدة القبج اي الحجل) تطلق على الذكر والانثى .

نبح (من نبّ وبحّ حكاية خشونة الصوت وغلظه)

نبخ (من نبّ وبخّ نفط وحمض) بمعنى احتسر العجين ومنه النبخة الكبريتة

نبد (لم ترد)

نبذ (من نب طلع او اطلع وخرج او اخرج وبذّ فاق وغلب) اي تفوق عليه فاطرحه ولم يعتد به .

نبر (من نب وبر اسم صوت دعاء للنعم وبرْبرَ الناس اكثروا الكلام تخليطاً مع غضب ونفور) زجر وانتهر رافعاً صوته .

نبز (من نب وبزبز رمى به ولم يُرِدْهُ وبزّ اخذه بجفاء وقهر) عيّره .

نبس (من نب وبس بس دعاء وزجر برفق ولين وبسّ غاثه بثّها) تكلم برفق ومنه قوله :

وتكلموا في امر كل عظيمة لو كنت شاهد امرهم لم ينبسوا

اي لم يتكلموا ولو كلمة رقيقة ناعمة .

نبش (من نب وبشت الارض اخرجت اول نباتها) استخرج وكشف . واذا طبقت القاعدة الاحادية على هذه اللفظة كانت اجلى لتصريفه ان النون تحريك او اخراج الشيء المحصور والباء المخرج والشين الجفاف والنشاف .

نبص (من نب وبصبص ظهر اول النبات وبصّ الماء رشح كبضّ) بمعنى نبس واخرج الكلمة متحذلقاً كأنه صلصلها وصفاها .

نبض الماء (من نب وبضّ الماء سال قليلاً قليلاً ورشح والعين دمعت) وقد فسّر البستان نبض هذه بقوله غار تبعاً القاموسيّين وهو تفسير سابي كأنه يقول غار الا القليل الراشح منه وكان حقّه ان يقول سال قليلاً كما نصّ في الثاني بضّ الا ان اليازجي عندما فسّر نبض قال « سال الماء » وكلا التفسيرين تنقصه الدقة . ومنه نبض العرق تحرك وضرب والنبض حركة القلب الظاهرة في الشرايين وكله يدل على الحركة الخفيفة المتتابعة .

نبط (من نب وبط بجّ اي شقّ) نبع . والبئر استخرج ماءها .

نبظ (لم ترد)

نبع (من نب وبع بع حكاية صوت الماء المتدارك وبعّ الماء اذا صبّه) خرج الماء من العين .

نبغ (من نب والبغبغة حكاية بعض الهدير) الشيء خرج وظهر وفي الصنعة اجاد

نبق (من نب وبق) الشيء خرج

نبك (من نب وبك وبكّ خرق وفسخ وازدحم) المكان ارتفع ومنه النبك .

نبل (من نب وبلّ الداهية) بمعنى نبغ اي ذكا ونجب .

نبم (لم ترد)

نبه (من نب وبه وبه كلمة تقال للشيء اذا عظم كبخ بخ وتبهبه القوم تشرفوا وتعظموا) شرف واشتهر .

واذا انتقلنا الى اللفظة الثانية « بق » ورجعنا الى اول المادة كان لنا

بعث (من بع عث) وبعج (من بع عج) وبعد (من بع ، عد) وبعر (من بع ، عر) وهكذا الى آخر المادة فلمن شاء ان يتتبعها.

واذا اخذنا « بتك » التي قدّر اليازجي نحتها من بتّ وبكّ او (من احدهما وتكّ) لوجب ان يتألف منهـا بحكم السليقة بتبك او بكتك ولكن اذا طبقنا عليها القـاعدة وعدنا الى اول المادة كان لنا بتر بتع بتك بتل وعند تتبع معاني ثنائياتها ترّ وتعّ وتكّ وتلّ تظهر صحة القاعدة جلاء كما يظهر ان المهمل من اللغة اكـثر من المستعمل اذ لم يرد في المعاجم بتأ وبتث وبتج وبتح وبتخ وبتد وبتذ وبتر وبتس وبتش وبتص وبتض وبتظ وبتغ وبتف وبتق وبتم وبتن وبته.

اما بتا فموجودة ولكنها من بتّ وبات.

فيمكن عند الحاجة الالتجاء الى هذه الجذور وتأليف كلمات جديدة منها للمعاني الحادثة وما اكثرها ولهذا كان المرحوم اليازجي يعلق اهمية كبرى على تقرير هذه القاعدة وذلك قوله « وهـذا (اي النحت) ولا شكّ من المباحث الغريبة على سمع اللغوي اذ لم يسبق من قال بالنحت في الالفاظ الثلاثية وانما الذي طرق لنا المخالفة اليه والتصريح به ما نطمع فيه بعـد تقريره من الفتح الكبير الكافل بسدّ كثير من حاجات اللغة في هذا العصر فان وقفنا منه على السداد لم نمنع غرابته من تقليب النظر فيه وتوسم وجوه النفع منه والا فلا اقل من شفاء الصدر من امر يحكّ فيه » (الامالي اللغوية في مجلة الطبيب السنة الاولى صفحة ١٢٩)

وان نأسف على شيء فعلى عدم توفقه الى ما كان يصبو اليه . ولو اهتدى الى القاعدة لكان اتى بالعجب العجاب لمكانته من اللغة وانصرافه بكليته الى خدمتها لا يشغله عنها شاغل فكان اولى العلماء بوضع ما نحن بأمسّ الحاجة اليه فيأخذ الجمهور بما يليه دون منازع.

واذا انتقلنا الى الامثلة التي ضربها الشدياق كقوله بطّ من بط بزيادة الباء (تتويجاً) او من بط باقحام العين (سر الليال صفحة ٤) . والامثلة التي ضربها زيدان شلق وشرق من شق باقحام اللام والراء ورفت ولهب (من

فت وهب) بزيادة الواو والهاء (تتويجاً) والامثلة التي حللهـا المؤلف الاب مرمرجي لم تخطئ القاعدة بل تبدو كفيلة بحلها كلها بصورة مطّردة ما خلا بعض الالفاظ النادة عن موردها كأن تكون اجنبية عن سلسلتها او مقلوبة عن حرف آخر .

٤ - نشوء الثلاثي الاصيل

كما ان الاحادي لم يمنع نشوء اصل ثنائي جديد فكذلك الثنائي وما تفرّع عنه لا يمنع نشوء اصل ثلاثي جديد مستقل عنه وهوذا الدليل :

درج التجار على استعمال لفظة (تيل) بمعنى أبرق أخذاً من لفظة تليغرام. فهذه لفظة اجنبية من يستطيع القول بثنائيتها وما يمنع ان يكون نشأ الكثير من امثالها سواء من اصل عربي ام اعجمي على ان ابن جني وابن علي الفارسي قالا : « ان ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب » فاخلق بهذا القول ان يكون صحيحاً فاذا كان تلفون اجنبياً فان تلفن يتلفن ومتلفن هي عربية وخذ مثلاً الالفاظ المتناهية في القدم كالزيت والقمح والخبز وما الى ذلك وخصوصاً اسماء الاعيان فكلها اشتق منها افعال لا عداد لها حتى ان بعض الاحرف اشتق منها افعال كقولهم لَوْلَيْتُ (من لولا) كما قالوا اوّى (من او) فهل يمكن رد فعل لولى الى اصل ثنائي .

والنتيجة المحتومة ان الثلاثي موجود وجوداً اصلياً لا يمت الى الثنائي بصلة.

ولدينا ابلغ من ذلك وهو ان الثلاثي الناشئ عن ادغام ثنائيين كما تقدم يصبح ذا معنى مستقل عن اصله كالنبع مثلاً الناشئ عن الثنائيين نبْ وبع فبحاله الثلاثية يصبح له معنى جديد غير معنى الثنائيين وان تكن الصلة بين الاصل والفرع واضحة على نحو الاوكسجين والايدروجين المؤلف منهما الماء فلكل منهما معنى مستقل اما بحال مزجهما فيخرج منهما معنى الماء والنبع وهو غير الاوكسجين والايدروجين . ومثله النبخة (الكبريتة) من نَبْ وبخ ومعناها غير معناهما .

وبهذه الحال ليس ما يمنع اعتبار النبع الثلاثي اصلاً جديداً قائماً بنفسه مستقلاً عن الثنائي وان يكن ناشئاً عنه فكيف اذا بالثلاثي الاصيل الذي لم ينشأ عن ثنائي.

وعليه كان الصواب فيما ارتآه الاب فليش حيث يقول (في الدروس التي

يلقيها في معهد الاداب الشرقية »: « اذا باشر المرء عمله معتبراً الثنائية امراً مفروغاً منه فيكون اثبت مجاناً دون اثبات ما كان يجب اثباته واقامة الدليل عليه فيلزم اذاً درس كل الفاظ اللسان المبحوث عنه قبل اثبات القاعدة » الى ان يقول: « فالجواب العام لا يمكن اعطاؤه الا بعد درس جميع المفردات السامية القديمة وتحليلها الى ثنائي »

واما قوله: « ان كل اللغات السامية هي ذات اصل ثلاثي ما خلا الالفاظ الثنائية القليلة (٣٠ لفظة حققها نولدكه) فنظنه لا يلبث ان يعيد نظره فيه ويرى ان الاصل الثنائي هو الاصل الغالب.

٥ً - نشوء الرباعي والخماسي

ان بَرْبَرَ وامثالها : بجبج ، بجاج ، بلبل ، بلبال ثَرْثَرَ صَرْصَرَ جَلْجَلَ الى هَلْهَلَ ونظائرها الكثيرة في كل المراد هي مضاعفة الثنائي ومتى وجد الثنائي بُرْ او بَرْ او بِرْ الخ يصح تضعيفه اذا اقتضاه المعنى وبالعكس اي بحال وجود المضاعف فقط دون الثنائي كوجود زعزع دون زع يصح استنتاج وجوده واستعماله وحده اذا اقتضاه المعنى ولو لم تذكره المعاجم.

واما سائر الرباعي مثال بعثر ، بعزق ، بجدل ، دحرج وسواه الكثير فهو فصائل مختلفة.

منها ما يردّ الى الثنائي او الاحادي كدحرج من دحر ورجّ ودحر من دح وحر وبعثر من بعث وثرّ وبعث من بع وعث .

ومنها ما هو ثلاثي مزيد عليه حرف للمبالغة بالمعنى كحذلق من حذق واشمخرّ من شمخ وبلطح من بطح وزحلق من زحق ومنه قول العامة لهدنا خليص من خبص ولفبط وتلفبط او غلبط وتغلبط من غلط وطربق من طبق.

ومنها ما هو منحوت بصراحة كحَبْزَمَ والمُحَبْرَم (ماء حب الزمان) الى غير ذلك.

ومنها ما هو اصيل كالثنائي والثلاثي الاصيل نحو دَرْهَمَ ومَفْنَطَ وعَسْكَرَ واننا نضرب الامثلة من اصل اعجمي عمداً للقطع بتأصيله دون جدل ولا نعدم وجوده عن اصل عربي الا اننا لسنا في مجال استيفاء البحث والا لزمنا

مجلد كامل ومن شاء استيفاء هذا الباب فليراجع مطالعة « الاشتقاق من اسماء الاعيان » (صفحة ٢٣٢) من مجلة مجمع اللغة العربية الملكي الجزء الاول سنة ١٩٣٤

واما الخماسي فالمدون منه قليل يجري مجرى الرباعي وليس تحته كبير امر كجحمرش وشمرور وصمصم وسرعرع وقمدل الى آخر ما ورد في كتب اللغة. قال اليازجي: « ذكروا ان الالفاظ الخماسية لا تتجاوز اثنتين واربعين لفظة مع انه يمكن ان يصاغ منها ستة الاف الف وثلاث مئة وخمسة وسبعون الفاً وست مئة وذلك من الخمسة والعشرين حرفاً دون تكرير شيء منها. »

٦ – في المنطقية – والضدية

يرى المؤلف ان اعتماد الثنائي يزيل التنافر ويبطل الضدية ويجعل اللغة منطقية الا اننا نرى في الواقع الالفاظ الثنائية المبحثة واردة في المعاجم وهي غير منطقية. والدليل ايراد المؤلف منها ساد ومال وباع وسرّ وشكواه من عدم المنطقية فيها، وشكواه صحيحة حتى اذا عمد الى تنسيقها بانت منطقية. وهكذا يقال بكل الالفاظ الثنائية او ما فوقها فاذا لم يراع المؤلف المنطق وطبيعة اللغة ونشوءها بقيت المعاجم ركاماً اعجمياً سواء الثنائية وما فوقها ومن شاء مزيد الايضاح فليطالع مادة كفّ في اي معجم شاء ويرى ما فيها ثم يرجع الى مقدمة البستان (صفحة ٤٣) يطالع فيها المادة عينها مأخوذة عن اليازجي فيرى اي انسجام فيها ويتحقق ان القصور وارد عن مؤلفي المعاجم واسلوبهم بايراد المعاني شتاتا ثم اكتفاء اللاحق بالنقل عن السابق نقلاً حرفياً لا يجرأ فيه على تبديل حرف بحرف

واليك هذا المثال:

اذا اخذت اول حرف من المعجم « ابّ » تراه في كل المعاجم كما يلي أبَّ للسير اذا تجهز له، و– الرجل صاح، و– الى وطنه حنَّ اليه، و– هزم بحملة صادقة، و– يده الى سيفه ردها اليه ليستله، و– الشيء حركه، و– ابه قصد قصده.

فما هذه الرجوم المتراكمة واي منطق يربطها وما هي علاقة تجهز بصاح وحنّ بهزم ومد يده بحرك الشيء وقصد؟

ولكن اذا نسجت هذه المادة على ما يتراءى لنا لجاءت كما يلي :

ابَّ : تحرّك وحرّك

ابَّ الرجل : تحرك صائحاً من فرح او حنين الخ

ابَّ اليه : تحرك كحركته بمعنى قصد قصده

« للسير : تحرك له بمعنى تجهز

« الى وطنه : تحرك اليه حنيناً

« على خصمه : حمل عليه حملة صادقة هزمه بها

« الشيءَ : حرّكه

« يده الى سيفه : مدها اليه ليستله

الأَبُّ : ما تتحرك شهوة البهيمة الى رعيه من الكلأ وهو لها بمنزلة الفاكهة للانسان

الاباب : الحراك مطلقاً

والغريب ان المعاجم الكبرى لم تذكر المعنى الاصلي حرّك الا في آخر المادة ، واغفلت تحرّك . واما المعاجم الموجزة فقد اغفلتها معاً بدلاً من ان تبحث عن المعنى الاصلي وتنص عليه وتكتفي به او ترد اليه ما رات ان تذكره من الفروع .

واما الضدية فهي واردة عن اعتبارين فاذا صح ازالتها من مادة الجون (الاسود والابيض) كما اراد المؤلف فيما تقدم فكيف يمكن ازالتها من باع بمعنى (اعطى واخذ) اي باع واشترى واصلها ثنائي من مدّ الباعين (باع البائع وباع الشاري) لعقد الصفقة كما صرّح المؤلف فثنائيتها اصلية ولم تمنع التضاد فيها وكذلك سرٌ على النحو الذي ذكره المؤلف .

اما ان نشرح ونفصل تفصيلاً منطقياً فهذا لا يزيل الضدية ولكنه يطلها ويبررها ليس الّا ، واولى علاج للضدية اهمال احد المعنيين من المعاجم كمعنى الشراء من باع تبعاً لجمهور العامة التي لا تفهم بالبيع الا البيع لذلك تقول البائع والشاري .

٧ – ٤٤٤٤٤

خلص المؤلف الى النتيجة الآتية :

من المتحتم تلافي المعجمية الحالية واعادة بنـائها على اساس حديث متين اساس الثنائية (صفحة ١٥١).

اما الحاجة الى تلافي الخلل واعادة البناء فهذا ما يشعر به كل ناطق بالعربية – واما الاساس ففي النفس منه شيء.

ان الثنائية طريقة فعالة جداً ولكن لا يجوز الاقتصار عليهـا ، وفيما قدمنا ، على اقتضابه وايجازه ، غنى .

خطط دمشق

بقلم صلاح الدين المنجد

١٣

باب جيرون

باب جيرون هو الباب الشرقي في سور معبد جوبيتر الخارجي، وقد اختلف في معنى هذه الكلمة . فذهب بعض المؤرخين العرب إلى أن جيرون هو جيرون بن سعد بن عاد ، وبه سميت جيرون[١] . وجعل المسعودي جيرون هذا من الأحقاف[٢] ، في حين ذكر البدري أن الذي بنى باب جيرون هو سليمان عليه السلام، بنته له الشياطين . وكان الذي تكفل ببنائه اسمه جيرون[٣]

فنسبة هذا الاسم ، عند العرب ، تقترب من الأسطورة ولا تستند إلى أساس صحيح .

أما العلماء المحدثون ، فذهبوا في معنى هذه الكلمة مذاهب أخرى.

فذهب سوقاجه أن أصل الاسم ما يزال غامضاً[٤] .

واعتقد دوسو Dussaud أن الكلمة مشتقة من الجذر GYR أو GWR الآرامي. ومعناها « الحرم » أو الملجأ الذي يكون من دخله آمناً[٥] . فيكون معنى باب جيرون إذن ، باب الحرم .

وهذا المعنى قريب من الحقيقة ، لأن هذا الباب كان يُفضي إلى معبد جوبيتر ، هذا المعبد الذي مَن دخله وأوى إليه كان آمناً .

وقد شُهر هذا الباب بضخامته وروعته ، حتى انه نُسب إلى صنعة

١) صبح الأعشى ٤ : ٩٣

٢) مروج الذهب ، (طبعة باريس) ٣ : ٢٧١

٣) نزهة الأنام ، ص ٢٣

٤) Sauvaget, *M. H. D.*, p. 27

٥) Dussaud, *Temple de Jupiter Damascénien. Djairoun*, (dans *Syria*, T. III, 1922) pp. 240 - 245.

الشياطين . وكانت العرب تنسب كل ما عظم صنعه إلى الجنّ والشياطين .

وقد كانت شهرته ذائعة منذ العصر الجاهلي ، فقد ذكر عديّ بن زيد (جيرون) في شعره لما ورد دمشق فقال :

وربّ دار بأسفل الجرْع من دو مة أشهى إليّ من جيرون
وندامى لا يفرحون بما نا لوا ، ولا يرهبون صرف المنون [1]

وذكرته الشعراء في القرن الأوّل للهجرة أيضاً . وصنع معبد لحناً في شعر ، فيه ذكر جيرون . وهو :

القصر فالنخل فالجبّا بينهما أشهى إلى النفس من أبواب جيرون [2]

أما وصف باب جيرون فقد ورد عند المسعودي . ولعله أقدم من وصفه ، لأنه شاهده في القرن الرابع . قال : « وباب جيرون بنيان عظيم عليه أبواب من النحاس عجيبة . »[3]

وفي هذا القرن — أي الرابع — نجدهم يستون ما بين هذا الباب والباب الذي في سور المعبد الداخلي (أي باب المسجد الشرقي) سوق جيرون [4] .

ثم أطلق هذا الاسم ، في القرن نفسه ، على باب الجامع الشرقي . قال المقدسي : « باب البريد على اليمين كبير ، وله فرخان عن يمين وشمال . وباب جيرون على اليسار ، على ما ذكرنا . ويُصعد إليه في درج يجلس فيه المنجمون »[5]

وقال ياقوت أيضاً : « المعروف اليوم أن باباً من أبواب الجامع بدمشق — وهو بابه الشرقي — يُقال له باب جيرون . وفيه قوّارة ينزل عليها بدرج كثيرة ، في حوض من رخام . وقبة خشب يعلو ماؤها نحو الرمح »[6]

وهذه القوّارة التي يذكرها ياقوت كانت انشئت في القرن الخامس سنة

١) الأغاني (دار الكتب) ٢ : ١٠٢
٢) الأغاني (دار الكتب) ١ : ٨
٣) مروج الذهب (طبعة باريس) ٣ : ٢٧٢
٤) المصدر السابق
٥) أحسن التقاسيم ، ص ١٥٨
٦) معجم البلدان (طبعة وستنفلد) ٢ : ١٧٣

٤١٦ هـ. وجرت سنة سبع عشرة وأربعمائة. وقد أجرى ماءها الشريف القاضي فخر الدولة أبو يعلى حمزة بن الحسن[1].

وهكذا نجد أن اسم باب جيرون انتقل من الباب الشرقي في سور المعبد الخارجي الى الباب الشرقي في الجامع نفسه.

وقد وصف باب جيرون ابن جبير الذي زار دمشق في القرن السادس فقال:

«وباب جيرون مفروش بالبلاط الطويل العريض (يقصد باب الجامع) وهو خمسة أبواب مقوسة لها ستة أعمدة... وقد انتظمت أمام البلاط أدراج يتحدر عليها الى الدهاليز، وهو كالمندق (يقصد سوق جيرون) العظيم يتصل الى باب عظيم الارتفاع، ينحصر الطرف دونه سموّا، قد حفّته أعمدة كالجذوع طولا وكالاطواد ضخامة (يقصد باب جيرون الاصلي). وبجانبي هذا الدهليز أعمدة قامت عليها شوارع مستديرة فيها حوانيت العطّارين وغيرهم، وعليها شوارع مستطيلة فيها الحجر والبيوت. وفي وسط الدهليز حوض بانبوب صفر (يقصد الفوّارة) يزعج الماء بقوة فيرتفع إلى الهواء أزيد من القامة، وحوله أنابيب صفار ترمي الماء علوّا فيخرج عنها كقضبان اللجين، وكأنما أغصان تلك الدوحة المائية ومشاتلها ابدع من ان يوصف»[2].

وفي القرن السادس نجدهم يُطلقون اسم جيرون على المحلّة كلها. فقد احترقت سنة ٥٥٩ هـ بعد رجوع أسد الدين شيركوه الى دمشق. فقال عرقلة الشاعر يمدحه ويذكر ذلك:

جار صرف الردى على جيرونِ وسقى أهلها كؤوس المنونِ
أصبحت جنّة وأمست جحيماً تتلظى بكل قلب حزينِ
كيف لا تُذرف الدموع عليها وهي في الشام نزهة للعيونِ
حبّذا حصنها الحصين لقد كا ن جمالاً لكل حصن حصينِ
كل حين لها حريق جديد ليت شعري ماذا لها بعد حينِ
كل هذا البلاء عاقبة الفسق وشرب الخمور والتلحينِ[3]

وتدلّنا هذه الأبيات على جمال جيرون، وأنها كانت نزهة للعيون، وأن حصنها كان رائعاً جميلاً، وأنها قد احترقت قبل هذه المرة بدليل قوله:

---

١) تهذيب ابن عساكر لبدران ٩ : ٢٠٤
٢) الرحلة، ص ٢٦١ وما بعدها؛ ونزهة الانام، ص ٥٧
٣) كتاب الروضتين ١ : ١٣٣-١٣٢

« كل حين لها حريق جديد »

والبيت الأخير يشير إلى أن جيرون كانت محل فسق وشرب خمر ولهو. لأن جمالها ، وحسن نافورتها يساعدان على ذلك . يؤيد ذلك أن ابن رجب ذكر: « أنهم جعلوا الملاهي في دولة الأفضل ابن صلاح الدين على درج جيرون. فجاء الحافظ عبد الغني المقدسي يوماً فكسر شيئاً عظيماً منها. »[1]

وقد تغنى ابن منير بظباء جيرون فقال :

ولي في باب جيرون ظباء أعاطيها الهوى كأساً فكاسا[2]

فكلّ ذلك يدلّ على ما كانت عليه محلة جيرون من الجمال وما كان فيها من اللهو .

على أننا نلاحظ أنه أصبح لباب جيرون الأول شأن ، في القرن السابع ، وكان سبباً لمناقشات بين الفقهاء ، وتأليف رسائل فيه .

فقد كان هذا الباب في الأصل ، باباً كبيراً في الوسط ، على جانبيه فرخان ، أو بابان صغيران. فحدث أن سُدّ الفرخ الشمالي واتخذ داخله مسجداً. ويحدثنا أبو شامة عن سبب ذلك في رسالته المسماة « الباعث على إنكار البدع والحوادث ».

يقول أبو شامة :

« ذكر لي بعض من لا يوثق به ، في شهور سنة ست وثلاثين وستماية أنه رأى مناماً يقتضي أن ذلك المكان دُفن فيه بعض أهل البيت . وقد أخبرني عنه ثقة أنه اعترف له أنه افتعل ذلك . فقطعوا طريق المارة فيه ، وجعلوا الباب بكماله مسجداً منصوباً . وقد كان طريقاً يضيق بسالكه . »[3]

وسئل علاء الدين ابن العطار ، العالم المحدّث المتوفى سنة ٧٢٤ عن هذا الباب والمسجد فقال :

« ان الضريح باطل محدث لا أصل له . احدث لاغراض فاسدة في المائة السابعة . ولم يذكره الحافظ أبو القاسم ابن عساكر في قبور دمشق . ولا يُعرف في ذرّية علي بن ابي

---

١) ذيل طبقات الحنابلة (مخطوطة في الظاهرية رقم ٦١ تاريخ) ورقة ١٨٣ ب

٢) معجم البلدان

٣) قرة العيون في أخبار باب جيرون (مخطوط في الظاهرية) ورقة ٤ آ

طالب بأنّ اسمه ملكه ، فيجب إزالته وإعادته إلى ما كان عليه ، وهو طريق للمسلمين مشترك بين خاصتهم وعامتهم . . . »(١)

وألّف ابن ناصر الدين المتوفى سنة ٨٤٢ هـ ، جزءاً يتعلّق بالمكان المذكور قال فيه :

« وسبب هذه البدعة الشنيعة أن بعض السوّال جلس عند الباب ، وسأل الناس من دنياهم ، فكأنه لم يُفتح عليه بشيء . فأدخل رأسه في جيبه وزبق ثم رفع رأسه صائحاً : يامعشر المسلمين ها هنا قبر الست ملكة ، وأنتم تمشون فوقها ، فاجتمع حوله عوام الناس واعتقدوا صدقه . . . فتموا الناس من المرور في ذلك المكان ثم بنوه مسجداً وأحدثوا فيه قبراً لا على شيء ، ونقشوا على عتبة الباب اسم ملكة بنسب غير صحيح » .(٢)

وفي القرن الثامن احترق باب جيرون . ذكر ابن شاكر في حوادث سنة ٧٥٣ :

أنه وقع في سادس عشر صفر حريق عند باب جيرون وارتفع ارتفاعاً عظيماً واستمر الى أثناء النهار . . . واستمر بالباب الاصفر النحاس ، فبادر ديوان الجامع اليه فكشفوا ما عليه من النحاس ونقلوه من يومه إلى خزانة الخاصل بقصورة الحلبية بمشهد علي . ثم غدوا عليه يكسرون خشبه بالفؤوس وكان من خشب الصنوبر ، وهو في غاية القوة والثبات . وتأسف الناس عليه لكونه من محاسن البلد ومعالمه ، وله في الوجود ما يقيف على اربعة آلاف سنة ، ولم ير باب أوسع منه ولا أعلى فيما يعرف من الأبنية من الزمان منه ، وله غلفان من النحاس الاصفر بمسامير كبار من النحاس بارزة . وهو من عجائب الدنيا ومحاسن دمشق .»(٣)

وفي القرن التاسع أصاب البابَ حريق جديد في فتنة تيمورلنك ، فاحترق المسجد المنصوب أيضاً وزال ، ولم يبقَ من آثاره سوى النقش على الباب .

ولم يزل المسجد كوم تراب عدة سنين حتى جاء كمشبغا طولو ، وكان نائباً بقلعة دمشق بعد الثلاثين والثمانماية . وكان من خواصه شخص اسمه فارس ، فعمد الى هذا المكان ، وأعاد بناءه مخزناً توضع فيه الأخشاب وغيرها . وكانت تقع فيه منكرات يراها المارّة . ووُجد فيه قتيل في بعض الأحيان . ثم تهدم وزال سقفه . فسعى بعضهم في تجديد عمارته بتسليط الرافضة ، فبلغ ذلك أهل السنة ، فصدّوا عن عمارته ، ورفعوا قصته إلى السلطان الملك

١) قرة العيون في أخبار باب جيرون ورقة ٥ آ
٢) المصدر السابق ، ورقة ٦ آ
٣) المصدر السابق ، ورقة ١ آ

الأشرف قايتباي ، فرسم بما ذكره العلماء . وورد مرسومه بذلك في شهور سنة اثنين وتسعين وثمانمائة . ففتح الباب ، وأعيد طريقاً للدارة ، وأزيل النقش المفترى [1]

وفي القرن العاشر بُني في هذا الباب الصغير المنقوش أعلاه ، حائط وكذا قبليه ، وجعل مخزن حطب للقرن قبليه .

ثم أحدث نائب الشام جان بردى الغزالي ، لما أراد الخروج على السلطان سليم بن عثمان ، داخل الباب الكبير بوابة بقنطرة حجر . وأخذ قبل أن يركب لها باباً . [2]

* * *

هذا مجمل ما وجدناه من النصوص العديدة عن باب جيرون وسويقة جيرون وحلة جيرون ، حتى القرن العاشر . ويبدو أن المسجد قد أعيد في

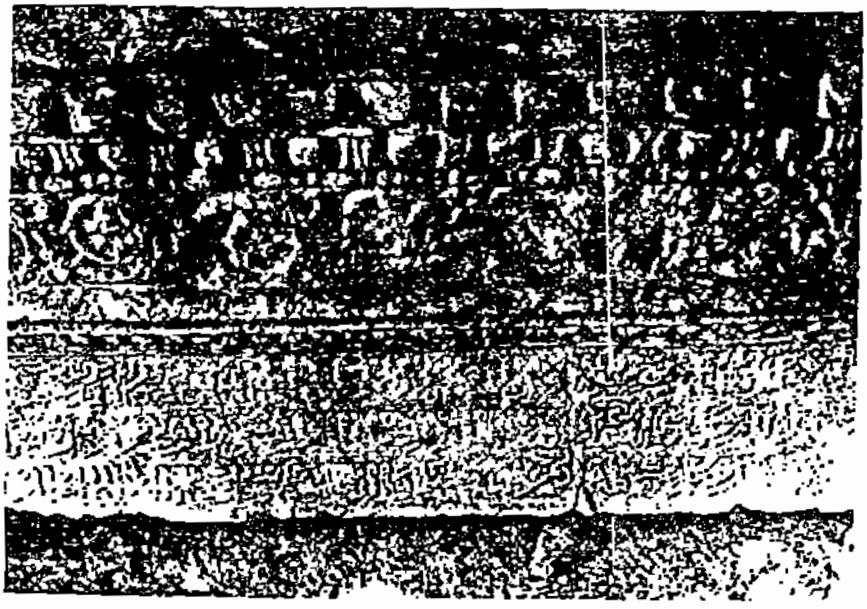

المرسوم المملوكي فوق باب جيرون الصغير

١) المصدر السابق ورقة ٦ ب

٢) المصدر السابق ورقة ٦ ب

العهد العثماني . وما يزال قائماً في أيامنا . ومـا تزال عضادتا الباب الكبير قائمتين . أما البابان الصغيران ، فالجنوبي مـسدود تُرى عتبته داخل دكان . والشمالي كان مختفياً تحت الدور ، حتى كان عام ١٩٤٦ فكشف في عهد مدير الآثار السورية السيد فرانك براون . وظهر على عتبتـه نصّ المرسوم الذي أرسله قايتباي .

وقد رممت مديرية الآثار يومئذ هذا الباب من الداخل ، أي من المسجد وظهر تحت الباب بئر .

وفي اوائل عام ١٩٤٨ بينما كانت بلدية دمشق تشقّ الطريق في النوفرة إلى هذا الباب (أي بسوق جيرون) امارة القُنى التي تسوق المياه القذرة وُجدت الأرض الرومانية لباب جيرون الكبير ، على عمق ٤٣٠ سم .

١٤

تربة العفيف بن أبي الفوارس

في الكتاب الثالث من « مباني دمشق الأيوبية » لسوڤاجه دراسة بعنوان « قبر مقفل »[1]

وقد ذكر المؤلف أن المصادر لم تقدم له أيّ عنصر لبيان نسبة القبر.

وهذا القول آتٍ عن عناية المؤلف بالأمور المعمارية ، وإهماله في دراساته، أحايين كثيرة ، التفصيلات والامور التاريخية . لأن هذا القبر معروف ، وهو تربة العفيف بن أبي الفوارس .

فقد ذكر أبو شامة[2] ما يلي:

« وفي ثامن رجب (سنة ٦٦٣ هـ) توفي العفيف بن أبي الفوارس وكان شاباً حسناً تولى عمالة الجامع ، وعمالة خزن الأيتام جمعا له لحذقه بهذه الصناعة . ودُفن بالتربة التي أنشأها والده جوار الخانقاه الشيلية بسفح جبل قاسيون، وكان أبوه أعدّ القبر لنفسه فدفنه فيه. »

واجهة تربة العفيف بن أبي الفوارس.

---

١) Sauvaget, *Monuments Ayyoubides de Damas*,III, p. 137.

٢) ذيل الروضتين (القاهرة ، ١٩٦٧) ص ٢٣٠

وقال دهمان :

« وأما تربة العفيف ففي غربي الخانقاه الشبلية ، وعلى مقربة منها . ويدعوها العوام بعائشة الباعونية المتوفاة سنة ٩٢٢ هـ . وقد جاء هذا الوهم من أن الجنينة التي لصيق هذه التربة كانت تدعى الجنينة الباعونية . فاستنتجوا من ذلك أنها هي عائشة الباعونية . ووجود الخانقاه الشبلية على مقربة منها شاهد على أنها تربة العفيف . ثم طراز بنائها أيوبي لا مرية فيه . وهو مخالف كل المخالفة لطراز البناء في آخر العصر المملوكي . » (١

وقد أثبت ـ وفاجه أن البناء أيوبي .

وأما الخانقاه الشبلية التي سر ذكرها في نص أبي شامة فهي شمالي المدرسة الشبلية التي بناها شبل الدولة كافور المتوفى سنة ٦٢٣هـ ، يفصل بينهما الطريق[٢]

وقد رأيتُ نصف عتبتها العليا ، وقد رُميت في تربة العفيف ، وما تزال[٣] .

واجهة تربة العفيف بن أبي الفوارس ، وبقايا القناطر و × تشير الى مكان الخانقاه الشبلية

ويتضح أن التربة ليست مجهولة . وقد كان فيها مسجد اسمه مسجد العفيف بالشبلية[٤] . ولم يكن المدفون في التربة وضيعاً ، رغم بساطة القبر ؛ بل كان نابهاً ، حاذقاً تولى عمالة الجامع وعمالة مخزن الأيتام .

وقد حدّد دهمان موقع هذه التربة في مخطط الصالحية[٥]

---

١) القلائد الجوهرية لابن طولون (تحقيق دهمان) : انظر باب التراجم والخوانق .

٢) انظر مختصر تنبيه الطالب ص ٩٣ و ١٤٦ - المروج السندسية لابن كنان ص ٤١

Sauvaget, *M. A. D.*, III, p. 131–136.

٣) انظر الكتابة المنقوشة على هذه العتبة في : Répertoire,

٤) القلائد الجوهرية

٥) رقم ١٠٧

١٥

تربة معين الدين أنر

في شهر آب من عام ١٩٤٦ ، كنا نبحث عن المدرسة الحصية التي تذكر المصادر أنها عند الشامية البرّانية . فلفت نظرنا وجود طاحون قديمة في جنوب الشامية ، أمامها باب ضخم عضادتاه رومانيتان ، بحجارة سود ، نقش عليها عناقيد العنب وورق الكرم . ودخلنا ، من هذا الباب ، إلى صحن دار أو مدرسة قديمة ، تحيط بها غرف صغار ، بنيت بالحجر ، يدلّ لحنها انها من أواخر عصر المماليك . وفي جنوب الساحة ، وجدنا قبة قديمة ما يزال أعلاها المبني بالآجرّ باقياً . وقد هدم القسم الأعلى من طاستها وسُطّح . ولها ، في هذا القسم ، ثمان نوافذ سُدّت كلها .

قبة معين الدين

ووجدنا لهذه القبة باباً ، قد سُدّ ، وهو من شمالها أعني من ناحية صحن الدار . وعلى الباب عتبة فيها كتابة بخط نسخي أيوبي . وقد ترك بعض كلماتها بلا نقط .

وجهدنا في قراءة الكتابة ، بعد تنظيفها ، فإذا فيها ما يلي :

١) بسم الله الرحمن الرحيم . يا ايها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا

٢) ولا يغرنكم باقه الغرور . عملت هذه القبة على قبر الامير الاسفهسلار الكبير
٣) اتابك معين الدين الفقير الى رحمة الله الشهيد السعيد انر رحمه الله . توفي يوم الأحد
٤) سابع عشر ربيع الاول سنة اربع واربعين وخمسماية وا [و] قفت الخاتون الكبيرة امار رحمها
٥) الله على هذه القبة البستان التي (كذا) تحتها والفندق واثنا عشر دكان وثلثة عشر بيت وقف عليها .

باب تربة معين الدين أنر

وكانت مفاجأة. فقد كنا امام قبة الاتابك معين الدين أنر صاحب دمشق، والملقب بملك الامراء[1] والذي تزوج نور الدين ، ومن بعده صلاح الدين ، ابنته عصمة الدين صاحبة التربة الخاتونية بالسفح .

ومعين الدين هو الذي أنشأ المدرسة المعينية بحصن الثغيين[2]. وهي من اوليات المدارس التي انشئت بدمشق . وكان على بابها ما يلي: .

« بسم الله الرحمن الرحيم . أنشأ هذه المدرسة المباركة الأمير الكبير الاسفهسلار معين الدين أنر بن عبد الله عتيق الملك المجاهد المرابط الغازي طغتكين من خيرات سيده المرحوم وذلك في سنة اربع وعشرين وخمسماية . »[3]

ولم يذكر النعيمي في كتابه تنبيه الطالب ، والعلوي والبقاعي وبدران

١) تنبيه الطالب للنعيمي ١ : ٥٨٨
٢) هذا هو الاسم الصحيح للحصن . وقد أخطأ جعفر الحسني في تنبيه الطالب عندما أثبته الثغيفين (ص ٥٨٨) . وهو مقابل حصن جيرون . الأول من غرب المسجد والثاني من شرقه .
٣) *Répertoire*, VIII, p. 165, N° 3033

في مختصراته ، تربة معين الدين هذه في باب التبن . وإنما ورد في الروضتين نقلاً عن القلانسي أن معين الدين :

« قضى نحبه في ليلة الثالث والعشرين من ربيع الآخر ودُفن في إيوان الدار الأتابكية التي كان يسكنها ثم نُقل الى المدرسة التي عمرها . قال أبو شامة : قبره في قبة بظاهر المعونة شمالي دار البطيخ الآن واسمه مكتوب على بابها . فلعله نقل من ثَمَّ إليها » (١)

وذكر الذهبي في مختصر تاريخ الاسلام « أن قبره في قبة خلف دار البطيخ . »(٢)

وأوضح في العبر انه مدفون بقبته التي بين دار البطيخ والشامية .(٣)

وهذه الأوصاف كلها تنطبق على مكان التربة .

وقد تبين لنا أن هذه التربة اتخذت داراً فسُدّ بابها الشمالي ، وفتح باب جديد من الشرق على الزقاق وجعل باباً للدار .

* * *

أما الكتابة التي على عتبة باب التربة فذات شأن :

١ً – فهي تصحح تاريخ وفاة معين الدين الذي ذكره ابو يعلى . فقد ذكر أنه توفي في ليلة الثالث والعشرين من ربيع الآخر ، بينما تنص الكتابة أنه توفي في سابع عشر ربيع الأول .

٢ً – تحدد لنا مكان دار البطيخ ، وهي دار البطيخ الثانية ، وليست العتيقة .

٣ً – تدلنا على ان التربة عُملت بعد وفاة معين الدين . وهذا يؤيد ما ذكره أبو يعلى وأبو شامه من أنه نقل إليها . وتدلنا على أن ابنته وقفت عليها أوقافاً من بينها الفندق .

٤ً – لا نعلم فندقاً كان في ذلك المكان الا الذي كان غربي دار البطيخ والذي ورد ذكره في الكتابة المنقوشة على عتبة باب جامع التوبة . ولعله هو المقصود .

---

١) الروضتين ١ : ٦٤

٢) تنبيه الطالب ١ : ٥٨٨

٣) تنبيه الطالب ١ : ٥٨٨

وقد حددنا موضع التربة في مخطط دمشق القديمة .[1] وعسى أن تُعنى دائرة الآثار بهذه التربة فتسجلها وترممها وتحول دون إخفاء معالمها وتخريبها.

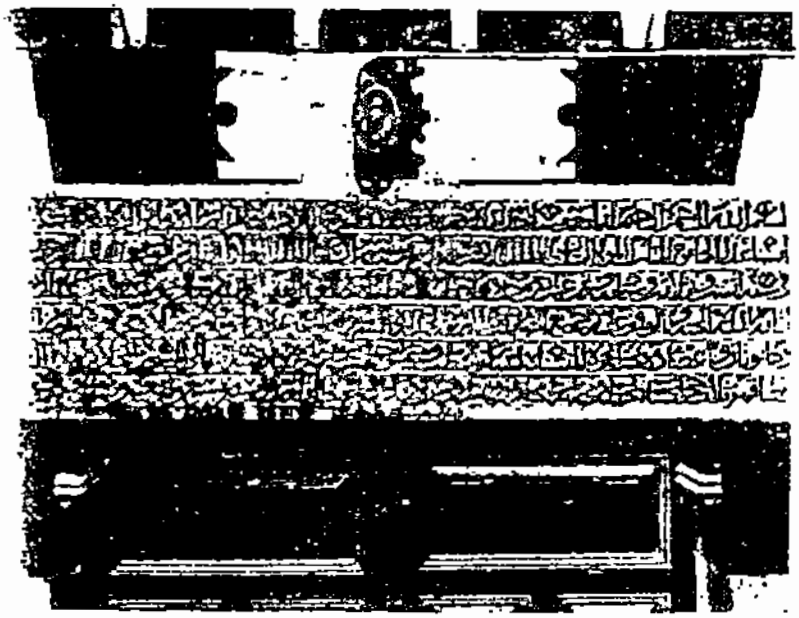

الكتابة الموجودة فوق عتبة جامع التوبة

١) للتوسع في ترجمة معين الدين انظر :
الروضتين ص ٦٤ ١٠٦
ذيل تاريخ دمشق للقلانسي ، ص ٣٠٦ (وانظر الفهرست)
تنبيه الطالب ١ : ٥٨٨
مختصر التنبيه ص
Sauvaire, *Description*, *J. As.* 1894, II, 321
وقد زرنا التربة أول مرة مع الشيخ دهمان . ثم زرناها مرة ثانية في تشرين الثاني ١٩٤٦ مع السيد فرنك . ا . براون ، مدير الآثار السورية يومئذ ، وصور التربة من تصويره.

١٦

تربة سُتَيتَة

زوجة تنكز

بناء أثري مسجّل ، يرجع عهده إلى زمن المماليك يقع في زقاق المحكمة[1] .

ورد اسمه في قائمة الأبنية الأثرية المسجلة « تربة الشيخ نحلاوي » والصحيح أن اسمه الاول هو « تربة الخوندة ستيتة » وهي زوجة نائب الشام تنكز (ـ ٧٤٠) ، وابنة الامير كوكباي ، توفيت سنة ٧٣٠ هـ .

وقد أثبت النعيميُ في التنبيه ، والمطويُ في مختصره[2] . هذه التربةَ في باب الترب باسم « التربة الكوكبائية » وحددا موقعها شرق الاكزية وغربي الطيبة .

وذكر ابن كثير أن « الخوندة ستيتة بنت الامير سيف الدين كوكباي زوجة نائب الشام تنكز ، توفيت بدار الذهب ، وصُلي عليها بالجامع ثالث رجب ، ودُفنت بالتربة التي أمرت بإنشائها بباب الخواصين . وفيها مسجد ، وإلى جانبها رباط للنساء ومكتب للايتام »[3]

وعلى باب هذه التربة كتابة في سطرين بخط نسخي مملوكي جميل ، هذا نصُّها الصحيح :

١) بسم الله الرحمن الرحيم . امر بانشاء هـذه التربة المباركة المقر الشريف[4] العالي المولوي الاميري الكبيري الغازي المجاهدي

٢) المالكي المخدومي السيفي سيف الدنيا والدين تنكز نائب[5] السلطنة المعظمة بالشام المحروس عز نصره . وكان الفراغ في شهر ذي الحجة [سنة] ثلثين وسبعماية .

---

١) مخطط دمشق القديمة ، رقم ٦٠

٢) مختصر التنبيه ، ص٣٠٥

٣) البداية والنهاية ١٤ : ١٥١

٤) أثبتها طلس في ذيل مثار المقاصد ص ٣٤٨ : « الأشرف » ، وهو خطأ

٥) أثبتها طلس في ذيل مثار المقاصد ص ٣٤٨ : « بدر » وهو خطأ

ويدل نص ابن كثير على انها هي التي أمرت بانشاء التربة ، على حين تدل الكتابة التي على بابها أن زوجها الامير تنكز هو الذي أمر بذلك .

وقد ذكر النُعيمي نقلاً عن البرزالي أنها « دُفنت بمكان اشترته لدفنها إلى جانب المدرسة الطيبة بقرب الخواصين ، داخل دمشق . وشرع في عمارة المكان الذي دُفنت فيه ، وأحضرت الآلات والصناع . وبلغني انها اوصت أن يُعمل قبة على الضريح وفي جواره مسجد ورباط للنساء ، فعُمل ذلك جميعه .»[1]

فتكون ستيتة هي التي اشترت المكان، وأمرت بانشاء التربة ، والمسجد والرباط . فلما توفيت أمر تنكز بعمارة ذلك .

* * *

أما نسبة التربة الى النحلاوي فآتية عن كونها أصبحت في القرن الثاني عشر الهجري زاوية يقيم فيها الأذكار الشيخ أحمد النحلاوي المتوفى سنة ١١٥٧ هـ وكان عارفاً ناسكاً . وكان مقيماً في المدرسة النورية عند محكمة الباب ، ويقيم الذكر في هذه التربة التي اتخذت اسماً جديداً هو الخاتونية. وقد دُفن بها عند وفاته .[2]

وقد وصف وثاجه هذه التربة وصفاً موجزاً .[3] وأبان طلس حالتها الحاضرة .[4]

١) تنبيه الطالب (مخطوط بخزانة المجمع العلمي بدمشق رقم ٣٧) ص ٤٨٢

٢) انظر ترجمته موسعة في سلك الدرر للمرادي ١ : ١٦٦ - ٢٠٥

٣) Sauvaget, *M. H. D.*, p 69.

٤) مُنار المقاصد ، (الذيل) ص ٢٤٨

١٧
أوهام آثارية

١

نعرض هنا نماذج من الاوهام الآثارية التي صادفناها أثناء مطالعاتنا في الكتب التي أُلفت عن آثار دمشق وتاريخها الطبوغرافي .

فما وجدناه في كتاب اسمه « نزهات أثرية » ألفه الدكتور سليم عادل عبد الحق ، يوم انعقد مؤتمر الآثار الاول للبلاد العربية ، ليوزع على أعضاء المؤتمر المذكور ما يلي :

١ ــ جاء في المخطط الذي صدّر به المؤلف كتابه اسم « التابتية » وهو خطأ . والصواب أنه « المدرسة الأتابكية » . انشأتها الحجة الاتابكية خاتون زوجة الملك الاشرف الايوبي ، المتوفاة سنة ٦٤٠ هـ .

مئذنة المدرسة الأتابكية

انظر : تنبيه الطالب للنعيمي ١ : ١٣٩ – البداية والنهاية ١٣ : ٢٧ ، ١٦١ – ذيل الروضتين ص١٧٣ – غُرَر الفوائد ص١٩٦ – سوثابية = M. H. D. ، ص ١٠٠

٢ ــ وجاء في المخطط اسم « المدرسة الشركسية » . وهو اسم عامي . والصواب « المدرسة الجهاركسية » . بنيت للامير جهاركس الصلاحي المتوفى

سنة ٦٠٨ هـ. وقد يُقال له في بعض المصادر جركس ، وعندئذ يمكن تسميتها « الجركسية » .

انظر : مختصر التنبيه ص ٨٢ - البداية والنهاية ١٣ : ٦٢ ، ١٥١ - ذيل الروضتين ص ٧٩ - سجل الكتابات = Rép. ، ١٠ : ٦٤

٣ - وجاء في المخطط اسم « تربة اليغمورية » . وهذه الاضافة غير صحيحة أولا . والاسم كله خطأ ثانياً . والصحيح أنها « تربة العالمة أمة اللطيف » ، كما تشير إلى ذلك الكتابة القديمة الموجودة في الحائط الجنوبي منها ، المطل على الصحن .

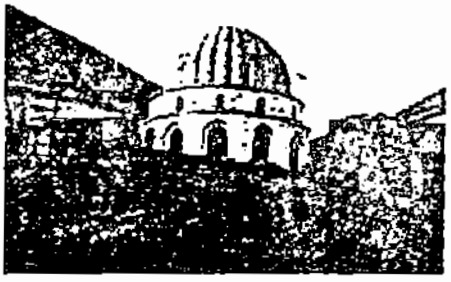

تربة أمة اللطيف

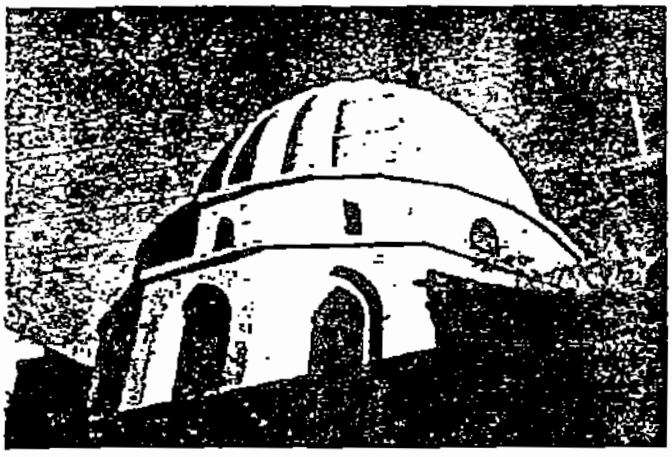

قبة تربة أمة اللطيف

انظر : المشرق ج ٣ ، ١٩٤٨

٤ - وجاء في المخطط اسم « المدرسة المريدانية » وهو خطأ . ولا ندري إلى أي شيء نسبة هذا الاسم الذي أثبته . والاسم الصحيح هو « المارداتية » أوقفتها زوجة الملك المعظم ، وبنت صاحب ماردين سنة ٦٢٤ هـ ، بعد أن

أنشأتها سنة ٦١٠هـ. وقد وردت هذه اللفظة أيضاً في الكتابة القديمة الموجودة على باب المدرسة المرشدية ورسمت « المارداني ».

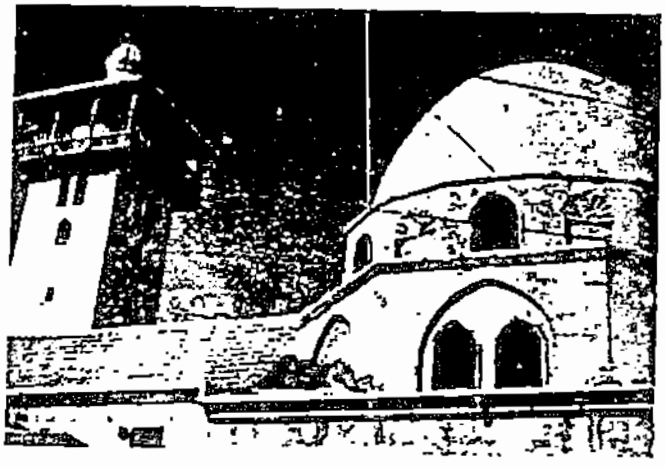

المدرسة المارداني
الفية والمئذنة

انظر : مختصر التنبيه ص ١٠٧ – التنبيه ١ : ٥٦٣ – المروج السندسية ص ٥٤ – مثار المقاصد ص ٢٤٦ – سجل الكتابات ١١ : ٢٢٣.

٥ – وجاء في المخطط اسم « تربة الدحداح » وهو خطأ. فهناك أمام مقبرة مرج أبي الدحداح تربتان. الاولى – وهي التي أثبتها الدكتور سليم عادل – تسمى « التربة المنكورسية » كما تدل الكتابة الموجودة داخل التربة على القبر. وهي تنسب إلى الامير الكبير السعيد الشهيد فخر الدين موسى ابن مظفر الدين عثمان ابن ناصر الدين منكورس المتوفى سنة ٧٠١ هـ.

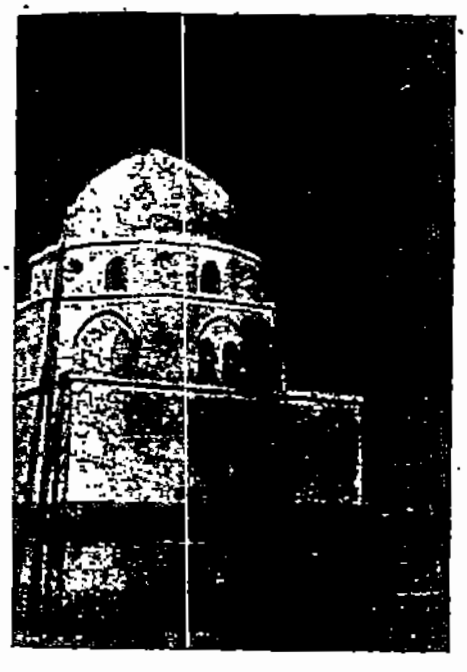

التربة المنكورسية

وإلى غرب هذه التربة تربة ثانية تزعم العامة أنها تربة عبد الرحمن حفيد أبي بكر الصديق . وقد انكر ذلك الاستاذ محمد دهمان في مقال نشره في مجلة التمدن الاسلامي .

انظر المجبي ١ : ٢٠٠ – ثمار المقاصد ص ٢٣٨ .

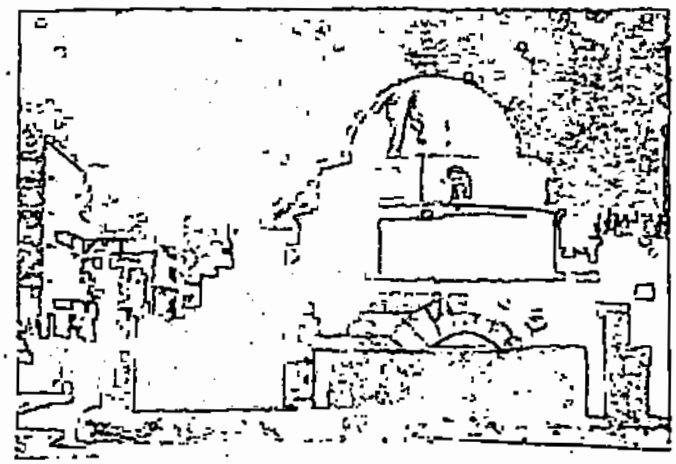

تربة ابن المقدم بعد ترميمها

٦ – وجاء في المخطط اسم « تربة طلحة » وهو اسم عامي . والاسم الصحيح « تربة ابن المقدم » التي تنسب إلى الامير ابراهيم بن محمد بن المقدم المتوفى سنة ٥٩٧ هـ . ولنا في نسبة هذه التربة رأي نحتفظ به الآن.

انظر : مختصر التنبيه ص ١١٠ – تربة ابن المقدم لخالد معاذ (بالفرنسية) – دراسات معمارية ، دمشق ، لمرزفلد ١ : ١٤

٧ – وجاء في المخطط اسم « جامع السادات » ، وهو اسم عامي ، وغير صحيح في عاميته أيضاً . فالاسم العامي هو « جامع السادات الزينبية ». وأما الاسم الذي تذكره المصادر القديمة فهو « مسجد القصب » وقد اطلق عليه أيضاً اسم « جامع منجك » بعد ان جدده الامير ابن منجك .

انظر : البداية والنهاية ١٤ : ٩١ ، ١٣ : ١٤٧ – وقد وهم طلس في تسميته أيضاً في ذيل ثمار المقاصد .

٨ – وجاء في المخطط اسم « جامع الورد » وهو اسم عامي اطلق على الجامع في العصر الاخير . والاسم الصحيح « جامع برسباي » لان برسباي نائب الشام هو الذي امر ببنائه .

٩ – وجاء في المخطط اسم « جامع الشامية » وهو خطأ . فهذه مدرسة اسمها « المدرسة الشامية البرّانية » أمرت ببنائها ست الشام اخت صلاح الدين. وقوله هذا خلط بين المدارس والجوامع.

انظر : البداية والنهاية ١٣ : ٤٨ – ذيل الروضتين ص ١١٩ – مختصر التنبيه ص ٤٦

١٠ – وجاء في المخطط اسم « جامع يلبغا » وهو خطأ. وما ندري لماذا جعل المؤلف الاسم ممدوداً وأثبت الهمزة في آخره . والاسم الصحيح «يلبغا» وهو الامير سيف الدين نائب الشام .

انظر : البداية والنهاية ١٤ : ٢٥٦ – نزهة الأنام في محاسن الشام ص ٦٥، ٨١ – ثمار المقاصد ص ٢٥٩ .

١١ – وجاء في المخطط اسم التربة الاخنائية وهذ خطأ . فهذه مدرسة فيها قبر الواقف ، محمد بن محمد الإخنائي المتوفى سنة ٨١٦ هـ . وهكذا يخلط المؤلف بين التربة والمدارس .

١٢ – ومثل ذلك قوله في المخطط « التربة الجقمقية » وهو خطأ . فهذه مدرسة أيضاً ، وفيها قبر الواقف . جددها سيف الدين جقمق نائب الشام سنة ٨٢٢ .

انظر : دور القرآن بدمشق ص ٢٧ – مختصر التنبيه ص ٧ ،

١٣ – وجاء في المخطط اسم « التربة الخلنجيه » وهذا من اغرب الاسماء. وما ندري كيف حرّف المؤلف الاسم . والاسم الصحيح «المدرسة القليجية» وقد أوصى بوقفها الامير سيف الدين علي بن قليج المتوفى سنة ٦٤٣ . وتمّ بناؤها سنة ٦٥١ هـ بعد وفاته . ومن اسم قليج جاء اسم القليجية .

انظر : البداية والنهاية ١٣ : ١٧١ – المحبّي ١ : ١٥٨ ، ٣٠٧ – سجل الكتابات ١١ : ٢ ص ١٧٨ ، ٢٤٩ .

١٤ – وجاء في المخطط اسم « جامع دنكز » وصوابه تنكز بالتاء وإليه تنسب دار القرآن والحديث التنكزية .

انظر : البداية والنهاية ١٤ : ١٨٨ ، ١٤ : ٨١ – نزهة الانام ص ٧١ .

١٥ – وجاء في المخطط اسم جامع الصابونية والاسم الصحيح « دار القرآن الصابونية » بناها التاجر أحمد بن سليمان الصابوني سنة ٨٦٨ .

انظر : درر القرآن ص ٨ – مختصر التنبيه ص ٨ – وقفية المدرسة الصابونية (مخطوطة) عند نسيب بك البكري .

١٦ – وجاء في المخطط اسم « تربة الشيباني » . وهو خطأ . والصحيح انها « التربة الجيمانية » وتنسب إلى الامير سيف الدين جيمان المتوفى سنة ٧٥٤ هـ .

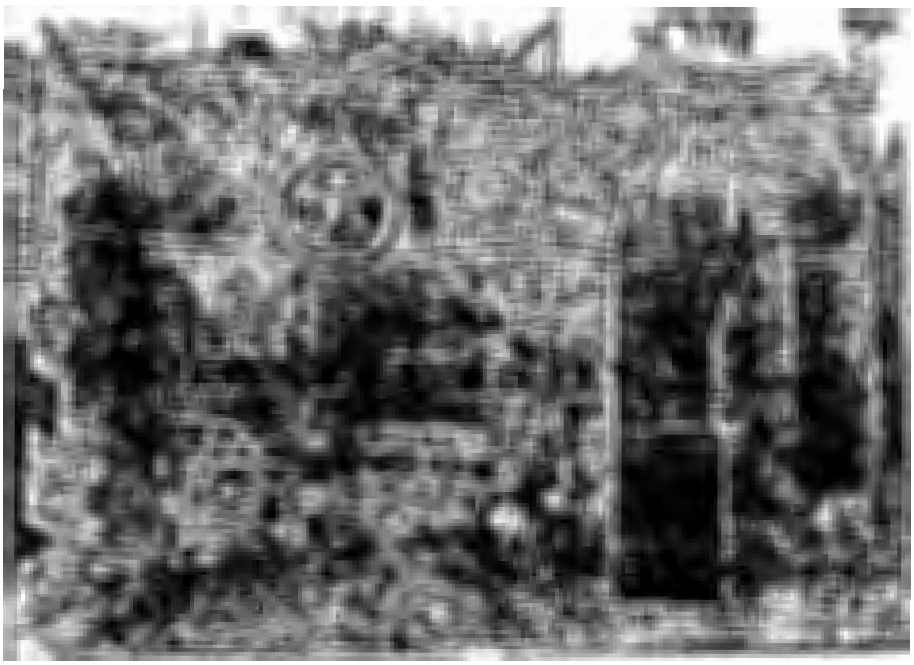

واجهة التربة الجيمانية

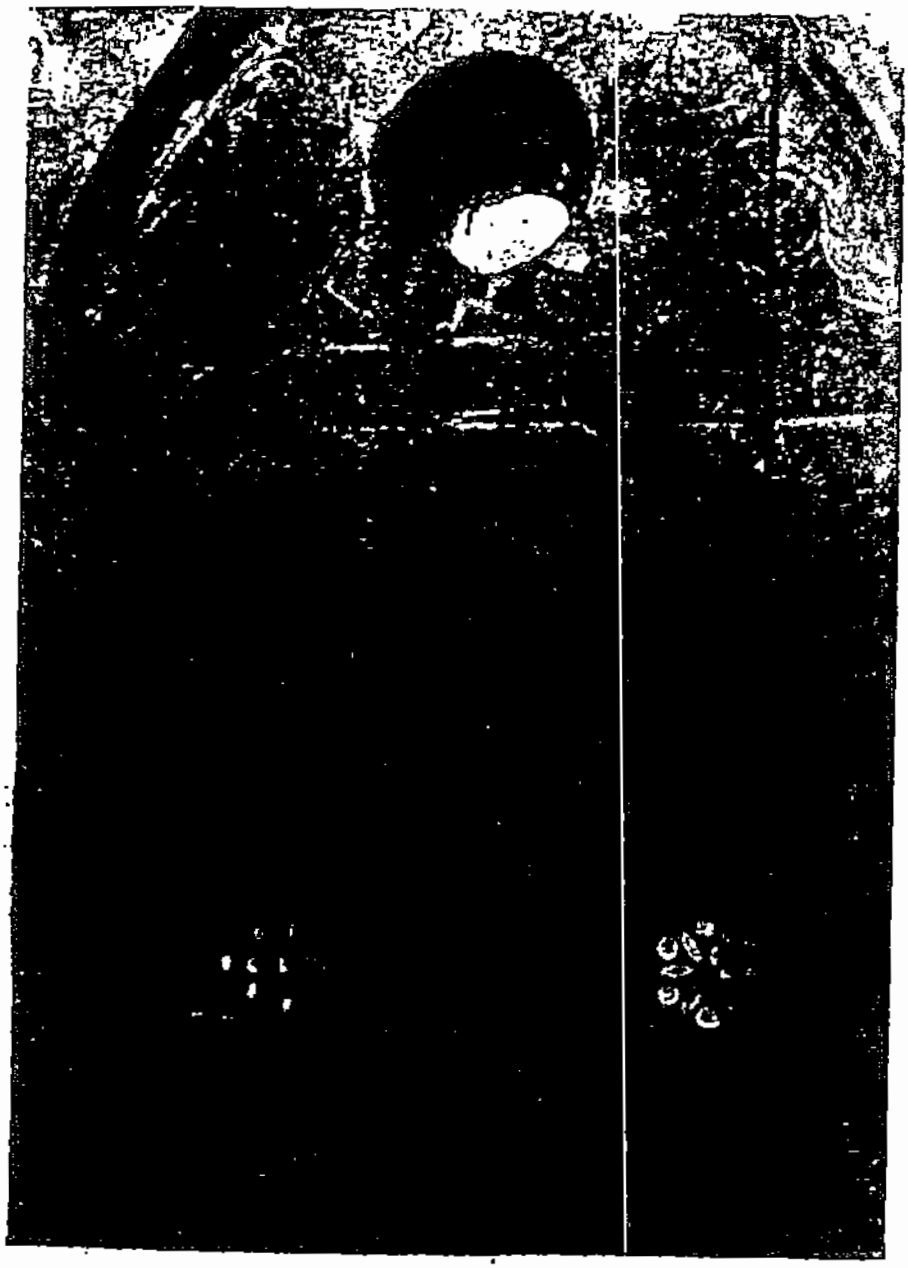

القرية الجيمانية من الداخل

وقد أخطأ جعفر الحسني في اسمها أيضاً فسماها الجيمائية ولا وجه لهذه النسبة . (في تنبيه الطالب) .

فهذه اخطاء وأوهام وردت في المخطط أما الاخطاء التي وردت في الكتاب ، فمنها :

١٧ — جاء في ص ١٠ س ٣ قوله : « إن مدارس دمشق صار عددها في القرن الثالث عشر نحو مائة مدرسة . » وهذه مبالغة خاطئة فلقد أحصينا ، المدارس التي بنيت في القرن الثالث عشر ، (حتى سنة ٦١٨ هـ الموافقة ١٢٥٠ م ،) فوجدناها سبعاً وستين مدرسة لا مائة . وقد ذكر أسماءها بالترتيب التاريخي كرزول في كتابه المسمى *The Origin of the cruciform plan*

وانظر أيضاً : مختصر التنبيه للحموي .

المدرسة المرشدية ومئذنتها

١٨ — في ص ١١ س ٢ ، قال : « حي ساروجة » وهو عامي . قال صاحب الاعلام (٢ : ٤٢٢) . هو ساروجا صارم الدين توفي سنة ٧٤٢ . والعامة تقول ساروجة .

انظر : شذرات الذهب ٦ : ١٢٨

١٩ — في ص ١٥ س ٢٢ ، قال عند كلامه على مئذنة العروس « وبنيت في عصر مليك شاه . » وأثبت الياء بعد اللام في مليك ، وهو خطأ . وصوابه « ملك شاه » و« ملكشاه » وهو أبو الفتح جلال الدولة المتوفى سنة ٤٨٥ هـ (شذرات ٣ : ٧٣٦) . والكتابات القديمة أثبتت اسمه كما أثبتنا . ففي قلعة حلب كتابة

ورد اسمه فيها « ملك شاه » نشرها سوبرنهايم (سجل الكتابات رقم ٢٧٦٩). وفي مسجد دمشق كتابة كوفية أثبتت اسمه « ملك شاه » (سجل الكتابات رقم ٢٧٣٧) .

٢٠ — وفي ص ١٦ س ٢ قال « وبناه نور الدين الزنكي » . وإدخال التعريف على زنكي من أخطاء العامة . ونور الدين لم يكن اسمه زنكي . بل كان اسم أبيه زنكي . واسمه هو محمود .

انظر الشذرات ٤ : ١٢٨

٢١ — وقال المؤلف عند كلامه على المدرسة النورية ص ١٩ س ٢ : « ودفن جثمانه (أي نور الدين) فيها عند وفاته » . وهذا القول غير صحيح . قال ابو شامة في الروضتين ص ٢٢٨ : « ودُفن نور الدين بالبيت الذي بناه في قلعة دمشق ازاء الصُفّة » وفي الشذرات (٤ : ٢٣١) « ودُفن في بيت كان يخلو فيه بقلعة دمشق ، ثم نُقل الى مدرسته التي عند سوق الخواصين . »

٢٢ — وقال ص ١٦ س ١٩ : « وكان الاطباء يعالجون المرضى فيه (أي في الايوان الشرقي من بيمارستان نور الدين) . وهذا خطأ . والصحيح ان هذا الايوان كان مخصصاً لتعليم الطب لا لمداراة المرضى ، قال ابن أبي أصيبعة : « وكان أبو المجد ابن أبي الحكم يجلس في الايوان الكبير الذي بالبيمارستان ، وجميعه مفروش ، ويُحضر كتب الاشتغال . فكان الاطباء والمشتغلون يأتون اليه ، ثم تجري مباحث طبية ويقرئ التلاميذ . »

انظر تاريخ البيمارستانات في الاسلام ص ٢١٠ .

٢٣ — وقال ص ١٩ س ٦ : « وأهم أقسام هذا البناء — أي المدرسة النورية — الغرفة التي تحوي قبر نور الدين » ولا يُقال في العربية غرفة تحوي قبراً ، بل يُقال تربة . وقد نقل المؤلف قوله هذا عن الفرنسية فلم يحسن النقل . قال سوفاجه :

La partie la plus intéressante est la salle *du mausolée* qui renferme le tombeau de Nour ad Din.

٢٤ – وقال ص ٢٧ س٢ ان اسعد باشا كان مديرًا للحج . ولم أسمع أحدًا قال مديرًا للحج ، بل كان يُقال امير الحاج .

٢٥ – وقال في الصفحة نفسها س١٠ ، ان قصر العظم رغم حريق سنة ١٩٢٥ ما يزال محتفظًا باوضاع قاعاته الداخلية ، وما فيها من اخشاب مدهونة وهذا القول مطلق لا يؤيده الواقع . واذا كان الامر كما قال ، فأين الاخشاب المدهونة التي كانت في القاعة الكبرى ، واين السقوف الخشبية التي احترقت ؟

انظر دراستنا عن قصر أسعد باشا العظم .

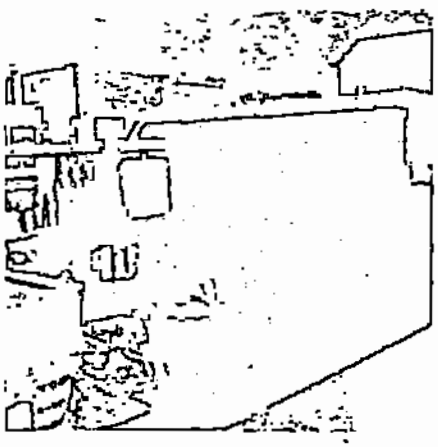

السلاملك في قصر العظم

٢٦ – وفي ص ٢٨ وضع المؤلف صورة لقصر العظم واثبت تحتها ما يلي :« صحن السلملك في قصر العظم » . وهذا خطأ ، لأن الصورة تمثل في الحقيقة صحن الحرملك .

٢٧ – وفي ص ٣٨ وضع المؤلف صورة الخوذة المشهورة الموجودة في متحف دمشق ، واثبت تحتها ما يلي « خوذة برونزية » وهذا خطأ ، فالخوذة من الحديد .

٢٨ – وأعجب العجائب عدم الأمانة التي تبدو في مخطط تدمر ، وقلب الحقائق . فمخطط تدمر الذي وضع في ص ٦٣ كتب عليه ما يلي «مخطط تدمر نقلت عن دليل تدمر للأب ستاركي» وقد أثبت المؤلف كلمة مخطط . وهذا غريب . ثم رجعنا الى مخطط الأب ستاركي ، فوجدنا مخطط الدكتور سليم عادل يختلف عنه اختلافًا كبيرًا . اذ تنقصه الدقة . فالدور التي في شرقي

المعبد والمسرح تبدو بقعاً سوداً . وقد خلط الدكتور عادل فيه بين القبور البروج ، والقبور المنازل ؛ بل ان دليل الأب ستاركي وضع شارة مربع صغير للقبور في البروج فكتب سليم عادل بجانب الشارة نفسها « المدافن الأقبية » . اي العكس ووضع الأب ستاركي شارة مربع صغير في وسطه نقطة سوداء للقبور في المنازل ، فكتب سليم عادل بجانب الشارة نفسها المدافن الابراج . ووضع الأب ستاركي شارة مربع اضلاعه نقاط للتدهن المحاط بالرواق فكتب سليم عادل المدافن المنازل . وفي هذا من قلب الحقائق وعدم الامانة في النقل ما لا يُسمح به .

المعلّم نقولا الترك

١٧٦٣ – ١٨٢٨

بقلم فؤاد افرام البستاني

يظهر قريباً في « منشورات مديرية الآثار » اللبنانية « ديوان المعلم نقولا الترك شاعر الامير بشير » وقد ضبط نصوصه ووضع فهارسه الاستاذ فؤاد افرام البستاني ، وقدم له بالبحث التالي:

في الحقبة التي بدا فيها لبنان مستعيداً رسالته الثقافية ، مؤسساً اولى مدارسه في العصور الحديثة ، مهداً السبيل لهذه النهضة المباركة التي ما برحنا في خدمة نشرها في مختلف انحاء الشرق والمهاجر ؛ في الحقبة التي شهدت تنافس البطاركة والاساقفة والرهبان في انشاء المعاهد في جرود لبنان وسفوحه ، من اهدن وزغرتا ، الى حوقا وبقرقاشه ، الى عجلتون ووادي شحرور وجبيل ؛ في الحقبة التي شهدت المطابع اللبنانية الاولى ، مار انطونيوس قزحيا (١٦١٠) ، ومار يوحنا الشوير (١٧٣٤) ، ومار جرجس بيروت (١٧٥١) تعدد الكتب المدرسية في سبيل سباق النهضة الادبية ؛ في الحقبة التي شهدت مؤلفات المطران جرمانوس فرحات (١٧٣٢؟) تحتل اوساط التعليم ، وديوان الخوري نقولا الصائغ (١٧٥٦؟) يرتفع بمستوى التقليد الشعري ، في تلك الحقبة الحافلة بمظاهر الاختمار الفكري في الشرق الادنى ، وُلد سنة ١٧٦٣ ، في دير القمر ، عاصمة لبنان اذ ذاك ، نقولا بن يوسف بن ناصيف اغا الترك .

وكانت اسرته اليونانية الاصل ، القسطنطينية المنشأ ، قد انتقلت الى الكثلكة في اوائل القرن الثامن عشر ، فنزلت « بلد الامير » لاجئة الى ملاذ الحرية الوحيد في الامبراطورية العثمانية . فنسبها الوطنيون الى « التركية » وعلق لقب « الترك » بشاعرنا .

اما نشأة الشاعر وشبابه فليس لدينا من الوثائق ما يشير اليها ، سوى ما تعلمه من نعته «بالمعلم» دلالةً على ممارسته تعليم القراءة والخطّ بعض ابناء الأسر الارستوقراطية ، وما نعرفه من اتصال ابيه الوثيق بالشهابيين على عهد الامير يوسف ، ومن اختصاصه بابنائه وكاخيتهم جرجس باز وقيامه بالمهمات الدقيقة في سبيلهم[1] حتى ان الامير بشيراً يأمر بقتله سنة ١٨٠٧ ، بعد قضائه على ابني باز ، لا يثنيه عن ذلك شيخوخته ولا خدمات ابنه نقولا ، «لانه - اي يوسف الترك - كان متقدّم عند جرجس باز ويسمع كلامه» ، كما يقول الامير حيدر[2] .

بيد ان هذا الحادث المؤلم لم يمنع الشاعر القيام بمهمته في بلاط الامير ، كما يظهر من ديوانه ، وفيه المدائح المؤرخة بالسنة نفسها وبالسنوات التي تليها[3] الّا انه كان يتجنب ، في كل ذلك ، بل في سائر قصائده ، ذكر جرجس باز وحركة ابناء الامير يوسف . واملّه اقام مدةً ، في تلك الحقبة ، في دار المختارة لائذاً بحمى الشيخ بشير جنبلاط . نرجح ذلك ، ولا نجزم به ، لكثرة ما نراه من مدائح الشاعر لسيّد المختارة في هذه الفترة من الزمن[4] .

وكان المعلّم نقولا قد زار مصر منذ ايلول سنة ١٧٨٩ ، كما يظهر من احدى القصائد[5] ، واقام فيها مدةً فكان في القاهرة سنة ١٧٩٣[6] . وقد يكون رجع الى لبنان في السنة التالية[7] بعد ان أسّس علاقات طيبة في اوساط «الشوام» اي المهاجرين الى مصر من ابناء لبنان وسوريا واكثرهم تجّار ، وكتّاب دواوين ،[8] ومن المنتمين الى طائفة الروم الكاثوليك ، طائفة المعلّم .

١) تاريخ الامير حيدر (طبعة رسم والبستاني) ١ : ٢١٠ .
٢) الكتاب المذكور ٢ : ٥١٤ .
٣) اطلب الديوان (طبعتنا) ص ٢٢ ، ٢٥٥ ، . . .
٤) اطلب الديوان ، ص ٤٠٠ ، ٤١٢ ، ٤٣٦
٥) الديوان ، ص ٢٠
٦) الديوان ، ص ٩٧
٧) الديوان ، ص ٤٢٨
٨) الديوان ، ص ٢٠ - ٢٤

واذًا فقد كان على معرفة بشؤون ذاك القطر ، وعلى بصيرة في قدر امكانياته الحربية والاقتصادية . وهو ما دفع الامير بشيرًا الى ان يعهد اليه في مراقبة الحالة العامة في اثناء الاحتلال الفرنسوي . ذلك ان حملة بونابرت على الديار المصرية كان من شأنها ان يتجاوز تأثيرها تلك الحدود الى الاراضي المقدّسة ، بل الى لبنان نفسه ، وان « الستين الفًا من الدروز » الذين كانوا ينتظرون سقوط عكا لينضمّوا الى الجيش الفرنسي ، كما يقول دي فوربن[1] ما كانوا ليتهوّروا في هذه المغامرة الا بعد ان يعرف اميرهم ، حقّ المعرفة ، مقدّرات هذا الجيش وامكانيات المقاومة في الحامية المصرية . فكان على المعلّم نقولا ان يحسن المراقبة من مقرّه ، في القاهرة اولًا ، ثم في دمياط ، وان يدوّن كلّ ما يتصل به من اخبار الجيوش وحركاتها ، وعددها وعُددها ، وان يُرسل بخلاصة ذاك الى اميره . وكان لا بدّ من ان تمرّ هذه الرسائل ، في طريقها الى لبنان ، بمنطقة الجزّار ، فيتعرّض حاملوها للمخاطر . ويذكر أَلكسندر كَرْدَن ان احدى هذه الرسائل كانت سبب مصيبة أنزلت باحد اخوة المعلّم ، وكان مقيمًا في عكا[2] .

وقد كوّنت معلومات المعلّم وملاحظاته كتابًا ضخمًا غدا من اهم المصادر التاريخية في الحملة الفرنسوية على مصر ، نشر قسمًا منه في باريس ، مع ترجمته

---

(١) cf. De Forbin, *Voyage dans le Levant*. Paris, 1819

(٢) A. Cardin, *Expédition française en Egypte, par Moallem Nicolas El-Turki*. Paris, 1838, p. 2.

– ولا نعرف اسمه ، لان الديوان لا يتضمّن من اسماء ابناء الناظم الا اسم ابنه فتح الله المولود سنة ١٨١٢ ، واسم اخيه شبلي المتوفى سنة ١٨١٣ ، كما يُستنتج من شاهد قبره في ساحة كنيسة النبي الياس في دير القمر ، او سنة ١٨٢٣ كما يُستنتج من تأريخ وفاته بالديوان (ص ١٧٢) – ولا يمكن ان يكون هذا ضحيّة الجزّار – واننا نجد ، بعد تاريخ وفاة شبلي الترك ، على اللوحة القبريّة نفسها ، تاريخًا لوفاة رجل اسمه ناصيف ، لعلّه من اخوة المعلّم ، ولعلّه اكبرهم جريًا على العادة بتسمية البكر باسم الجدّ . الا انه لا يصحّ ان يكون ضحيّة الجزّار كذلك لان وفاته حصلت سنة ١٧٨٠ . وفي الديوان ذكر لابن اخت للناظم يدعى جرجس عايده كان مقيمًا في دمياط ، والناظم بالقاهرة سنة ١٧٩٩ (ص ٨٦ – ٨٧) . وهناك ذكر لابن اخت آخر لم يصرّح باسمه كان مقيمًا في بيروت (الديوان ص١٦٥ – ١٦٨) .

الفرنسوية ، المستشرق ديغرانج[1] الذي عرف المعلم نقولا في ديرالقمر ؛ وترجم ملخصه المستشرق كاردن في باريس ايضاً[2] ؛ ونقله بحرفه تقريباً الامير حيدر شهاب في تاريخه الكبير « الغرر الحسان في اخبار ابناء الزمان »[3] والكتاب ، وان جرى على الطريقة القديمة في التأريخ سنةً فسنةً ، وان لم يتخطَّ الاحداث الى التعليل والنقد ، الا انه يمتاز بدقّة في النظر ، وصواب في الحكم ، وتحرٍّ لبعض المعلومات ، ولباقة في الوصف اعجب بها ديغرانج حتى نسبها الى الفنّ ، كما اعجب بحرارة السرد في ذكر بعض المعارك[4] ، ولا نراها بعيدة عمّا كان يقرأه الترك في « سيرة عنتر ».

ومما يزيد في قيمة الكتاب ان المؤلف كان على اتصال بكبار القوم ، وطنيين واجانب ، حكّاماً وولاةً وموظفين ، وتجّاراً ، يقف على احوالهم واعمالهم ويؤرخ اهمّ احداثهم . فاذا دخل الجنرال بونابرت القاهرة فاتحاً هنأه بقصيدة حماسية[5] ، وارّخ ذاك الحدث المهم سنة ١٢١٣ هـ . (بدؤها ١٥ حزيران ١٧٩٨) ، واذا قُتل الجنرال كليبر رثاه بقصيدة عاطفية تاريخية كذلك ، ملخّصاً فيها اعماله المجيدة في المعارك وانتصاراته المديدة[6] . واذا اخلى الفرنسيون مصر ، فوليها باسم السلطان يوسف باشا المعدني ، ارّخ هذا الحادث ايضاً ببيتين ، وذكر عدل

---

١) M. Desgranges aîné, *Histoire de l'Expédition des Français en Egypte, par Nakoula El Turk*. Paris, 1839.

ذكر فيه جمهور الفرنساويّة الاقطار المصرية والبلاد الشامية ، تأليف معلم نقولا الترك . طبع في مدينة باريز المحميّة ، بدار الطباعة السلطانية ، سنة ١٨٣٩ المسيحية .

٢) *Journal d'Abdurrahman Gabarti pendant l'occupation française en Egypte*, suivi d'un *Précis de la même campagne par Mou'allem Nicolas El-Turki, secrétaire du Prince des Druzes* ; traduit de l'arabe par Alexandre Cardin, drogman chancelier du Consulat général de France en Egypte. Librairie Orientale, Paris, 1838.

٣) طبعة اسد رستم وفؤاد افرام البستاني ، بيروت ، ١٩٣٣ ، المجلد الثاني ، ص ٢١٢ – ٢٤٠

٤) Desgranges, *op. cit.*, p. VII

٥) الديوان ، ص ١٨٠ – ١٨٣

٦) الديوان ، ص ٤٢٨

الوالي وسيره على راسة الرعية[1]. واذا زوّج المعلم ملطي القبطي ، كاتب ديوان الوالي ، ولده يعقوب ، لم يترك الشاعر الفرصة تفوته فهنأه مؤرخاً[2] واذا اجمع « تجار الشوام » على تنظيم حلف يربطهم ويؤمن مصالحهم ، مدحهم الشاعر ونصحهم موبّخاً[3]. واذا وصل اليه في دير القمر ، بعد تركه مصر ببضعة عشر عاماً ، ان « احد احبابه المدعو باسيلي فخر تفصل دولة فرنسة ووكيل غيرها من الدول قد اشترى قصراً في مدينة دمياط ، هاداه بابيات » تاريخية استعادت ذكرى الليالي الآنسة على ضفاف النيل.[4]

❦

ترك المعلم نقولا مصر ، آسفاً عليها ، سنة ١٨٠٤ ، عائداً الى دير القمر ، مستبدلاً « مذهب التدريس ، بفضل مكايد ابليس » بعد ان كان قد « خرج من القاهرة ، بثروة وافرة »[5]. ولا ندري أكانت تلك الثروة حقيقية ام جذبتها السجعة . الا اننا نتحقق من مظاهرها عبدةً سوداء اتى بها المعلم ، وكانت تشكو البرد ايام الشتاء فتصيح بلسانها ولسانه ، على ما يظهر :

ابن الصفا ، ابن الدفا ابن الاراضي المشويه
بل ابن مصر وصفا تلك الليالي الطيّبه[6]

وقد كان اول همّه ان يعمل على ابتناء دار لائقة . فألف تلك المقامة المشهورة «بالديرية» وقدّمها الى الامير سنة ١٨٠٤ — وكان الامير لا يزال في دير القمر قبل بنائه قصر بتدين — يحلم فيها بانه امتلك ارضاً بالقرب من قبة الشربين ، وبُني له فيها « خير سكن ، واشرف مستكن.»[7] وقد تحقّق الحلم على اتمّ وجه ، فامر الامير للشاعر بالارض المطلوبة ، واشار على اولاده وعلى

١) الديوان ، ص ٤٢٩
٢) الديوان ، ص ٩٧
٣) الديوان ، ص ٢٣
٤) الديوان ، ص ١١٨
٥) الديوان ، ص ٢٧٤
٦) الديوان ، ص ٢٦٣
٧) الديوان ، ص ٢٤٦

الشيخ بشير جنبلاط بان يعينه كل منهم بما تيسر حتى كانت له تلك الدار الفسيحة الجميلة ، بالهندسة اللبنانية المعروفة في اوائل القرن التاسع عشر[1] .

ومن ثم تقيد الشاعر بمدح الامير وابنائه ، واقربائه ، ومدح الشيخ بشير جنبلاط ، وسائر رجال الاقطاع في ذاك العهد . ولنا في ديوانه الوثائق العديدة ، والمصادر المختلفة في معرفة تلك الحياة الاقطاعية سلماً وحرباً ، جداً ولهواً ، كما ان فيه الوثائق الكثيرة كذلك في حياة الشاعر الخاصة . تعرف منها انه لم يكن له مرتب خاص اذا كان يعيش على «كيس الاجاويد» ، كما يُقال ، « والاجاويد » كثيرون . فاذا احتاج الى شيء من مأكول او مشروب ، او ملبوس ، او مركوب ، حرّك قريحته فتحركت اليه الهدايا : الحبوب على اختلاف انواعها : الحنطة ، العدس ، الحمص ، الارز ؛ الجبن والزيت والسمن ، العرق والنبيذ ، الدخان والعطوس ؛ يتبارى في تقدمتها الامراء جميعهم ، ولا سيما الامير حيدر المؤرخ ، وقد يشترك معهم المشايخ كالشيخ بشير جنبلاط والشيخ بشاره الخازن . امّا الامير الكبير فكأنه كان يختص بخلع الفراء في الشتاء ، والسراويلات ، والعباء ، والعمائم ، وما يترتب في المواسم والاعياد خاصة ولا سيما المرافع ؛ واهداء المطايا من برذون او بغل او حمار .

ويطول بنا الكلام اذا عرضنا بالتفصيل لهذه المطالب جميعها ، والديوان حافلٌ بها ، لا يتحرّج صاحبه من ذكر حاجة ، حتى جذوع الزنزلخت ليسقف بيت المؤونة الذي سقط في شتاء سنة ١٨١٢ ؛ وبدل علبة عطوس اضاعها — او ادّعى انه اضاعها — في دار الامير حسن شهاب في وادي شحرور الخ . . .

وهكذا أمكن الشاعر ، وقد اطمأن الى ضمان حاجاته المادية ، ان ينصرف بكليته الى وصف عصره وبيئته . فترك لنا عن حياة الامير واعماله ومُنشآته ، من قصور وجنان وبرك وحمامات ، وخطراته للصيد والقنص ، وملاهي بلاطه ، حتى لعب الورق في ليالي الشتاء الباردة ، وعن علاقاته برجال

---

١) لا تزال هذه الدار قائمة ، على خراب اكثر مساكنها . وقد انتقلت من ورثة الحلم نقولا الى موسى شوعا الاسرائيلي الدبري ، ثم الى موسى سعد ، وهي باقية ، في اكثر اقسامها ، بيد ورثته .

الاقطاع في عصره ، واتصالاته بالولاة في جواره ، ادقّ الوثائق . فاصبح الديوان من المصادر المهمّة لا يُستغنى عنه في تاريخ الحقبة الممتدّة من السنة ١٧٩٠ الى السنة ١٨٢٥ ، بل في تاريخ مختلف الابنية في قصر الامير في بتدين ، وفي قصر الشيخ بشير جنبلاط بالمختارة لانه كما اتصل الشاعر بالامير الكبير مادحاً ومهنئاً ومؤرّخاً ، اتصل كذلك بالشيخ بشير مادحاً ومهنئاً ومؤرّخاً ، ومقيماً بعض الاحيان بدار المختارة ، وكما خصّ بالامير « كتاباً » من ديوانه هو الجزء الثالث ، خصّ بالشيخ كذلك « كتاباً » هو الجزء الاخير من ديوانه . ولا يخفى ان الشيخ بشيراً كان ينافس الامير في الكثير من اعماله ومُنشآته ومظاهر كرمه ، فكان الشاعر المؤرّخ يدوّن ذلك بامانة ، وان لم تبلغ قصائده في الشيخ عدداً وروعةً قصائده في الامير ، كما ان درجة الشيخ لم تبلغ درجة الامير ، ولا قصر المختارة ادرك ذروة قصر بتدين .

والى جنب الشيخ بشير ينبغي ان نذكر عدداً كبيراً من رجال الاقطاع ، امراء ومشايخ ، مدحهم الشاعر فالقى ضوءاً على اعمالهم ومهّد للمؤرخ السبيل الى تأريخها ، كسائر الشهابيين والارسلانيين ، والخازنيين ، والدحادحة ، والنكديين وغيرهم . وكان يزور الشاعر بعضهم فينزل اياماً في بيوتهم ، كما كان ينزل في ديورة الرهبان كذلك ، ولا سيما دير المخلّص .

ولم يكتفِ الشاعر بتصوير البيئة الارستوقراطية في المجتمع اللبناني ، بل كثيراً ما وصف حياته وحياة انسبائه واصدقائه ، في بعض المواسم والاعياد ، بل في الحياة الجارية الرتيبة واحداثها المتنوّعة من عادية كالولادة والموت ، ومن غريبة مفاجئة كهجوم الاوبئة وما تتطلب من طرق وقاية وانواع علاج . وللشاعر ، في هذا الباب ، ارجوزة شهيرة ضمنها كلّ ما يُعرف في عهده عن وبأ الطاعون[1] ، من دلائل واوصاف ، وكل ما كان يُطلب من السكان في حال ظهور الوبأ من احتياط واهتمام ، مستعملاً الالفاظ الرضية والمصطلحات الخاصة ، مما يجعل للارجوزة قيمةً لغوية في هذا الموضوع . وكذلك القول في

١ ، الديوان ، ص ٥٤ – ٥٨

ما خصّ القيمة اللغوية والاصطلاحية ، عن ارجوزة اخرى خصّها الشاعر بالصيد بواسطة البازي[1].

ومن فوائد الديوان الادبية التاريخية ما تضمن من مساجلات ومراسلات بين الشاعر وزملائه المديدين امثال بطرس كرامه ، والياس اده ، وصالح الترشيحي ، وامين الجندي ، وعثمان الحموي ، وعمر البكري ، ولطفي ديه ، وعبدالله الحلبي ، من شعراء العصر ومؤرخي مآتي الامراء والمشايخ على طريقته ، ومنهم من لا تعرفه الّا بفضل ديوان الترك .

ولنشر الى ما في الديوان من تعابير دخيلة ، ومصطلحات خاصة ، والفاظ عامية بقيت في لهجتنا اللبنانية من عهود سحيقة ، وكلها تشترك في جعل الديوان صورة حية لذلك العصر

❧

وهو صورة صادقة لحياة الشاعر كذلك : اسفاره بين مصر ولبنان ، اقامته في دير القمر وتنقلاته في المدن والقرى اللبنانية ، زياراته للامير بشير ونزوله على بعض الامراء والمشايخ ، او في ديورة الرهبان ، وجوده في بيروت ضيفاً على ابن اخته في اثناء بعض الحوادث والقاء القبض عليه وحشره الى الحبس ثم خلاصه من تلك المحنة ؛ عبث الامراء به و « تنكيتهم » على شعره ، المساجلات والمداعبات بينه وبين اصدقائه من النُظّام ، سرقة بعضهم شعره وغضبه عليهم ، كلّ ذلك نجده موصوفاً بدقة ومصوّراً باخلاص ومؤرّخاً في الديوان . كما نجد وصف الاحداث الخاصة في حياته العائلية : خلافه مع ابن اخته جرجس عايده ، ولادة ابنه فتح الله سنة ١٨١٢ وابتهاجه بذلك ، وفاة اخيه شبلي ، سقوط سقف بيت المؤونة ، وانهيار القناطر في داره ، وفاة برذونته الشقراء وولادة حمارته ، اطلاق لحيته جرياً على السنة التي سنها الامير بشير سنة ١٨١٣ فتبعه عليها كبار القوم وشعراء البلاط . ويتجاوز ذلك الى احوال الصحة والمرض فيذكر ألمّا اصاب احدى عينيه سنة ١٧٩٩ ، وهو نزيل القاهرة . وكأنّ هذا الالم ازداد او تجدّد ، على تقدّم الشاعر في السنّ ، فقوي سنة ١٨١٦ ، والشاعر

---

١) الديوان ص ٢٦١ – ٢٦٥

في ضيافة دير المخلص ، حتى نقد عينه[1] . وقد يكون الداء خالٍ يعمل الى ان ذهب بالعينين معاً ، فغدا الشاعر كفيفاً في أخريات ايامه يُملي ابياته على ابنته وردة[2] . واصيب الشاعر كذلك بمارض مفاجئ من نوع الفالج نزل بجانبه الايمن ،

فبات ملقىً طريحاً غير مقتدرٍ على القيام ، ولا رجلاه تنتصبُ[3]

وكان ذلك سنة ١٨١٦ ، فاطال الشكوى وطلب من الامير بشير ان يرسل اليه طبيباً[4] . وقد يكون شفي من هذه النازلة[5] ، او خفّ اثر الفالج به ، فاقام مدةً لا يرى بأساً ، متابعاً عمله في مدح الامير ، مضيفاً نظم بعض المزامير تقرّباً الى الله ، وتسهيلاً لشرعها على افواه الناس ، « فينشدها العابدون ، ويرتلها المرتّلون ، ويألفها اولاد المدارس ، لما في الشعر من عبارات تفانس . »[6] حتى اذا مرض مرضاً خاله الاخير انشأ خمسة ابيات لتنقش على قبره[7] . وقد نقشت بالفعل على بلاطة جعلت فوق قبر الشاعر في الحائط الشمالي الداخلي من ساحة كنيسة النبي الياس للروم الكاثوليك في دير القمر . الّا انه أُضيف اليها بيت سادس نُسب الى الشيخ ناصيف اليازجي ، على كونه متضمّناً تاريخ وفاة الشاعر ، وهو :

واقبل هتافي الذي تاريخه ابداً اني على رحمة الكافي توكلتُ

---

١) الديوان ، ص ٤٠٦

٢) عيسى اسكندر المعلوف : « في المشرق » ٣٩ [١٩٣١] ٢٨٨ – ولا نرى ذكراً لوردة في هذا الديوان . وقد ترجم لها الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف في مجلة الآثار (١ : ٢٦٣) وقال انها تزوّجت بحبيب الصوصه من دير القمر ، ورزقت ولدين اديبين توفيا بلا عقب . كما ان اخاها فتح الله توفي يافعاً ، فانقطع نسل شاعرنا .

٣) الديوان ، ٤٤ ، وقد اكثر من ذكر هذا العارض في ص ٤٠ ، ٤١ ، ١٤٥ ، ١٩٤ ، ٢٦٨ ، ٣٧ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤

٤) الديوان ، ص ٢٢١

٥) الديوان ، ص ٢١٤

٦) الديوان ، ص ٢٢١ – نظم الشاعر عشرة مزامير هي الستة الاول والمزمور الخمسون .

٧) الديوان ، ص ١٧٧

بيد اننا اذا تدبّرنا مجموع الارقام التي تمثلها حروف التاريخ من هذا البيت رأينا انها تبلغ ١٨١٦ ، — وعمر الشيخ ناصيف اذ ذاك ست عشرة سنة — ولا يمكن ان تكون هذه السنة تاريخاً لوفاة الشاعر ، لاننا نعرف له القصائد الكثيرة نظمها بعد هذا التاريخ . واذا اعتبرنا الالف المقصورة في « علىٰ » ياء — وهو تخريج قد يُلجأ اليه — كان لنا ١٨٢٥ . ولا نراه موافقاً كذلك . وقد جاء في مجلة « المسرّة »[1] ان وفاته حدثت سنة ١٨٢٦ استناداً الى بيت منقول عن مجموعة خطية في دير الشير ، — وهو آخر الابيات التي نقلناها في حاشية الصفحة ١٧٧ من الديوان وورد تحتها سنة ١٨١٦ — ؛ اما ارقام البيت فتبلغ في رواية « المسرّة » ، ١٧٦٩ ، وفي روايتنا ١٨٠٩ . وليس في كل هذه المجموعات ما يقرب من الحقيقة .

اما سنة الوفاة فالارجح انها ١٨٢٨ ، على ما اثبته الاب شيخو في « تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر » ، وفي « كتاب المخطوطات العربية لكتبة النصرانية »[2] استناداً الى ما وجده في مقدّمة تاريخه المطبوع في باريس ؛ وعلى ما ذكره عيسى اسكندر المعلوف في « دواني القطوف »[3] ثم في « المشرق »[4] . ونحن على هذا القول الى ان يثبت خلافه بطريقة واضحة .

واما القبر فلا يزال معروفاً في باحة كنيسة النبي الياس للروم الكاثوليك في دير القمر ، يشير اليه شاهد في الحائط الشمالي ، وهو بلاطة مستطيلة حُفرت فيها الابيات الستة المعروفة .[5]

---

١) سنة ١٩٣١ ، ص ٤٣

٢) الاب لويس شيخو : تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر ، الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٩٢٦ ، ١ : ٢٢ ؛ والمخطوطات العربية لكتبة النصرانية ، بيروت ١٩٢٦ ، ص ٧٤ — واطلب « المشرق » ١٩ [١٩٢١] ٧٨

٣) عيسى اسكندر المعلوف : دواني القطوف بيروت ، ص ٢٢١

٤) عيسى اسكندر المعلوف : تواريخ الامبراطور نابوليون بونابرت باللغة العربية ولا سيما تاريخ نقولا الترك اللبناني منها ، في « المشرق » ٢٩ [١٩٣١] ٢٨٧

٥) تحت بلاطة نقولا الترك ، بلاطة مستديرة فيها ستة ابيات في تاريخ وفاة رجل اسمه استفانوس . وتحتها بلاطة مستطيلة ذات قسمين : في القسم الاول بيتان لشاعرنا في

هذا هو الديوان الكبير يرافق حياة الشاعر الخاصة والعامة ، محتوياً على نحو خمسمائة قصيدة ومقطوعة تتناول ، بلغة القرن التاسع عشر ، حقبة حافلة بالاحداث من حقب تاريخنا المستطيل ، فتصورها سياسة وادارة ، واجتماعاً ، وثقافة ، ودينا ، واخلاقاً وعادات وتقاليد ، فوق ما تشير اليه من احداث طبيعية ، وغرائب مناخية ، وكوارث هائلة . واذا بالديوان ذو قيمة تاريخية ولغوية وشعبية لا يصح ان يستهين بها المؤرخ البصير الواعي لجميع تطورات المجتمع .

بيد ان قيمته الشعرية دون ذلك بدرجات . فهو لا يسمو في شيء فوق آثار التقليد النظمي المتتابع في عصور الانحطاط ، بل قد يقل عنها قوة سبك وشدة ضبط ، وان كان يزدهي حيناً بالصورة الطريفة ، والوصف المبتكر . ذلك ان لغة العرب لم تعن تماماً لحفيد اليونان . فظل شاعر عصر جليل ، دقيق النظر ، مرهف الشعور ، صائب القياس ، بصير الحكم ، ولكنه بئي التعبير .

تاريخ وفاة اخيه شبلي سنة ١٨١٣ – وقد ورد هذا التاريخ في الديوان (ص ١٧٣) ١٨٢٣ – وسبب الخلاف زيادة الياء على اسم شبل . وفي القسم الثاني خمسة ابيات في تاريخ وفاة رجل اسمه ناصيف ، كان نياحه في ٢٣ آب ١٧٨٠ مسيحية ، (راجع الحاشية ٢ من الصفحة ٨٩

ادبار دمشق وبرّها : ٢ بقلم حبيب زيات

دير بشر

بين حجيرة وسبينة الشرقية

مما يزيد في غموض تاريخ الاديار والمعابد النصرانية في الاسلام ضياع كل خبر عنها قبل الفتح ، وفقدان كثير من اسمائها الرومية او السريانية ، فلا يُدرى من احتلها من الرهبان ورجال الدين قديماً ، وهل كانت في الحقيقة منازل للزهاد والنساك ام بِيَعاً من بِيَع القرى التي كانت منتشرة في الغوطة وبرّ دمشق ، واستولى عليها العرب عنوة وقهراً . ولذلك لم تدخل في عهد الصلح الذي رُوي لنا بغير لفظه الاصلي ، وسُردت فيه اسماء الكنائس بمواقعها الاسلامية في الدروب والمحالّ العربية ، دون اقلّ اشارة الى ألقابها ونسبها القديمة ، كما عُدّدت لا شك في نسخة عهد خالد بن الوليد الذي كتبه للنصارى حينما كانت خطط دمشق واحياؤها لا تعرف الا باسمائها الاعجمية كالفسقار والفورتق والجينيق واشباهها ، مما فاتنا معرفته وزاد في جهلنا ماضي التاريخ البلدي حتى اصبح البحث فيه بحثاً في الطلاسم والرُقى.

ونحن على يقين انه لو كان نقل لنا بعض اسماء الاعمار والمعابد المسيحية ، كما كانت في ايام البيزنطيين ، لتيسّر لنا الاهتداء الى جانب من اخبارها واسماء رجالها باستقراء تواقيع الوفود والنواب في ذيول المجامع التي روى لنا كتبة السريان نُبذاً من انبائها واوصافها ، والمحوا الى ما كان منها في الشام في بعض مخطوطاتهم ، التي كانت محفوظة في دير صيدنايا قبل ان يحرقها الروم اليونان غباوةً وتعصباً لكونها بالسريانية ، او كانت في جملة مصاحف دير مار جرجس في بلودان من ضاحية دمشق التي عبث بها الدهر وبدّدتها يد المصائب والغارات .

وقد سبق القول ان بشراً المنسوب له الدير هو بشر بن مروان بن الحكم

الاموي ، أضيف الدير اليه إمّا لاستحواذه عليه وهو ابن الخليفة ، او لجواره ارضاً له ما لبث ان دخل فيها الدير ونُسب اليه ، ونشأ منها ومن بقعته قرية اشتهرت باسم الدير ككثير من البقاع في الشام التي اطافت بالاديار ، كدير مران ، ودير حنينا ، ودير سمعان في حمص وممرة النعمان واذا صحّ استيلاء الامير بشر في اوائل الدولة المروانية على الدير اتضح لنا سبب سكوت الرواة والشعراء عن ذكره ، وهو في باطن الغوطة بعيد عن مزار السابلة ، خالٍ من الحانات ودور الضيافة التي كانت تألفها المارّة وعشاق الحور النصرانية

واوحد من اشار الى دير بشر ياقوت الرومي ، واقتصر على القول انه كان بالقرب من حجيرة من قرى الغوطة دون زيادة في التحديد والوصف ، ولا يزال اسمه باقياً الى اليوم في جوار قرية سبينة الشرقية المعروفة . وقد وُفق الاستاذ صلاح الدين المنجد الى الحصول على حجة وقف للشيخ سيف الدين الرُجيمي بن سابق ورد فيها ذكر دير بشر وحدوده وبقعته والنهر المعروف به نشرها بكاملها في مجلة « المشرق » (٤٢ [١٩٤٨] ٣٤٨—٣٥٢) ويؤخذ من المخطط الذي رسمه ان دير بشر كان في شرق قرية سبينة الشرقية وغرب قرية حجيرة .

٣

دير بطرس ودير بولس

في نواحي بني حنيفة في الغوطة

ذكرهما ياقوت في « معجم البلدان » والبكري في « معجم ما استعجم » ونقل كلامهما عن ابي الفرج الاصبهاني دون زيادة . وهذا نص ما كتبه ابو الفرج قال : « هذان الديران بظاهر دمشق بنواحي بني حنيفة في ناحية الغوطة والموضع حسن عجيب كثير البساتين والاشجار والمياه قال جرير :

اذا تذكرت بالديرين أرّقني صوت الدجاج وضرب بالنواقيس
فقلت للركب اذ جدّ الرحيل بنا يا بُعدَ يبرينَ من باب الفراديس

وفيها ايضاً يقول يرثي ابنه :

اودى سوادة يبدي مقلتي لجم بار يضرمر فوق المركب العاب
الا تكن الك بالديرين باكية فرب باكية بالرمل مسوال
قالوا نصيبك من اجر عقلت لهم كيف القرار وقد فارقت اشباني(١)

يريد بالرمل رمل يبرين الذي استبعده في البيتين السابقين ولا شك ان اسم « الديرين » كان قد أطلق على البقعة التي كانت تجاورهما كما اطلق اسم دير مران ودير حنيا على ما حولها من المنازل والجواسق والبساتين .

وقد امعانا البحث لنعلم اين كانت ناحية بني حنيفة في الغوطة . فلم نجد من اشار اليها . ولو كانت سلمت لنا كتب الديارات للخالديين ، وهشام الكلبي ، والسري الرفاء ، والصيداطي ، ومحمد بن رمضان النحوي ، لربما كنا نجد في احدها اشارة الى ناحية بني حنيفة او تحديداً لها ويؤخذ من بيتي جرير ان الناحية المذكورة كانت غير بعيدة عن باب الفراديس ، وكان فيما يظهر بائتاً فيها حين أرّقه ضرب نواقيس الديرين لصلاة الرهبان في السحر فتذكر مسافة ما بين منزله فيها وبيرين وجهة ركبه الراحل فقال : « يا بُعدَ يبرينَ من باب الفراديس » . ومن ثمَّ لا بد من تطلب هذين الديرين في ظاهر باب الفراديس ، لا في ظاهر الباب الشرقي كما فعل دوسو ، حين تناسى دير بطرس منهما واقبل يتفقد دير بولس في موضع الدير الذي اشار اليه انطون دي بلياقانس في القرن السادس للميلاد على بعد ميلين من الباب المذكور في المكان الذي روت التقاليد ان المسيح ظهر فيه لبولس في طريق سيره الى دمشق(٢) . وقد نصّ جرير وابو الفرج الاصبهاني على تجاور الديرين ، فلا سبيل الى اطراح احدهما وارتياد دير مار بولس وحده ، ولا سيما وقد شهد بعض الزوّار ان المعبد الذي كان على اسمه هنالك كان كنيسة لا ديراً .

ومما يؤيد كون الديرين في ناحية باب الفراديس ان ابن حمدون حين صحب الخليفة العباسي المتوكل على الله وزار مدينة دمشق سنة ٢٤٤ / ٨٥٨ قال : « فمنَّ للمتوكل ان يطوف كنائس الزهاد والموضع المعروف بالفراديس فنزلنا

(١) معجم البلدان ٣ : ٦٨٣ - ٦٨٤ ؛ ومعجم ما استعجم ٢٦٨ - ٢٦٩ .
(٢) R. Dussaud, *Topographie Historique de la Syrie...*, p. 297

منزلًا بين كنائس عظيمة وآثار قديمة.» ولا شك ان ديري بطرس وبولس كانا وقتئذ في جملة الديارات التي استقراها المتوكل وشاهد ما فيها من عجائب الصور واحداث الرهبان وبنات القسيسين[1].

وروى ابن قُتيبة ان المراد «بالديرين» في قول جرير «دير صليبا» وانما ذكره بلفظ التثنية لضرورة الوزن كعادة الشعراء كثيرًا في تثنية الاعلام في اشعارهم[2]. وقد تتبعنا هذه التثنية في اقوالهم فوجدنا منها شواهد كثيرة ومن ادلها على ذلك قول ابي نواس:

ما عدت بالماء حتى رأيتها مع الشمس في عيني أباغ تدور

وحكي عن ابي نواس انه قال: جهدتُ ان تقع في الشعر عين أباغ فامتنعت علي فقلت عيني اباغ ليستوي الشعر[3]. وكان جرير مولعاً بمثل هذه التثنية ليستقيم له الوزن كقوله:

فلا يغرنّ المروتين ولا الصفا ولا مسجد الله الحرام المطهرا (٤

وانما هي المروة لجبل بمكة ونظير ذلك قوله في جبل عمانية:

لو ان عُمم عمايتين ويذبل سمعت حديثك انزلا الاوعالا (٥

ولكنه في ابياته في باب الفراديس ثنّى الديرين، لانه كان هنالك اثنان حقاً دير مار بطرس ودير مار بولس، ولعلّ احدهما كان للرهبان والثاني للرواهب، وهو ما ينفي قول ابن قتيبة. وقد فاته ايضاً ان دير صليبا كان يشتمل في الواقع على ديرين للرجال والنساء. كما نبّه على ذلك ابن شداد في كتابه «الاعلاق الخطيرة» فتفسير ابن قتيبة التثنية بضرورة الشعر خطأ على كل حال.

---

١) الخزانة الشرقية ٢ : ١٤

٢) الشعر والشعراء، طبعة ليدن، ٣٠٠

٣) معجم البلدان، طبعة اوربة، ٣ : ٧٥٧

٤) معجم البلدان، طبعة اوربة، ٤ : ٥١٢

٥) معجم البلدان، طبعة اوربة، ٣ : ٧٢١

٤

دير بولس في سكّا

سكّا من قرى قضاء دومة اليوم ، بالقرب من الغـوطة في الشمال الشرقي منها ، تبعد عن دمشق ١٧ كيلومتراً . ذكرها ياقوت في قرى الغوطة وقال : بينها وبين دمشق اربعة اميال ، وروى قول حسّان بن ثابت فيها وفي بلاس وداريا :

إن الدار اقفرت غسان بين شاطي اليرموك فسكّان(١
فالقريّات من بلاس وداريّا فسكّا فاعمور فالدوالي

وعنده ان اصل الاسم بالتشديد والمدّ اي سكّاء كأنهـا مؤنث الأسك اي الاصم ولا يخفى ما في هذا القول من التحكم والادعاء الباطل في ردّ كل اسم اعجمي الى معدن عربي ، واستشهد على المدّ بقول الراعي يصف ابلاً له :

فلا ردّها ربي الى مرج راهط ولا برحت تغني بسكّاء في وعل(٢

وانما مدّها الراعي لضرورة الوزن ولهذا المدّ اشباه ونظائر في الشعر .

ومما ينفي كل ظنّ وتمثل في عربية سكّا اكتشاف قبريّات فيها يونانية من القرن الثالث للميلاد اي قبل مجيء العرب بنيف وثلاثة قرون(٣) . وكانت من منازل الغسانيين لا شك كداريا وبلاس ولذلك جمعها حسّان بن ثابت في مديحه لجبلة بن الأيهم(٤) . ولما قتل ابن بيهس في الخلافة العباسية القاسم بن ابي السميطر من ذرّية خالد بن يزيد بن معاوية نصب رأسه على باب سكا وحوله اعلاماً سوداً وقال :

---

١) في الاصل «شاطي اليرموك فالصان» قال « الصان فيما احسب من نواحي الشام بظاهر البلقاء (معجم البلدان ٣ : ٤١٧) وهو وهم منه دعاه الى هذا الحسبان . والصواب « الحسان » وهو كما قال في موضعه « من نواحي البثنية من ارض الشام» (٢ : ٤٦٩)

٢) معجم البلدان ٣ : ١٠٥

٣) Waddinghton 2562 a. b.

٤) ديوانه ، طبعة ليدن ، ٥٥

سقني من ابيّة باقيات على الايام من بيض الوقائع
ولستني وقيمة يوم سكا وما اعطيته يوم الصوامع[1]

ويؤخذ من مخطوط سرياني في خزانة بريتيش موزيوم رقم add. 14602 انه كان في سكا دير قديم للبطاقية يعرف بدير مار يوانس ورئيسه الراهب يوحنا وقع عنه الراهب اسطفان من دير مار سلمون ، في جملة الموقعين من اساقفة فيفقية لبنان وحوران في جوابهم على رسالة اخبار الكنيسة اليعقوبية سنة ٥٦٩؛ وفي فهرست المخطوطات السريانية اسماؤهم بالتفصيل[2]. ولعل دير مار سلمون هو « دير سلمان » القرية المعروفة اليوم في قضاء دومة .

ولم نقف في الآثار العربية على اقل اشارة الى هذا الدير ولا يخلو ان اسمه كان مذكوراً في بعض المخطوطات السريانية التي احرقها او اضاعها جهلاً بعض الحمقى والمتعصبين كمخطوطات دير صيدنايا وغيرها من القرى الاراميّة .

٥

دير مار تاودورس

في التيرب

ورد ذكره في مجموع من الرقوق وقفنا عليه في خزانة بريتيش موزيوم (Or. 5091. f. 100) في مفتتح « قصة وشهادة روح الشريف القرشي المسمى انطونيوس بالرقة » قيل فيها : « كان في زمان الرشيد ملك العرب رجل من اشراف العرب اسمه روح وكان نازل بدمشق في موضع يقال له التيرب في دير هناك على اسم الشاهد المبارك تاودورس » وقد اشار الى هذه القصة البيروني في كتابه « الآثار الباقية » قال : « ولانطونيوس عند النصارى قصة طويلة عجيبة ما سمعناها ولا قرأناها او مثلها في كتب الاخبار والتواريخ على ان النصارى قوم سماعون مصدقون لمثل ذلك » (ص ٢٩٢).

(١) تحفة الالباب الصفدي ٥٢٣٧ باريس ، ٢٣

(٢) Wright, T. II, p. p. 709-10

ومعلوم ان النيرب قرية قديمة كانت تتصل بقاسيون والربوة قد غطتها اليوم البساتين ولم يبق منها الا صدى اسمها في المنادلة على الفواكه. وورد ايضاً اسم الدير في حكاية استشهاد القديس بطرس من مدينة بيت راس (Capitolias) كورة بالاردن اشتهرت بجودة خمرها[1]، قيل فيها ان الدير المذكور كان في جبل (Kasia) اي قاسيون، وقد نشر الاب پيترس المستشرق البلجكي والعالم المشهور خبر هذا الاستشهاد منقولاً عن رواية كرجية[2]. ولكنه وهم في ظنه ان دير مار تاودورس هو دير مران وان الاسمين لمسمى واحد عُرف بهما في ازمنة مختلفة. ولا شك انه اغتر بقول كاتب السيرة ان الخليفة الوليد بن عبد الملك امر ان يُقاد اليه القديس بطرس مغلولاً الى دير مران قبل وفاة الوليد فيه بضعة ايام، في النصف من جمادى الآخر سنة ٩٦ للهجرة (٢٦ شباط – فبراير ٧١٥) واذا يراد هنا بدير مران لا منزل الرهبان ولكن المحلة المتصلة به التي غلب عليها اسمه لجواره له، ولدينا عدة شواهد تثبت صريحاً ان الدير كان في بقعة مأهولة تنسب اليه وهي البقعة التي اشار اليها السمعاني بقوله: «دير مران بقعة على باب دمشق نزهة بين الرياض والمياه»[3]. ومما يدل على ان اسم دير مران كان يطلق كذلك على المنازل التي تحيط به ان المؤرخين اجمعوا على ان المقبرة المعظمية في قاسيون كانت في دير مران[4]. فالدير اذن الذي قيد اليه القديس بطرس ومات فيه الوليد هو المحلة المشتهرة باسم دير مران، واذا كان الوليد نازلاً في القصر الذي كان ينزله قبله ابوه عبد الملك بعد انسلاخ الشتاء «اذا مضت ايام من الشتاء»[5].

ومما سبق يتضح ان دير مار تودورس هو غير دير مران وان كلا الاسمين المسميين مختلفان. ولكن يتعذر اليوم تعيين موقع كل منهما وبعده عن الآخر بالضبط لاندراس آثارهما وقلة ما انتهى الينا من اوصافهما.

---

١) معجم البلدان ١ : ٧٧٦

٢) Paul Peeters, *La passion de St. Pierre de Capitolias* in *Analecta Bollandiana*, T. LVII, fasc. 3-4

٣) كتاب الانساب ٥١٤

٤) الحادي عشر من تاريخ نقل من اسم مؤلفه، طبعة غريتزفلد، ص ٢

٦

دير القديسة تقلا

في منين بظاهر دمشق

منين اليوم قرية اسلامية في ضواحي دمشق ، وهي من امهات قرى الغوطة ، عذبة الماء ، كثيرة الاشجار والفواكه والنباتات والرياض . وكانت قبلًا حتى القرن السادس عشر بلدة نصرانية معظم سكانها من الروم الملكيين. اجتاز بها سنة ١٥٠٣ في ذهابه الى دمشق ، قادماً من حلب وحماة ، سائح ارنجي ووصفها بقوله : « وعلى مسافة ١٦ ميلًا من دمشق وجدت مدينة اخرى تدعى منين في قمة الجبل وسكانها مسيحيون من ملة الروم وهم رعية حاكم دمشق وفيها كنيستان في غاية الجمال يقال ان القديسة هيلانة بنتها وهي والدة القيصر قسطنطين. وفي منين فواكه حسنة غزيرة واعناب طيبة وبساتين كثيرة زاهية وينابيع ماء . »[1]

وفي شمال البلدة صخور شاهقة ترى في باطنها بعض المغاور المنقورة في الحجر الصلد ، وفي سفحها عدة انقاض وبقايا عُمُد وابراب غُرَف عاديّة ورسوم ابنية داثرة تتبعها المستشرق الفرنسي تومان R. Toumin ووصفها في مقالة له بشرها في مجموع المعهد الفرنسي بدمشق سنة ١٩٢٩ ، ومثّل فيها اهم آثارها[2] . ورجح ان بعض هذه الابنية سبقت النصرانية ، وانه كان هنالك حصن وثني قبل ان يتحوّل الى معبد مسيحي. ولا شك ان هذه الاطلال الظاهرة هي التي دعاها الشيخ حسن البوريني ديرًا في ابيات وقفنا عليها في ديوان له مخطوط في خزانة دير الشير بلبنان للرهبان الحلبيين جاء فيه ما نصّه :

---

(١) *Les voyages de Ludovico di Varthema ou le Viateur*. Publié et annoté par Ch. Scheffer. Paris. 1888. p. 10-11

(٢) *Mélanges publiés par la Section des Arabisants. — Le culte de Ste Thècle dans le Jebel Qalamun*, p.p. 163-184.

« وقلت وقد مررت على دير قد امحّ وتهدمت اركانه بقرية منين من نواحي دمشق وذلك في سنة ٩٨٦ (١٥٧٨ م) :

ليت شعري يا دير اين اهاليك واين الذين قد عمروكا
اترام نسوا مغانيك يوماً ام لمرّ الايام قد هجروكا
حكمت فيك حادثات الليالي لو يعيشون ساعة لبكوكا
لم تجد واقياً يقيك الرزايا بعد ما صار للبلى اهلوكا
انت مثلي جفاك كل حليل وتخلفت بعدهم مهجوكا
هنتَ مثلي وكنت قبل عزيزاً ضمتَ من بعد انهم مفظوكا
فأحبّ نازحاً تذكر إلفاً هذا دمع عينه سيفوكا
لا اغبّتك هاطلات الغوادي وافاضت بعدها تحبوكا »

ولم نعثر على ذكر آخر او إلماع الى هذا الدير في كل ما تيسر لنا مطالعته او التنقيب فيه من المطبوعات والمخطوطات العربية والآثار الرقية والكتابات النصرانية . ولا ندري هل كان هذا الدير احدى الكنيستين اللتين اشار اليهما السائح الفرنجي وهل كان وقتئذٍ فيما عداهما عامراً او خرباً . وعلى كل فقد عدت عليه حادثات الليالي وكوارث الايام ، وتقلّص منه ظل النصرانية ومن منين بعد استيلاء الاتراك العثمانيين على الشام ، حين اشتد تحكم ولاة دمشق وعمالهم في ارواح النصارى واموالهم حتى اضطروهم الى الجلاء عن منين او انتحال الاسلام .

٧

دير مارت تقلا

في قرية معلولا

يظهر ان هذا الدير لم يكن معروفاً قديماً . وانما كان هنالك مغارة اشتهرت بنسبتها للقديسة تقلا ، وكان فيها شقّ يقطر منه الماء . فاقبل بعض النصارى على جمعه والاستشفاء به لاعتقادهم انه من آيات شفاعة القديسة تقلا وكراماتها . ثم قام الدير من حولها في بعض السنين . ولذلك دعاه شهاب الدين العمري « دير شق معلولا » قال: «وهو في باطن جبة عال وهو بناء رومي بالحجر

الابيض معلق يسقف به صدع فيه ماء ينقط نحو الذي بصيدنايا ويأخذه النصارى للتبرك معتقدين فيه نحو اعتقادهم في الآخر وانما الاسم الذي بصيدنايا »[1]

وفي سنة ١٦٩٢ طاف ملاتيوس الزعيم ، مطران حلب ، على الاديار والكنائس في طريقه الى دمشق ، وعرّج على معلولا وزار فيها « كنيسة اول الشهيدات تقلا وجسدها المقدس مخفي بها »[2] واشهر من زار المغارة من بعده من الرحالين في سنة ١١٠٥ / ١٦٩٣ الشيخ عبد الغني النابلسي وسماها بالمرتقلة قال : « وهي كلمة غير عربية وهي مغارة كبيرة في تصف الجبل والماء يقطر من اعلاها الى اسفلها في اماكن متعددة منها ويقولون ان ذلك الماء له خاصية النفع للارياح التي تعرض في بدن الانسان خصوصاً الاطفال ويحكون في ذلك الحكايات الطويلة »[3].

ولم نقف على وصف آخر لهذا الدير في كل ما تناولته يدنا من كتب الرحل والتواريخ الدينية والادبية .

٨

دير مار جرجس

في بلودان من ضواحي دمشق

لا ذكر لهذا الدير في كتب الديارات . وقد اغفل ياقوت تعريف بلودان نفسها بين قرى دمشق ولا شك ان بعدها عن الطريق السابلة وتوقلها في قنة الجبل وصعوبة المسير اليها قديماً كان من اهم العقبات التي حالت بين الدير والزوّار ، ولا سيما انه لم يشتهر بوجود حانة فيه مع كثرة الكروم في القرية . ولذلك اعرض عنه ارباب اللهو والقصف ولم يتفنّ بذكره مجّان الشعراء من من حرّاء الحانات . ونوحد من نوّه به ممن تكلم على الديارات شهاب الدين

١) مسالك الابصار ٣٥٨

٢) خزائن الكتب في دمشق وضواحيها ١٥٨

٣) الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز ، رقم ٥٥ من مخطوطات دار الكتب الظاهرية بدمشق ، وخزائن الكتب بدمشق ص ١٣٨

السري ، وهو دمشقي المولد ، فلم يكن يفوته موقع الدير وإشرافه على جنة الزبداني وقد وصفه بقوله :

« بناؤه قديم بديع الحسن وافر الظلة كثير الكروم والفواكه والماء الجاري بقرية بلوذان وهي محاذية لكفر عامر تطلّ من مشرفها على جنّة الزبداني ببلاد دمشق وبه رهبان نظاف وغلمان من ابناء النصارى ظراف مررت به ونزلت اليه ورأيت به غلاماً يفوق الظبي حسناً ويشبه البدر او أسنى غصن تحيل وطرف كحيل قد قطع الزنار بين خصره وردفه ونفث السحر بين جفنه وطرفه ثم ما كان باعجل ما استتر بدره ولاح ثم خفي فجره فقلت فيه :

هيذا الدير من بلوذان دارا ... اي دير به واي نصارى
فيهم كل احور الطرف احوى ... دائق الحسن في حياء المذارى
وغلام رأيته كهلال ... ما بدا للعيون حتى توارى
بقوام اذا تمايل نشوا ... ناً فالحاظ مقلتيه سكارى
ناحل الخصر حلّ عقد اصطباري ... عندما شدّ خصره الزنارا
قبل رؤياه ما رأيت غزالاً ... بات يسقي من رشفيه العقارا (١

وهذا دأب الشعراء في الاسلام لا يخفلون من كل ما يمرّ بهم في الديارات التي يطرقونها او يضيفون فيها إلّا بالتغزل بولدانها وحورها ، او باطراء طيب خمورها ، فلا يكاد التاريخ يظفر بشيء يؤثر من اقوالهم فيها

ومعلوم ان السري توفي سنة ١٣٤٨/٧٤٩ وقد شهد ان الدير كان يُعَدّ في زمانه « قديم البناء » ولكن هيهات ان يعرف متى كان انشاؤه وهو من اديار الروم الملكيين . وقد غابت عنا اخبار روسائه ورهبانه . وغاية ما عثرنا عليه منها ان رئيسه سنة ١٥٩٦ كان الحاج داود دون ذكر أسرته ونسبته . وكان لقب الحاج يطلق على كل من زار بيت المقدس من رجال الدنيا والدين . ومن جملة رهبانه عاشر القس شحاده ، والقس ميخائيل ، والشماس موسى ، ولا يُدرى اي الناس هم . ورد ذكرهم جميعاً في حاشية مرّت بنا في ظهر الورقة ١٥٩ من انجيل سرياني ملكي رقم ٢٠ في خزانة الفاتيكان كتب سنة ١٥٢٧ للاسكندر اي ١٢١٦ للميلاد وهذا نصّ الحاشية بالفاظها :

رقم هذا الانجيل واصلحه الولد الحقير يحنا ابن القس مداج من قرية بطرام من كورة طرابلس المحروسة الاله الرؤوف والرب الرحيم يغفر له خطاياه وخطايا

(١ مسالك الابصار ١ : ٣٥٨

القس شحاده واخوه القس ميخائيل وخطايا الشماس موسى الذين اهتموا في عمله شفاعة سيدة ام النور وجميع القديسين آمين آمين .

وكان ذلك في سنة سبعة الف وماية واربعة لكون العالم وعمله في دير مار جرجس بلودان اقه يعمره طول الازمان ويغفر خطايا الحاج داود رئيس الرهبان . . . »

وفي خزانة اكسفرد مخطوط تريودي سرياني ملكي رقم ٨٤ ، كتبت عليه الوقفية الآتية دون تاريخ لها :

« هذا التريودي المبارك وقف مؤبد وحبس مخلد على دير القديس مار جرجس في قرية بلودان » .

وفي هذين التعليقين شاهد صريح بان لغة دير مار جرجس في بلودان التي كان يصلّى بها الطقس الملكي كانت السريانية كما في صيدنايا وسائر اديار الملكيين في القرى والجبال .

وكان في دير بلودان خزانة مخطوطات قديمة كانت باقية حتى اواخر القرن السابع عشر ، وهو ما يستفاد من قول البطريرك مكاريوس الزعيم الحلبي :

« حصل لي خبر سمعان الماردي المجانبي في كتاب وسيم جداً من كتب مار جرجس بمحروسة بلودان وكان آخره ناقص »[1]

ونقل مثل ذلك ابنه الشماس بولس في كتابه المخطوط تاريخ انطاكية فقال :

« لما جمع والدي ما كان متراناً عديمة جانب كتاب الدولاب اي اخبار جميع القديسين واكثرهم بخط يدي واوقفهم على القلاية الطرنية كان في اين ما سمع في كتاب قديم في اي بلد كان او دير يرسل يستحضره ويعد نساخته يرسمه ويشدّه ويرسله لمكانه ومن جملة ذلك جانب كتاب قديم جداً من دير القديس مار جرجس المشهور بقرية بلودان بغربية مدينة دمشق الشام فيه خبر هذا القديس الشريف (سمعان المجانبي) لا غير الا انه ناقص منه بعض اوراق ومن آخره جانب كثير وباجتهد حتى احييناه واظهرناه للوجود بكل تعب ونصب ولم توجد له في بلاد العربية نسخة ثانية لتكملها » .

ولا يعلم متى بدأ خراب هذا الدير في القرن الثامن عشر وكانت بعض جدرانه وابوابه لا تزال ماثلة في بدء القرن العشرين ، وفيه مذبح متهدم تقام فيه الصلاة احياناً . ولا يزال قوم في بلودان يتذكرون ابوابه السبعة متتابعة

---

(١) كتاب النحلة رقم ١١٦٤١ من مكتبة الآباء اليسوعيين في بيروت ص ٤٨ .

متصلة حتى مدخل الكنيسة وكل منها قائم من ثلاثة احجار ضخمة لا سقف لها وهي قصيرة قليلة الارتفاع سلم منها الباب الاكبر . وترى اليوم في العرصة امام الكنيسة عدة آثار وبقايا عُمُد ومعاصر للدبس والخمر واجران وانقاض شتى ملقاة على الارض . وكان للدير املاك واوقاف جليلة وبساتين تعرف الى اليوم ببساتين الدير استولى عليها اهل بلودان ، وتقاسمتها الاطماع فتجزأت وتفرقت بالبيوع . وقد اشار اليها العمري بقوله « الدير وافر الغلة كثير الكروم والفواكه ».

وفي عهد الجنرال غورو (١٩٢٠) ادعى مسلمو بلودان ان الدير كان معبداً للشمس وحاولوا وضع ايديهم عليه ، ومنعوا النصارى من الصلاة فيه . فامر للحال بكف اطماعهم عنه وان لا يعترض الروم في صلواتهم فيه . فتبرع المرحوم روفان مرقص الدمشقي بخمس مئة ليرة ذهباً لتجديد بناء الكنيسة واقتدى به بعض مواطنيه واعانهم قوم من المهاجرين في اميركة فبلغ المجموع ١١٩٧ جنيهاً انكليزياً ، وبوشر بالعمارة سنة ١٩٢٣ وانتهى منها سنة ١٩٢٤ وهذا نص الكتابة المنقوشة في لوح على يسار مدخل الكنيسة :

« تجدد بناء هذه الكنيسة المقدسة للقديس جاورجيوس للروم الارثوذكس سنة ١٩٢٤ باحسان الخيور روفان يوسف مرقص الدمشقي ومحسنين آخرين مفيدة اسماؤهم في اللوحة الثانية شفيعة هذه اللوحة والقائمة بجانبها وجمعة واشراف اللجنة المؤلفة من حضرات ثمان بك ابو شعر رئيساً وعضوية الافندية سرحان شحفة وخليل الخوري وجورج لاذقاني سنة ١٩٢٤ »

وللكنيسة صحن واحد . وامام الهيكل حاجز من الخشب ولما زرناها في ٤ تموز (يوليو) سنة ١٩٣٦ كانت ابوابها مقفلة للخلاف الذي كان قائماً بين الخوري سيريدون بيطار واهل بلودان رعيته [1] .

١) الخزانة الشرقية ٣ : ١٤٣ – ١٤٥

٩

دير الحكيم

في جوار مُقرى شرقي الصالحية

وقفنا على ذكره في قصيدة القاضي شمس الدين محمد بن محمد بن موسى قاضي العسكر المعروف بابن الفراش الدمشقي قال فيها :

اذا ما طفتَ حول ديار مُقرى فعرّج بي الى دير الحكيم
وحيّ البربعين وكم معى لي على الشرفين من شحن قديم (١)

ومُقرى قرية كانت شرقي الصالحية من اشهر متنزهات دمشق . ثم خربت وبني في مكانها مساكن واصبحت حارة من حارات الصالحية كما كتب ابن عبد الهادي . ويظهر ان دير الحكيم كان في جوارهـا . وقد زالت آثارهم وآثاره ، ولم يبقَ لنا الا اسمها وتذكاره . ويترجح انه كان منسوباً لاحد اطباء النصارى ، ولعله ترهب وانقطع فيه للزهد والعبادة فاشتهر بالنسبة اليه .

١٠

دير الحنابلة او المقادسة

في الصالحية

لا ندري ما كان اسمه النصراني قبل استيلاء الحنابلة عليه ونسبته اليهم . وقد خفي علينا ايضاً موضعه القديم لخرابه وعفائه ، فلا سبيل الى الاهتداء اليه . وغاية مـا نعلمه انه كان في الناحية الشرقية من الجبل . واوحد من اشار اليه ابن عبد الهادي المعروف بابن المِبْرَد من علماء دمشق في بدء القرن العاشر للهجرة توفي سنة ٩٠٩/١٥٠٣ ، بعد ان كتب ما يـأتي في تاريخ له للصالحية لخصه محمد بن كنان ومسودته محفوظة في خزانة برلين بعنوان « المروج

(١) عيون التواريخ لابن شاكر الكتبي ١٥٨٧ باريس .

السندسية في تلخيص تاريخ الصالحية » رقم 1117 ms. or. Wetzel 11 n° ؛ قال الشيخ ابو عمر شيخ المقادسة والحنابلة بتاريخ ٥٥٤ / ١١٥٩ :

« لما سكنا الدير كان في الجبل الشيخ سمار وحمدان وسيدهم يمني في الدير الغربي — وابو العباس الكهفي . . . ولم يكن في الجبل الا ثمانية بيوت من الناحية الغربية دير ابي العباس الكهفي ودار بيت الفيال . . . والكهفي ودير الحوراني وكان من الناحية الشرقية دير يقال له دير الحنابلة وكان فيه جماعة منهم عبد الرحمن المقابري وابو الملا وانا قابلون وكان اولا الناس من الرهبان فاتفق انهم احدثوا شيئاً فأخرجوا منه فسكنه ابن مستفاد واولاده واقاربهم طلبه لهم سابقاً الامام عبد الوهاب ابن الشيخ ابي الفرج الشيرازي الحنبلي وكانوا من اصحابه وكان الشيخ واعظاً عظيماً في البلد » (f° 2٥٥).

وقال بعد ذلك :

« دير الرهبان وتقدم ذكره سكنه جماعة ابن الحنبلي ثم صار يعرف بدير الحنابلة » (f° 3١٧).

واشار ابن شداد قبله الى مساجد الجبل فقال :

« مسجد مغارة الدم مسجد آخر فوق مغارة الدم مسجد مسجد الدير الذي كان لرهبان النصارى فجعل مسجداً خَرِب »[1]

فهل كان هذا المسجد الخَرِب هو مسجد دير الحنابلة المتقدم الذكر ، ام هو دير آخر تهدم مسجده قبل القرن السابع للهجرة ؟ وكان لا شك في سفح جبل قاسيون ، في ايام الروم ، غير دير واحد لما امتاز به الجبل من النزاهة وحسن المُطَلّ على رياض الغوطة . ويتضح من رواية ابن المبرد انه كان من الديارات القديمة في قاسيون ثلاثة اديار عُرف الغربي منها باسم دير ابي العباس الكهفي ، والشرقي بدير الحنابلة ، والمشهر الثالث بدير الحوراني ، وكان فيما يظهر في الناحية الغربية من الجبل[2] . فأيّ هذه الاديار الثلاثة كان دير سمعان الذي خرب قبل القرن السادس للهجرة وتنوسي اسمه لغلبة الوهم الشائع انه في جوار حمص او معرة النعمان وانه مدفن الخليفة عمر بن عبد العزيز ؟ وما كان

١) الاعلاق الخطيرة، خزانة بريتيش موزيوم Add. 23385, f° 56

٢) في ذيل الروضتين لابي شامة في كلامه على ابي عمر شيخ الصالحية والمقادسة « قبره في طريق مغارة الجوع في الزقاق المقابل لدير الحوراني عن يمين المار الى المغارة » (ص٧٥).

قبل الاسلام اسم كل من الديرين الآخرين ؟ وسيبقى سر هذه الاديار الثلاثة مكتوماً في صدر الغيب الى ان يُفتح علينا ببعض خبايا الخزائن الخاصة المضنون بها على العلم .

وكان يقال احياناً لدير الحنابلة « دير المقادسة »[1] وهم قوم حنابلة من قرية جماعيل من نابلس المقدس ، هاجروا في ايام الصليبيين الى دمشق ونزلوا في مسجد ابي صالح خارج الباب الشرقي مدة ثلث سنوات وعرفوا باسم «الصالحية» نسبة الى المسجد ، ثم خرجوا الى جبل قاسيون وتديّروه وعرف بهم فكان يقال جبل الصالحية اشارة اليهم ولم يكن مشتهراً قبل الا باسم قاسيون .

وقد عثرنا على اسم « دير المقادسة » في مجموع عربي رقم ٩٨٢ ، في خزانة باريس ، عُدّ غلطاً في المخطوطات التركية . وهو احاديث شتى وفيه « الجزء السادس من الموافقات في مشايخ مشايخ ابي دواد والترمذي وابن ماجه والنسائي جمع محمد بن عبد الواحد بن احمد المقدسي » وتحت عنوان هذا الكتاب في آخر سماع لكاتبه : « صحّ ذلك في يوم الجمعة ثاني رجب الفردسنة سبع وثلاثين وثمان مائة بثنيّات دير المقادسة من قاسيون» (١٤٣٤م).

وربما قيل احياناً لهذا الدير « الدير المبارك » ومنه في ترجمة ابي عبدالله السعدي المقدسي الدمشقي الصالحي « ولد بالدير المبارك في سنة تسع وستين وخمسمائة »[2] .

---

١) الدروج السندسية لابن كنان ، طبعة مديرية الآثار القديمة ، ٨١

٢) المنهل الصافي لابن تغري بردي ، نسخة الجامعة العبرية بالقدس ، ٧ : ٢٠٤

١١

دير حَنَنْيا

بظاهر دمشق

في التقاليد المسيحية ان حنانيا الرسول هو اول اساقفة دمشق . فلا غرو اذا انتسب اليه احد الاديار في ضواحيها ، وقد تصرفوا في لفظ اسمه فقالوا حَنَنْيا بفتح الحاء والنون واسكان الياء ، وورد بهذا الضبط في الشعر ، ولا تزال الى اليوم تعرف به احدى حارات الباب الشرقي من ابواب المدينة حيث كان منزله . وربما الحقوا في الشعر المدّ بآخره فجعلوه حنيناء . وعليه قول الكميت يرثي معاوية بن هشام بن عبد الملك وقد مات عنده :

فأيّ فتى دنيا ودين تلمَّست بدير حنيناء المنايا فدلَّت
تطلَّت الدنيا به بعد موته وكانت لنا حيناً به قد تحلَّت (١)

وروى البكري فيما قيل ان الذي رُثي بهذا الشعر هو البطّال احد فرسان العرب المشهور بغزوات الروم في ايام الامويين مات بدير حنينا قافلاً مع معاوية بن هشام من غزوة ، فامر معاوية الشعراء برثائه . والصحيح ما اثبتناه . ومما يدل عليه ان قبر معاوية بن هشام كان ملجأ معروفاً في الدولة المروانية يستجير به الخائف فيؤمَّن لمحله من بيت الخلافة . ولما نظم الكميث قصائده الهاشميات وهجا بني امية امر الخليفة هشام بن عبد الملك ان يُقطع لسانه ويده فأُخذ وحُبس ثم افلت من السجن متنكرًا بثياب امرأته وقدم دمشق ، واستجار بعنبسة بن سعيد بن العاص ، فامره ان يعوذ بقبر معاوية بن هشام بدير حنينا وشفع فيه بعض رجالات امية فنجا من القتل (٢) .

وقد اهمل ياقوت والبكري والعمري ذكر هذا الدير في جملة الديارات . واشار ياقوت الى موضعه في حرف الحاء واقتصر على القول انه من اعمال

---

١) معجم ما استعجم للبكري ٢٧٣ - ٢٧٤

٢) الاغاني ١٥ : ١١٥

دمشق[1]. ولا شك ان الناحية كلها كانت معروفة باسمه . ولذلك قيل ان معاوية ابن هشام قُبر فيه ، وولده عبد الرحمن هو الامير المعروف بالداخل منشىء الدولة الاموية في الاندلس ، ولد في ناحية الدير سنة ١١٣ للهجرة[2] (٧٣١ م) .

ولا سبيل اليوم الى الاهتداء لمكان هذا الدير وموقع ناحيته . وكان لا يزال معروفاً مقصوداً بالزيارة في اوائل القرن السابع ، في ايام الملك الناصر صلاح الدين داود ابن الملك المعظم الايوبي . وقد وُفّقنا للعثور على قصيدة من شعر عون الدين بن المجمي الحلبي الكاتب (٦٠٦ – ٦٥٦ هـ ١٢٠٩ – ١٢٥٨ م) في مدح الملك الناصر ذكر فيها ثلاثة من اديار الشام ومنها دير حنينا ننقل منها ما يأتي وعاليه في وصف خمرة الدير :

يا سائقاً يقطع البيداء معتسفاً ... مسافراً لم يكن في سيره وانى
ان حزت بالشام شمّ تلك العرصى ولا ... تعدل – ان فات المنى – عن دير مران . . .
واعبر بدير حنينا وانظر ورص اثاراتٍ مـا ... بين قسبين ومطران
واستجلِ راحاتها تجي النفوس اذا ... دارت براح شماميس ورهبان
حمراء صفراء بعد المزج كم قذفت ... بشُهبها من هوى كل شيطان
كم رحتُ في الليل أسقيها واشربها ... حتى انقضى وفديي غير ندمان
سألت توماس عمن كان عاصرها ... اجاب رمزاً ولم يسمح ببيان
وقال اخبرني شمعون بنقله ... عن ابن مريم عن موسى بن عمران
باتا سفرت بالطور مشرقـة ... انوارها فكشفوا عنهـا بخران
وهي المدام التي كانت ممثّلة ... من عهد هرمس من قبل ابن ركنان
وهي التي عبدتها فارس فكنى ... عنها بشمس الضحى في قوله ماني
سكرت منها فلا صحو وجُدتُ بها ... على الندامى وليس الشحّ من شاني
وسوف امنحها اهلاً وانشده ... ما قيل فيها بترجيع والحـان
حتى قيل لهـا اعطافه طرباً ... وينشي الكون من اوصاف نشوان
خير الملوك صلاح الدين ليس له ... في الجود ثانٍ ولا عن جوده ثاني [3]

ولعل توماس هذا الذي ذكره كان وقتئذٍ رأس دير حنينا ، ام بالحري متولي بيع الخمر فيه . وقد اطلنـا البحث عن شاهد آخر يشير الى هذا الدير فذهبت اتعابنا ادراج الرياح .

١) معجم البلدان ٣ : ٥٥٠
٢) المقفّى للمقريزي ، خزانة باريس ٢١٣١ ، ص ٥٢
٣) فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ١ : ٢٢٥ – ٢٢٦

رد كامل التركة

على احد الزوجين

للمحامي يوسف آصاف

دكتور في الحقوق

توطئة

كان للشعب اللبناني ، فيما مضى ، عدة مذاهب في تقسيم التركات ، منها المذهب الماروني المذكور في كتاب « العادات السورية الرومانية » ، ثم في كتاب « الهدى » ، وبعده في كتاب آخر عرف « بخطوط آ » وجاء المطران عبدالله قراعلي ووضع « مختصر الشريعة » ونظم تقسيم التركات وفقاً لمبادئ الحنفية [1] ، مع بعض التحوير في التفاصيل فتشت الطائفة المارونية على آراء قراعلي .

ومن مئة سنة ونيف تركت الطائفة المارونية نصوص « مختصر الشريعة » واعتنقت تقسيم المذهب الحنفي بحذافيره ، وبهذا توحدت مبادئ تقسيم التركات في لبنان الا في انتقال الاراضي الاميرية .

وانتقال الاراضي الاميرية كان له احكام خاصة طرأ عليها تغييرات كثيرة الى ان صدر قانون الارث النظامي المؤرخ في ٣ ربيع الآخر سنة ١٣٣١ ، و٢٧ شباط سنة ١٣٢٨ ، وقد اعتبر الذكر والانثى متساويين بحق الارث النظامي ،

---

١) نسبة الى المذهب الحنفي لمؤسسه ابي حنيفة النعمان بن ثابت بن المرزبان الفارسي ، المولود في الكوفة سنة ٦٩٩ مسيحية ، وسنة ٨٠ هجرية ، من أب ساقته تجارة ازرقيق الى المدينة وأجبر على اعتناق الاسلام لاعتناق ولده ابي حنيفة الذي اشتغل في تجارة الخز والاصواف ، وتعلم الفقه على حماد بن ابي سليمان ، وتوفي سنة ٧٦٧ مسيحية و ١٥٠ هجرية في سجن بغداد .

وقال بالتمثيل اي ان الاحفاد يأخذون محل آبائهم المتوفين ويرثون نصيبهم مع ابناء المتوفى ، وذلك ممنوع في الارث الشرعي .

وتطبق قاعدة التمثيل على جميع درجات الانتقال ، وعلى جميع الورثة ، وفقاً للقوانين الحديثة ، ومثلها اعطى الحق لاحد الزوجين بكامل المتروك من الاراضي الاميرية فرضاً وردّاً اذا لم يوجد وارث شرعي .

فالامة اللبنانية تتبع اذاً مذهبين مختلفين باختلاف انواع الاراضي ، ففي الاراضي الاميرية توزع التركة وفقاً لقانون ٣ ربيع الاخر سنة ١٣٣١ و ٢٧ شباط سنة ١٣٢٨ ، وفي الاراضي الملك توزع وفقاً للمذهب الحنفي الذي يجعل الزوجة تنتقل من الربع الى الثمن ، والزوج من النصف الى الربع ، بالولد ، والباقي يوزع على الورثة الشرعيين ، وحظ الذكر كحظ الانثيين ، حتى اذا استوت درجاتهم يقسم المال عليهم باعتبار حالة ذكورتهم وانوثتهم . واذا تفاوتت ، فالاقرب اولى بالميراث ، والوارث بالعصبة يقدم على ذوي الارحام ، ودرجات ذوي الارحام بعضها على بعض .

ولكن اذا توفي رجل وليس له وارث سوى زوجة فلمن تعطى التركة ؟ بعضهم قال بالرد على الزوجة ، والبعض الآخر افتى بالربع للزوجة والباقي لبيت المال ليُحفظ فيصرف في مصارفه الشرعية .

واين هو بيت المال المقصود في اصول توزيع التركات ؟

ان بيت المال هذا تهدم كيانه ، وانعدم وجوده من مئات السنين ، فافتى العلماء المتأخرون بحصر الارث بالزوجة فرضاً وردّاً !

ما هو بيت المال ؟

ولمعرفة بيت المال ، يجب تبيان مصارفه الشرعية ، وهدفه ، فتظهر شخصيته المعنوية المركبة من اربع شخصيات مستقلة بعضها عن بعض باعتبار ان جميع المداخيل توزع حصراً على هذه الشخصيات المعنوية فتصرف على البر والاحسان بواسطة الامام .

المصارف الشرعية وهدفها :

ومصارف بيت المال اربعة :

١ — مصرف الجزية والخراج. ٢ — مصرف العشر والزكاة. ٣— مصرف الخمس والركاز . ٤ — مصرف لقطة وتركة بلا وارث ودية مقتول بلا ولي.

وقد وضع ابن الشحنة مصارف بيت المال نظماً فقال :

بيوت المال اربعة لكلٍّ مصارف بينتها المالونا
فاولها الغنائم والكنوز ركاز بعدها المتصدقونا
وثالثها خراج مع عشور وجالية يليها العاملونا
ورابعها الضوايع مثل ما لا يكون له اناس وارثونا
فصرف الاولين الى بنص وثالثها حواه مقاتلونا
ورابعها فصرفه جهات تساوى النفع فيها المسلمونا (١)

ولهذا تحتم علينا درس هذه المصارف التي يؤلف كل واحد منها بيت مال مستقلاً ، له شخصية معنوية ، وهدف خاص ، ومنتفعون معينون حصراً .

مصرف الجزية (٢) والخراج :

توضع في الصندوق المستقل لمصرف الجزية والخراج جميع الاموال التي

١) انظر مجمع الانهر جزء ١ ، ص ٦٨٧ ، وحاشية ابن عابدين جزء ٣ ، ص ٥٩ و٦٠ وهو محمد امين الشهير بابن عابدين ، احد فقهاء دمشق العظام ، توفي ١٨٣٦ م = ١٢٥٢ هجرية ، بعد ان وضع بضع مجموعات ، منها كتاب « العقود الدرية في تنقيح الفتاوى الحامدية » ، وكتاب « رد المحتار على الدر المختار » شرح تنوير الابصار المعروف بحاشية ابن عابدين ، ومن هذه الحاشية المؤلفة من خمسة اجزاء يتضح انها كانت آخر مجموعة لاقوال الفقهاء السابقين المعروفين وغير المعروفين ، اذ جاء في الجزء الثالث ص ٢٨ ما يلي : «قلت وهذا ظاهر فان البلاد كانت بيد النصارى ولم تزل اليهود مضروبة عليهم الذلة ثم رأيت في حاشية شيخ مشايخنا الرحمتي كتب عند قول الشارح في خطبة الامام يجامع بني أمية مانصه : ثم نقض اهل الذمة عهدهم في وقعة التتار وقتلوا عن آخرهم فكنائسهم الآن موضوعة بغير حق . ويؤخذ من هذا حكم حادثة الفتوى الواقعة في عام ثمانية واربعين بعد المئتين والالف قريباً من كتابتي لهذا المحل. . . »

وقد اخذنا حاشية ابن عابدين مرجعاً لنا لانها تؤلف آخر مجموعة لاقوال الفقهاء والعلماء ولما قيمة علمية يمكن الركون اليها .

٢) حاشية ابن عابدين جزء ٣ : ص ٢٧٢ و ٢٧٤ قال : « الجزية لغة الجزاء لانها جزت عن القتل اي قضت وكفت عنه فاذا قبلها سقط عنه القتل بجزاء ولانها وجبت عقوبة

تستحق ديناً على اعناق غير العرب من نصارى ويهود ومجوس وصابئة[1] وفقاً للتوزيع عند الفتح او بناء على معاهدات عقدت قبل ان يدخل جيش المسلمين البلاد[2] .

والجزية تجب مطلقاً على غير العرب : ولا تسكفوا عن القتال «حتى يعطوا الجزية على يد وهم صاغرون» والجزية لاسقاط القتل ، فمن ينبغي قتله عليه الجزية ، وللعرب غير المسلمين ان يختاروا بين السيف والاسلام[3] « الاصل ان الجزية لاسقاط القتل فمن لا يجب قتله لا توضع عليه الجزية»[1] .

والجزية فريضة دينية لان الفتح الاسلامي يستتبع رقاً[4] .

على الكافر كما في الهداية ، قال في الفتح ولهذا سميت جزية وهي والجزاء واحد وهو يقال على ثواب الطاعة وعقوبة المعصية» .

١) حاشية ابن عابدين جزء ٣ : ص٢٧٦ : « وتوضع الجزية على كتابي يدخل في اليهود السامرة لانهم يدينون بشريعة موسى عليه الصلاة والسلام وفي النصارى الفرنج والارمن ، واما الصابئة ففي الهداية تؤخذ منهم عنده خلافاً لهما ، ومجوسي ولو عربياً لوضعه عليه الصلاة والسلام الجزية على مجوس هجر ، ووثني عجمي لجواز استرقاقه ، فجاز ضرب الجزية عليه لا على وثني عربي لان المعجزة في حقه اقوى فلم يعذر ، ومرتد فلا يقبل منها إلا الاسلام او السيف ، ولو ظهرنا عليهم فنساؤهم وصبياهم في» .

٢) حاشية ابن عابدين ٣ : ٥٩ ، و ٣ : ٢٨٨ : « وما صولحوا عليه لترك القتال قبل نزول العسكر بساحتهم » .

٣) مجمع الانهر ١ : ٦٤٨ ، وحاشية ابن عابدين ٣ : ٢٧٦ « لان القرآن منزل بلغتهم فكان كفرهم والحاده هذه اغلظ من كفر العجم » .

٤) احمد امين : فجر الاسلام ، طبعة ثانية ، ص ٤٠١ وقد جاء في الصفحة ١١٠ «وقد كان الباعث للناس الدخول في الاسلام مختلفاً فمنهم من دخل فيه مؤمناً بحسن مبادئه وصدقها وساعد على ذلك بساطة العقيدة الاسلامية وسهولة فهمها ومنهم من دخل فيه فراراً من الجزية ، لما علمت ان من رضي ان يبقى على دينه تضرب عليه الجزية ، فاذا اسلم رفعت عنه حتى لقد هال بعض الامراء دخول الناس في الاسلام فراراً من الجزية وكتب عمال الحجاج اليه ان الخراج قد انكسر وان اهل الذمة قد اسلموا ولحقوا بالامصار فساخط الحجاج منهم الجزية مع اسلامهم ، وحمل قراء البصرة يكونون لما يرون ، ومنهم من كان يسلم فراراً مما يشعر به من المهانة ، فالاسلام دين الحكام والولاة ورجال الدولة وهو الدين الذي يعتز به من انتسب اليه ، وغيره من الاديان كان مكروهاً محقوناً في الدولة وان ابيح لمعتنقيه ان يأتوا بشعائره ، اضف الى ذلك ان بعض الولاة لم يكن يرعى تعاليم الدين وتعاليمه في الذميين ، فكان يسومهم سوء العذاب فاضطروا ان يفروا من دينهم الى الاسلام» .

ويؤلف الخراج المال الذي فُرِضَ على الاراضي التي استملكها الفاتحون وجعلوا ريعها لمنفعة المسلمين ، وهي اراضي الذميين الخاضعين للجزية ، ودعيت الارض خراجية نسبة لما كان يأخذه المسلمون من وظيفة او خراج .

وارض العرب عشرية لان اللائق بالمسلمين وضع العشر عليهم لانه عبادة حتى يصرف مصارف الصدقات ، ويشترط فيه النية[1] .

« والخراج لا يوظف على المسلم »[2] وهو عقوبة دينية مطلقة .

وارض الشام كانت خراجية

وارض مصر كانت خراجية ، ثم آلت لبيت المال .

واخذها بيت المال ليصرف ريعها في المصارف الخاصة لان الاراضي الخراجية على حكم ملك الله تعالى على وجه يعود نفعه الى المسلمين[3] فقط فيتصرف بها الاشخاص ويستغلونها بادارة الامام[4] لمصلحة الاسلام حتى اذا امتنع احدهم عن الحراثة نزع الامام يده عنها واعطاها لغيره ، والامام ولاية عامة وله ان يتصرف في مصالح المسلمين[5] .

والخراج قسمان : خراج مقاسمة ، وخراج وظيفة .

فخراج المقاسمة ما وضعه الامام بولايته العامة على ارض فتحها ومنّ على اهلها بها ، فيأخذ الخراج قسمة عن كل موسم من مواسم السنة « على حسب ما تطيق الارض من النصف او الثلث او الربع او الخمس وقد تقرر ان خراج

---

١) مجمع الانهر ١ : ٦٦٨ ؛ وحاشية ابن عابدين ٣ : ٢٦٢ قال : « الخراج الذي بالكافر لانه يشبه الجزية لما فيه من معنى العقوبة ولان فيه تعليقاً حيث يجب وان لم يزرع » و ٢٦١ : والعشر على الاراضي العشرية التي هي اراضي العرب لانه الذي بالمسلم « لما فيه من معنى العبادة ».

٢) حاشية ابن عابدين ٣ : ٢٦١ وما يليها .

٣) الاراضي الخراجية تتكون قسماً من الغنائم ، والغنائم فيء . انظر الآية رقم ١ من سورة الانفال .

٤) حاشية ابن عابدين ٣ : ٢٦٣

٥) حاشية ابن عابدين ٣ : ٢٦٦ اولها .

المقاسمة كالعشر لتعلقه بالخراج . ولذا يتكرر بتكرر الخراج في السنة وانما يفارقه في المصرف »[1].

وخراج الوظيفة يستحق سنوياً او شهرياً او يومياً وكان استبدادياً « اي انه ليس فيه جزء معين »[2] كالذي وضعه عمر على ارض سواد العراق بموافقة الصحابة ، وكان ثقيلاً جداً على بعضهم ، حتى ان احدهم قتل الخليفة عمر لانه امتنع عن تخفيض الخراج عنه وكان درهمين يومياً .

ثم وضع بيت المال يده على هذه الاراضي لانها ملكه ، وكان قد منّ بالتصرف على المزارع لقاء الخراج ، ليصرف في مصارفه الخاصة لمصالح المسلمين ، وهذا تخصيص أبدي كشرط الواقف ، وشرط الخراج هو شرط وجود مصرف الجزية والخراج ، وهو وقف على مصالح معينة ، فاذا اضمحل هذا المصرف اضمحل حكمه وتلاشت شخصيته المعنوية المستقلة[3] فزال الوقف.

« قال في الاحكام العلماء يستحقون من النوع الاول بالعمل مع الغنى ، ومن النوع الثاني بصفة الفقر ، ومن النوع الثالث باحد جهات مستحقيه ، ومن النوع الرابع بصفة المرض ونحوه ، ومن خصّ استحقاقهم بالاول نظر الى محض صفة العلم ، وقد يخلط بعضه ببعض لان لكل نوع حكماً يختصّ به »[4]

٢ — مصرف زكاة وعشر :

الزكاة هو القدر الواجب ان يتصدق به اصحاب الاموال التي زادت على سبيل النماء والارباح ، ودفعه بنية الزكاة الى فقير ، والزكاة غير متوجبة على معتوه او مجنون او صبي ، لانها عبادة محضة « ان قتالنا للدين لا للدنيا ».

والزكاة حولية اي سنوية ولا تصحّ من مال الحرام ، وتدفع لبيت المال المخصص لمصرف الزكاة والعشر لتصرف على الفقراء دون غيرهم[5] .

١) ابن عابدين ٣ : ٢٦٨ .

٢) ابن عابدين ٣ : ٢٧٠

٣) بشاره الطباع : الملكية الشخصية والسجل العقاري ، طبعة باريس ١٩٦٧ ، ص١٢٦ ، وابن عابدين ٣ : ٢٨٨ و ٢٩٠ .

٤) ابن عابدين ٣ : ٢٩٠

٥) ابن عابدين ٢ : ٢ وما يليها .

وتقدر الزكاة باثنين ونصف بالمائة ، وجاء في حديث « هاتوا ربع عشر اموالكم » .

والعشر هو احد الاجزاء العشرة من نماء الارض ، ويؤخذ صدقة من ريع املاك المسلمين لان اللائق بالمسلمين وضع العشر عليهم لانه عبادة حتى يصرف مصارف الصدقات ويشترط فيه النية[1] . فسميت الاراضي عشرية نسبة لوظيفتها ، ولكنها تبقى ملكاً لاصحابها ، بخلاف الاراضي الخراجية ملك المسلمين ، ويتصرف بها الكفار او اهل الشرك ، وتدفع الخراج .

وقد ذكر العشر مع الزكاة لانه منها ، ومثلها عبادة وصدقة على الفقراء[2] ولا يجوز ان يصرف مال الزكاة والعشر في غير مصارفه الشرعية لانه وقف مؤبد على الفقراء ومحرم ديناً على غيرهم .

واذا كان هذا المصرف غير موجود ، بتولية الامام ، فيكون قد اضمحل وتلاشت شخصيته المعنوية المستقلة .

وانا لا نرى له وجوداً من مئات السنين .

مصرف خمس وركاز :

جاء في سورة الانفال : الآية ٤٠ : « واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل[3] »

وهذا الخمس هو احد الاجزاء الخمسة التي تتألف منها الغنائم ، والغنائم جمع غنيمة ، وهو ما نيل من الكفار عنوة والحرب قائمة[4] .

وما نيل بعد وضع الحرب اوزارها وصيرورة الدار دار الاسلام ، يكون لكافة المسلمين ، ولا يخمس[5] .

والاموال القابلة للقسمة توزع بين المسلمين بعد اخراج الخمس لقوله « فان

---

١) مجمع الانهر ١ : ٦٦٨ وما يليها ، وحاشية ابن عابدين ٣ : ٢٦١

٢) المبسوط : باب العشر ؛ ومجمع الانهر ١ : ٦٦٨ ؛ وحاشية ابن عابدين ٣ : ٢٦١

٣) ابن السبيل : هو المنقطع في سفره من المسلمين فقط ، وليس للكفار او للذمي حظ في بيت المال » .

٤) مجمع الانهر ١ : ٦٤٧ ، والمبسوط : باب الغنائم .

٥) مجمع الانهر ١ : ٦٤٨

لله الخمس ولرسوله » وسهم الرسول سقط بموته لانه كان يستحقه بالرسالة ، ووجب رده على اليتامى والمساكين وابن السبيل ، والاخماس الاربعة الباقية توزع بين الفاتحين للراجل سهم وللفارس سهمان[1] .

وهذا الخمس يكون على ثلاثة اسهم ، سهم لليتامى ، وسهم للمساكين ، وسهم لابن السبيل[2] ، وهو وقف عليهم[3] .

اما الركاز فهو ما ركزه الله اي احدثه ودفنه في المعادن من ذهب وفضة وغيرهما ، غير ان الشرع قصد بالركاز الكنز المثبت في الارض بفعل الانسان والانسان يشمل المؤمن غير ان الفقهاء خصوه بالكافر لان كنزه هو الذي يخمس اما كنز المسلم فلقطة[4] .

وما يؤخذ بطريق التخميس يوضع في بيت مال اليتامى والمساكين وابن السبيل ليصرف عليهم دون غيرهم ، وهو وقف مؤبد عليهم .

فاذا اضمحل هذا المصرف – او الوقف – تلاشت شخصيته المعنوية المستقلة ، وهذا ما حصل من مئات السنين .

مصرف لقطة وتركة بلا وارث ودية مقتول بلا ولي :

ان لهذا المصرف ايضاً شخصية معنوية مستقلة ، تصرف مداخيلها بوجه التخصيص والتأبيد على لقيط فقير وفقير بلا ولي ، فتعطيهم نفقاتهم وادويتهم وتكفن به موتاهم .

---

١) المبسوط : باب الغنائم ، وحاشية ابن عابدين ٣ : ٥٩ ، و ٣ : ٢٤٢

٢) مجمع الانهر ١ : ٦٥٦

٣) ابن عابدين ٣ : ٢٤٣ قال : « علله في البدائع بان ذكر هؤلاء الاصناف لبيان المصارف لا لايجاب الصرف الى كل صنف منهم شيئاً بل لتعيين المصرف حتى لا يجوز الصرف الى غير هؤلاء : الشرنبلالية (قوله وقد حققته في شرح الملتقى) ونصه والخمس الباقي من المغنم كالمعدن والركاز يكون مصرفها لليتامى المحتاجين والمساكين وابن السبيل منهم عندنا اثلاثاً هذه الاموال الثلاثة لهؤلاء الاصناف الثلاثة خاصة غير متجاوز عنهم الى غيرهم فتصرف لكلهم او لبعضهم فبسبب استحقاقهم احتياج يتم او مسكينة او كونه ابن السبيل فلا يجوز الصرف لغنيهم ولا لغيرهم كما في الشرنبلالية والفهستاني » .

٤) حاشية ابن عابدين ٣ : ٥٩

واللقطة شيء متروك لا يعرف له مالك ككنز المسلم والاموال المجهول مالكها .

والتركة بلا وارث هي كل مال توفي مالكه ولا ينتسب اليه احد لا من العصب ولا من ذوي الارحام ، ولا من الموالاة ، فتوضع في هذا المصرف اي في بيت مال هذا المصرف لتحفظ فتصرف مصارفها الشرعية .

وقيل خطأ انه اذا توفي احد الزوجين وليس له وارث سوى زوجه فيأخذ هذا فرضه الشرعي ويأخذ الباقي المصرف المستقل والمخصص ، بحكم الوقف ، على لقيط فقير ، وفقير بلا ولي من المسلمين ، ولا حظ للكافر في هذا المصرف باعتبار ان الزوج لا صلة له بزوجه ، ولا يعطى سوى فرضه مهما كانت الظروف على شرط وجود وصحة هذا المصرف .

واذا اضمحل هذا المصرف وتلاشت شخصيته المعنوية المستقلة ، فهل يجوز توريث شخص غير موجود ، وشرط الارث الوجود ؟ فالجواب لا يمكن الا ان يكون سلباً .

في الاستقلال الذاتي لكل مصرف ، او بيت من بيوت المال الاربعة :

ان المشترع الاسلامي جعل بيت المال مؤلفاً من اربعة بيوت لكل واحد منها شخصية معنوية مستقلة ، وصندوق شخصي مستقل مخصص للاصناف المذكورة سابقاً ، بنوع انه جعل كل مصرف وقفاً يعود نفعه على جهة معينة بنوعها ، ووضع الامام ولياً عليها

وعلى الامام ان يجعل لكل نوع من انواع بيت المال بيتاً خاصاً ولا يخلط بعضه ببعض ، وله ان يستقرض من احدها ليصرف للآخر ، وان قصّر كان الله عليه حسيباً[1] .

« وعلى الامام ان يجعل لكل نوع بيتاً يخصه وله ان يستقرض من احدها ليصرفه للآخر ويعطي بقدر الحاجة والفقه والفضل فان قصّر كان الله عليه حسيباً (زيلعي[2]) ولا شيء لذمي في بيت المال » .

١) مجمع الانهر ١ : ٦٧٨

٢) حاشية ابن عابدين ٣ : ٢٩٠

« ويجب على الامام ان يتقي الله تعالى ويصرف الى كل مستحق قدر حاجته من غير زيادة فان قصر في ذلك كان الله تعالى عليه حسيباً»[1].

وقال الشرنبلالي في رسالته : « ذكروا انه يجب عليه ان يجعل لكل نوع منها بيتاً يخصه ولا يخلط بعضه ببعض وانه اذا احتاج الى مصرف خزانة وليس فيها ما يفي به استقرض من خزانة غيرها اذا حصل كأن استقرض لها مال يرد الى المستقرض منها.. ولكل بيت مال محلات يصرف اليها»[2].

فاتضح من المؤكد ان كل مصرف او بيت مال يؤلف وقفاً يصرف مداخيله في جهة معينة باعتبار ان هذه الجهات تستحق الصدقة ، فيكون وقفاً هدوه اعمال البر والاحسان كالوقف الخيري في زماننا . غير ان هذه الاوقاف قد تلاشت ، ومداخيلها قد مُنعت، وانتزعت الولاية من الامام وزالت شخصية بيت المال .

اضمحلال شخصية بيت مال المسلمين

ومما تقدم يتضح انه لم يبق بيت واحد من بيوت المال ، حتى انه لم يبقَ لاحدها اثر ، لا في الشرائع ، ولا في العادة ، وبهذا يكون بيت مال المسلمين قد زال من مئات السنين ، وشرط الاخذ ، والارث ، الوجود، ومن كان غير موجود فلا يرث ، ولا يعطى ، ولا يمكنه مادياً او معنوياً ان يأخذ ما دام لا يعرف ، بل هو غير موجود .

كيف اضمحلت بيوت مال المسلمين او اوقافهم

في عهد الخلفاء الراشدين والفتح الاسلامي كان بيت المال باقياً ، وكانت الاموال تجمع وتحفظ وتصرف في مصارفها الشرعية ، اي على اعمال البر والاحسان .

وفي عهد معاوية بدأ السوس ينخر اوضاع هذه الاوقاف بحيث حوّل معاوية الخلافة الى ملكية ، فاصبح ملكاً لا خليفة ، والملك منصب شريف يشتمل على جميع الخيرات الدنيوية ، والشهوات البدنية ، والاستئثار بالمجد . ولم يكن

١) حاشية ابن عابدين ٣ : ٢٩٠

٢) حاشية ابن عابدين ٢ : ٥٨

لمعاوية ان يدفع ذلك عنه ، فاستعمل طبيعة الملك في اغراضه ومقاصده الشخصية ، والدعاية له ، فقام يسطو على العلماء والفقهاء ويمد يده الى بيوت المال ، فجمعها في بيت واحد جديد ، ملغياً جميع الاوقاف ، واستعمل مال المسلمين لنفسه استبداداً وايد البيعة الى ابنه يزيد بولاية عهده وفرق على ذلك اموالاً جزيلة ، فاجاب الناس كلهم على بيعته[1] .

وقبل وفاته اوصى باعادة نصف امواله لبيت المال تزكية عن نفسه مع ان الزكاة من مال الحرام ممنوعة .

وبعد معاوية استبد الخلفاء بمداخيل بيت المال ، وبمصارفه ، فانغمسوا واعوانهم في الحروب والفتن .

وفي سنة ٧٠ للهجرة كثرت الخوارج في العراق فارسل عبد الملك بن مروان احد رجاله الى العراق وهو الحجاج بن يوسف الثقفي ، وكان افصح اهل زمانه ، ذا عنوة واسراف ، كثير الكرم ، يحب سفك الدماء ، وقد وصف نفسه فقال : « انا مجندل الفساق ، ومطفي نار الشقاق . . . فقال عبد الملك وما تصنع في العراق ، اجاب الحجاج : من جادلني نزعته ، ومن خالفني قطعته ، ومن دنا مني اكرمته ورفعته ، ومن طلب الامان اعطيته ، ومن سارع الى الطاعة بجلته ، وما لك يا امير المؤمنين ان تسألني ، فان كنت الى الاعناق قاطعاً والى الاموال جامعاً ، والى الارواح نازعاً ، وان لك في هذه الاشياء نافعاً » .

وقام الحجاج في العراق بما وعد به ، وقتل ما يزيد عن ١٢٠ الف شخص وسجن ما يقارب التسعين الفاً ، وجمع الاموال استبداداً ، اي انه نهب اهل العراق ، وقد كتب اليه عبد الملك بن مروان ، قال : « بلغني عنك اسراف في الدماء وتبديد في الاموال ولقد امرتك في الدماء الدية وفي الاموال ان تردها الى اهلها فانما هو مال الله ونحن اولياء عليه » ، فاجابه الحجاج : « فان كان قتل اهل المصاوة اسرافاً ، واعطاء الطايعين تبديداً . . . ما ظلت القوم ولا قتلت الا بك ولا اعطيت الا منك » فسكت عبد الملك الذي كان قد جعل بيت المال مباحاً للسارقين وسائباً للمنافقين .

---

١) تاريخ الامير حيدر ، طبعة المغيب ، ص ٥٥

واستمرت الحروب والفتن الداخلية ، والشقاق ، والنفاق وكثرت جباية الاموال ، والمصادرة ، وكثر النهب والظلم واجزال العطاء الى البعض ، وقتل البعض الآخر ، والفقهاء مولعون بكتابة الفقه وفقاً للظروف الماضية ، والمبادئ النبوية دونما تصدٍّ للحوادث ، والتطورات التي نتجت عن تحويل الخلافة الى ملكية ، وعن الالغاء الضمني لبيت المال بفروعه ، وعن الرقي الاجتماعي ، فتوقف الفقه على التقليد القديم ، واخذ بالجمود والتحجر ، وتدفقت الفتاوى وشرح المتون وتفسير النصوص بمعناها القديم .

وجاء الفتح العثماني ، معتنقاً مذهب ابي حنيفة النعمان الفارسي الاصل ونشره في جميع الاقطار الخاضعة لدولة بني عثمان ، وهو لا يزال مذهب المسلمين السنيين في لبنان .

وكانت قد تحولت الاراضي من خراجية الى عشرية ، وآلت لبيت المال ، وذهبت الجزية ، وامتنع التخميس ، وصدرت قوانين تقيد التنقيب عن المعادن ، فاضمحل الركاز ، وتركت الزكاة ، وتغير بيت المال ، وتجدد على اسس حديثة ، ولم يعد يذكر ان له فروعاً ، او بيوتاً ، او اوقافاً ، يصرف ريعها في جهات معلومة ومحصورة ، ولم يعد للفقير واليتيم ، وابن السبيل ، واللقيط الفقير ، والفقير بلا ولي ، حظ في بيت المال ، فقيل ان الوسن الذي بدأ تخر اوضاع بيت المال في عهد معاوية توصل الى تقويضه تماماً ، حتى ان العلامة الدمشقي محمد امين المعروف بابن عابدين ، مصنف الحاشية المسماة « رد المحتار على الدر المختار » شرح تنوير الابصار ، المتوفى سنة ١٢٥٢ ، قام يصرخ بوجه السلطان محمود الثاني[1] قائلاً ان بيت المال ، اصبح بيت مال السلاطين وليس بيت مال المسلمين وليس من علاقة بين هذين البيتين ، ودلل على هذا التأكيد في كتاباته وفتاويه وشروحه .

وجاء بعده ابنه الشيخ محمود علاء الدين بن عابدين مؤلف « قرة عيون الاخيار لتكملة رد المحتار » يحذو حذوه ، وقد كان احد اعضاء جمعية المجلة

---

١) اعتلى محمود الثاني عرش السلطنة ١٨٠٨-١٨٣٩ ، اباد جيش الانكشارية ، وخلع العمامة ولبس الطربوش .

فعمل ثلاث سنوات ثم استقال ورجع الى وطنه دمشق الشام لما في قلبه من الرمضاء من فراق الاوطان والاهل والخلان[1] .

وهكذا اضمحل او فسد حسب تعبير ابن عابدين ، بيت مال المسلمين ، ولهذا لا يرث بيت المال لفساده وترد التركة على احد الزوجين عند عدم وجود وارث شرعي .

اقوال الفقهاء

وافتى الفقهاء المتأخرون بالرد على احد الزوجين وقد جمع هذه الاقوال ابن عابدين قال في الغنية : « ويفتى بالرد على الزوجين في زماننا لفساد بيت المال، وفي الزيلعي عن النهاية : ما فضل عن فرض احد الزوجين يرد عليه . وكذا الابن والبنت من الرضاع يصرف اليهما . وقال في المستصفي : والفتوى اليوم بالرد على الزوجين ، وهو قول المتأخرين من علمائنا . وقال الحدادي : الفتوى اليوم بالرد على الزوجين . وقال المحقق احمد ابن يحيى بن سعد التفتازاني : افتى كثير من المشائخ بالرد عليهما اذا لم يكن من الاقارب سواهما لفساد الامام وظلم الحكام في هذه الايام ، بل يفتى بتوريث بنات المعتق وذوي ارحامه. وكذا قال الهروي : افتى كثير من المشايخ بتوريث بنات المعتق وذوي ارحامه ا ابو السعود عن شرح السراجية للكازروني : قلت وفي معراج الدراية شرح الهداية وقيل ان لم يترك الا بنت المعتق يدفع المال اليها لا ارثاً بل لانها اقرب ، وكذا الفاضل عن فرض احد الزوجين يدفع اليه بالرد . وكذا يدفع الى البنت والابن من الرضاع، وبه يفتى لعدم بيت المال. وفي المستصفى: والفتوى اليوم على الرد على الزوجين عند عدم المستحق لعدم بيت المال اذ الظلمة لا يصرفونه الى مصرفه وهذا كما نقل عن بعض اصحاب الشافعي انهم يفتون بتوريث ذوي الارحام لهذا المعنى اه. وقال الشارح في الدر المنتقى من كتاب الولاء : قلت ولكن بلغني انهم لا يفتون بذلك فتنبه اه. اقول ولم نسمع ايضاً في زماننا من افتى بشيء من ذلك . ولعله لمخالفته للمتون فليتأمل . لكن

[1] مقدمة قرة عيون الاخيار لتكملة رد المحتار للشيخ محمد علاء الدين بن عابدين ، ص ٤

لا يخفى ان المتون موضوعة لنقل ما هو المذهب . وهذه المسألة لما افتى بها المتأخرون على خلاف اصل المذهب للعلة المذكورة كما افتوا بنظير ذلك في مسألة الاستئجار على تعليم القرآن مخالفين لاصل المذهب لخشية ضياع القرآن ولذلك نظائر ايضاً . وحيث ذكر الشراح الافتاء في مسألتنا فليعمل به ولا سيما في مثل زماننا فانه انما يأخذه من يسمى وكيل بيت المال ويصرفه على نفسه وخدمه ولا يصل منه الى بيت المال شيء. والحاصل ان كلام المتون انما هو عند انتظام بيت المال وكلام الشروح عند عدم انتظامه ، فلا معارضة بينهما فمن امكنه الافتاء بذلك في زماننا فليفت به ، ولا حول ولا قوة الا بالله ».[1]

وقال قاضي شرع بيروت ، الشيخ محيي الدين المكاوي في حكم صدر بتاريخ ٣١ ايار سنة ١٩٤٧ رقم ٣٩٩ : « وبما ان الاوصاف الواردة في بيت المال بصرف الاموال في المصارف الشرعية غير موجودة في اي بيت مال منذ مئات السنين ، فقد افتى العلماء المتأخرون بحصر الارث بالزوجة فرضاً وردّاً »

وقد جاء هذا الحكم موافقاً للشرع ، ومبدأ توزيع التركات ، لانعدام بيت مال المسلمين .

في ضرورة الرد على الزوجين اجتماعياً

يتضمن القرآن تشريعين : الاول يتعلق بالمسائل التعبدية ولا علاقة لنا به ، والثاني يتعلق باحوال الناس ، ومعاملاتهم الدنيوية ، والقصد منه جلب المنافع ودرء الخطر عن الناس ، ولم يقل عن المسلمين.

وهذا التشريع الاخير ظلّ ردحاً من الزمن مقيداً بالتقليد والجمود نابذاً التوليد تبعاً للتطور الاجتماعي ، مع ان المشترع القرآني امر بالتطور وتغيير الاحكام بتغيير الزمان ، قال : « انما انا بشر،اذا امرتكم بشيء من دينكم فخذوا به . واذا امرتكم بشيء من رأي فانما انا بشر ، انتم اعلم بامر دنياكم» وجاء في سورة البقرة :«يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر »[2]. وجاء في احاديث البخاري : « خذوا من العمل ما تطيقون ».

١) حاشية ابن عابدين ٥ : ٥٣٠

٢) سورة البقرة : الآية ١٨٥

وتبع عمر بن الخطاب هذا المبدأ حتى انه خالف النصوص القرآنية الواردة في سورة التوبة وهي : « انما الصدقاتُ للفقراء والمساكينَ ، والعاملينَ عليها ، والمؤلفة قلوبُهم ، وفي الرقـاب والغارمين ، وفي سبيل الله وابن السبيل ، فريضة من الله . والله عليم حكيم »[1]. وان المؤلفة قلوبهم هم الذين كان النبي يعطيهم الصدقات ليتألفهم على الاسلام لضعف ايمانهم او لدفع شرهم او لعلو منزلتهم في قومهم . فالغى عمر بن الخطاب حصة المؤلفة قلوبهم ، رغم النص الصريح ، وردهم بقوله : « هذا شيء كان رسول الله يعطيكموه ليتألفكم على الاسلام ، والان فقد اعزّ الله الاسلام واغنى عنكم ، فـان ثبتم على الاسلام ، والا فبيننا وبينكم السيف[2] . انّا لا نعطي على الاسلام شيئاً ، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ».

واعتنق هذا المبدأ بعض الائمة وعملوا لتغيير الاحكام مع الزمان ، قال ابن القيم : « ان الشريعة مبناها واساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد ، وهي عدل كلها ، وحكمة كلها ، فكل مسألة خرجت من العدل الى الجور وعن الرحمة الى ضدها ، وعن المصلحة الى المفسدة ، وعن الحكمة الى العبث ، فليست من الشريعة وان ادخلت فيها بالتأويل ، فالشريعة عدل الله بين عباده ، ورحمته بين خلقه »[3].

ولخّص ابن خلدون مبدأ تغيير الاحكام بتغيير الزمان قال : « ان احوال العالم والامم وعوائدهم ونحلهم لا تدوم على وتيرة واحدة ، ومنهاج مستقر ، انما هو اختلاف على الايام والازمنة ، وانتقال من حال الى حال ، وكما يكون ذلك في الاشخاص والاوقات والاسعار ، فكذلك يقع في الآفاق والاقطار والازمنة والدول »[4].

---

١) سورة التوبة : الآية ٥٩ . انظر ايضاً تفسير الجلالين : « حكيم في صنعه فلا يجوز صرفها لغير هؤلاء ولا منع صنف منهم اذا وجد فيقسمها الامام عليهم على السواء وله تفضيل بعض آحاد الصنف على بعض وشرط المعطى منهم الاسلام » .

٢) صبحي المحمصاني : فلسفة التشريع في الاسلام ، بيروت ١٩٤٦ ، ص ١٧٨

٣) صبحي المحمصاني : فلسفة التشريع في الاسلام ، ص ١٧١

٤) مقدمة ابن خلدون ، طبعة ١٩٣٠ ، ص ٢٢ ، والمادة ٣٩ من المجلة .

ولهذا يجب ان تتبدل الاحكام وتجاري الزمان ، وتوافق البيئة الاجتماعية .

واخذ العلامة ابن عابدين يطبق هذه المبادئ في فتاويه ، وكتاباته الفقهية وخصوصا في رسالته « نشر العرف في بناء بعض الاحكام على العرف » .

والدولة العثمانية تبنت هذه المبادئ في المجلة حتى وفي جميع القوانين فقيل ان قصد التشريع العثماني توفيق الشريعة العراء مع المصلحة العامة ، والمنافع الخاصة ، خصوصاً ان السلطان كان مصدر السلطة والامر ، يشرع القوانين بارادته السنية ، وبعض الاحيان كانت هذه الارادة تنسف الشرع [1] .

وتفككت الدولة العثمانية ، وانفصل عنها دول ، منها تركية الكمالية ، والعراق وسورية ، واعيدت الاراضي التي كانت قد سلخت عن لبنان واخذت كل دولة تصدر قوانين وضعية ، مستمدة من الضرورة الاجتماعية والقوانين الغربية ، فتركية انتخبت القانون السويسري ، وفصلت الدين عن القانون ، ومنعت تعدد الزوجات والطلاق ، الا بواسطة القضاء المدني ، وعممت توزيع المواريث واجازت زواج غير المسلمين بالمسلمات ، ووضعت القرآن باللغة التركية ، فاصبحت الصلاة تقام باللغة التركية .

والبانيا قامت بالاصلاح نفسه ، وفي مؤتمر تيرانا منعت تعدد الزوجات وامرت بنزع الحجاب .

ولبنان ، الذي يؤلف دولة مستقلة لا دينية [2] ، اصدر قوانين كثيرة توافق حالته الاجتماعية ، ومن هذه القوانين قانون الملكية الذي لم يذكر الاراضي العشرية وقانون الموجبات والعقود ، وقانون العقوبات .

وسورية تبعت لبنان واصدرت بضعة قوانين مستمدة من حالتها الاجتماعية الحاضرة .

---

(١) انظر قانون الجزاء وقابل نصوصه مع نصوص الآية ٣٧ من سورة المائدة ومبدأ عقوبة الزنا

(٢) المادة ٩ من الدستور اللبناني : « حرية الاعتقاد مطلقة . والدولة بتأديتها فروض الاجلال لله تعالى تحترم جميع الاديان والمذاهب وتكفل حرية اقامة الشعائر الدينية تحت حمايتها على ان لا يكون في ذلك اخلال في النظام العام . وهي تضمن ايضاً للاهلين على اختلاف مللهم احترام نظام الاحوال الشخصية والمصالح الدينية . »

وهذا التطور الاجتماعي ، اوجب تطوراً اجتماعياً ، وهو ان المسلمين اخذوا يكتفون بزوجة واحدة ، ومنعوا انفسهم الطلاق السريع فاطمأنت النساء واخذن ينظرن الى المستقبل العائلي فقط ، باعتبار ان الزوجين يؤلفان شخصاً واحداً ويعيشان حياة واحدة ، ولهما مصلحة واحدة عسراً ويسراً ، فرحاً وترحاً ، فيترك كل منهما اباه وامه ويتبع رفيق حياته قانعاً بكل حماسة في تنعيم واجباته نحو شريك حياته ، فالزوجة تنفق مالها على اولادها وزوجها ، كما هو يقدم امواله للزوجة وللاولاد .

فهذه الشراكة العائلية او الحياة المشتركة ، المتحدة ، اخذت تتأصل في المجتمع اللبناني ، شاملة جميع الطبقات ، والطوائف الاسلامية معدلة العادات ، وموجبة تبدل الاحكام وفقاً للزمان ورقي السكان ، فاصبح من الضروري ، بناء على المبادئ المذكورة سابقاً ، ان ترد على احد الزوجين ، عرفاً ، واجتهاداً ، كامل التركة عند عدم الورثة الشرعيين .

وكيف ، ولماذا ترد التركة بكاملها على الاخ في الرضاع او الاخت في الرضاع ولا ترد على احد الزوجين الذي افنى حياته في خدمة الآخر ، وفي انماء ثروة العائلة ، وفي المحافظة على حياة الآخر ، حياة شريكه في الحياة ؟ فالرد على احد الزوجين ضرورة اجتماعية يجب ان تتم ، بقطع النظر عن وجود او عدم وجود بيت المال الشرعي ، وان قوانين العالم المتمدن اجمعت على اعطاء كامل التركة الى احد الزوجين عند عدم وجود ورثة شرعيين ، حتى ان في « هايتي » ، تتناول الزوجة نصف التركة مع وجود الاولاد ذكوراً واناثاً ، فهل الرقي في « هايتي » اكثر منه في لبنان .

وعلى القضاء ان يسترشد بالتطور الى حل المشكلات التي تتولد عن الحياة الاجتماعية حلاً صحيحاً مستوحياً من مبدأ العدالة الانسانية ، والنظام الادبي فيوصل كل شخص الى حقه ، ويرد التركة على احد الزوجين .

الشرع المسيحي يرد التركة على احد الزوجين

منذ ظهر الدين المسيحي اخذ يعمل باستمرار عجيب على فك قيود المرأة، ومن ساعة جعلها شخصية انسانية محترمة ، وقد منع الاستبداد بها ورتب عليها واجبات مقدسة كتربية البنين وخدمة المنزل والحياة المشتركة على ان تكون مع زوجها شخصاً واحداً ، لها ما له من حقوق وعليها ما عليه من واجبات .

وفي القرن الرابع للميلاد ، اعطى الشرع المسيحي المرأة شيئاً من تركة زوجها اي قيمة مهرها وجهازها ، واعطى زوجها الحق بان يوصي لها او لغيرها بثلاثة ارباع امواله على ان يحفظ الربع الباقي للورثة ، وهذه هي الحصة المحفوظة المذكورة في القوانين الحديثة

وتبنت السلطة المارونية منذ نشأتها نصوص كتاب « العادات السورية الرومانية » ، وعملت بموجبها ، واعطت الزوجة ثلث تركة زوجها مع وجود الاب والام .

وبعد ذلك قررت العمل بكتاب ابن العسال الذي نص:

« اذا توفي رجل او امرأة عن غير وصية ولم يكن هناك وارث طبيعي لا من المستملين ولا من المستقلين ولا ممن عن جانب فان الرجل يدعى الى ميراث زوجته كله وكذلك المرأة الى ميراث زوجها ».

وفي ١٩ تموز سنة ١٧٤٤ قررت السلطة المارونية تبني مختصر الشريعة [1] للمطران عبدالله قراعلي ، المائل الى تطبيق الشريعة الاسلامية مع بعض التعديل وقد جاء في الباب الثلاثين ، الفصل الاول : « الميراث على قسمين احدهما لمن فرض له نصيب معين مع الورثة وعدة الفروض ستة ، الزوجة لها مع ورثة زوجها الربع اذا لم يكونوا اولاداً ، ومع الاولاد الثمن اذا كانوا اقل من ثمانية ، وان زادوا وبلغوا الثمانية فلها كواحد منهم ولها صداقها وجهازها جميعه

١) انظر كتابنا « صلاحية محاكم الاحوال الشخصية في لبنان وسوريا » ص ٢٢ ، والاب يوسف زياده: «القضاء الماروني وعلاقته بالشرع الروماني» ص ١٤٤ ، والاستاذ ابراهيم عواد *Le droit privé des Maronites au temps des émirs Chehabs* (1697-1841) . p.308

وجميع ما البسها زوجها في حياته ، اما الزوج مع زوجته فله مع عدم الاولاد النصف ومع الاولاد الربع ، وان كانوا اربعة فصاعداً فكواحد منهم ، وان لم يكن لها وارث شرعي لا من المستعلي ولا من المستفل ولا ممن عن الجانب فالميراث كله له ، وحكم الزوجة معه كذلك » .

ونص قانون الكنيسة القبطية الارثوذكسية :

« ان لم يكن للزوج وارث طبيعي مستحق لا من المستعلين ولا من المستفلين ولا ممن عن الجانب فالميراث جميعه يؤول للزوجة ، هذا حكم الزوجة مع زوجها » .

وان كانت المرأة هي المتوفاة فحكم زوجها في ميراثها كحكم حكمها تماماً دون فرق[1] .

ونص قانون العيلة البيزنطي وقانون المواريث المعمول به بفلسطين :

« الطبقة الخامسة (وهي طبقة الورثة) هي طبقة الزوج الحي او الزوجة الحية اي طبقة الباقي من الزوجين في قيد الحياة فيتناول جميع التركة »[2] .

وجاء في الحق العائلي للارشمندريت فوتيوس الخوري المادة ٣١١ : « للزوجة في تركة زوجها ثلاث حالات وهذا بيان تلك الحالات ونصيبها في كل منها :

الحالة الثالثة مات (الزوج) عن زوجته وليس من مدع حق الارث بمرتبة من تلك المراتب الآنفة الذكر فالتركة الخاصة جميعها للزوجة » .

وكل هذه النصوص مرتكزة على مبدأ واحد وهو مبدأ المساواة الحديث الذي يعمل له في جميع اقطار العالم ، وظل هذا المبدأ يطبق في الشرق ، وخصوصاً في لبنان الى ان قضت الحكومة اللبنانية بنزع دعاوى حصر الارث من المحاكم المذهبية المسيحية ، اي الى ٦ شباط سنة ١٩٣٠ تاريخ المرسوم الاشتراعي رقم ٦ ، ومن ذلك التاريخ اخذت المحاكم المدنية تتذبذب لجهلها المبادئ الشرعية التي يرتكز عليها بيت مال المسلمين ، فاخطأ بعضها وقال بوجود بيت المال واصاب البعض الآخر ، وقال باضمحلاله ، ولم تنظر واحدة

---

١) انظر قانون الكنيسة القبطية ، ١٩٣٣ ، ص ٩٥

٢) انظر القانون العيلي البيزنطي المعمول فيه بفلسطين ، ١٩٣٠ ، المادة ١٢٨

منها الى الحالة الاجتماعية ولا الى القوانين السابقة ، وبقيت تتخبط بدون وعي ، مع انه من المؤكد ان التركة ترد كاملة على احد الزوجين عند عدم وجود ورثة شرعيين .

ومما اوجزناه اعلاه يظهر لكل ذي بصيرة ان بيت مال المسلمين قد اضمحل تماماً من مئات السنين في الدول الاسلامية عينها ، ولبنان دولة لا دينية ليس له ، ولا يجوز ان يكون له بيت مال بالمعنى المقصود في الشرع الاسلامي . وبما ان بيت المال قد اندثر ، واجمعت القوانين الانسانية على عدم ذكره ، وشرط الارث وجود الوارث ، فلا يجوز باي حال الرد على بيت المال

واما ما يلقبونه بالخزينة ، فلا يمكنه ان يتناول شيئاً من التركة واحد الزوجين في قيد الحياة .

والضرورات الاجتماعية — وجميع المحرمات تباح بالضرورة ، والضرورات تبيح المحظورات[1] — تفرض الرد على احد الزوجين ، ولا يقال ان لبنان يطبق الاحكام الشرعية ، في الاحوال الشخصية ، وهذا شرع منزل ، لا يمس ، لان واضع الشرع نفسه قال : « انما انا بشر ، انتم اعلم بدنياكم . » والمواريث وتوزيعها تتعلق بالمسائل الدنيوية المحضة وجاء الخلفاء بعده يغيرون الاحكام مع الزمان ورقي السكان ، تابعين التطور الاجتماعي ، واحتياج الناس في حياتهم الاقتصادية والاجتماعية ، الى معاملات كانت ممنوعة .

وبالاستناد الى الحالة الاجتماعية الحاضرة ، يتوجب على السلطة تنظيم المواريث على اسس حديثة يتساوى فيها افراد الامة اللبنانية ، على ان يكون فيها حظ التمثيل ، ومنع من الارث الاخ والاخت في الرضاع ، ونفي الموالاة ونتائجها .

والتجدد الاجتماعي يستتبع تجدداً في القوانين ، ولا يعقل ان يبقى قانون توزيع المواريث على ما هو عليه ، لانه يوم وضع كان احدث القوانين ، وقد وضع اقوام كانوا يعيشون في البادية ، وكانت المدنية غير ما هي عليه اليوم ، والحياة الاقتصادية متأخرة ، والمدنية الحديثة تتبع قوانين حديثة .

---

١) المجلة المادة ٣٣

فنّ التمثيل

في فصول قريبة

نظم يوسف اسعد داغر
احد امناء دار الكتب اللبنانية

فهرس ابجدي

بعناوين المسرحيات

(الموضوعة والمترجمة)

٢

د (تابع)

دليلة : *Dalilah* في ثلاثة فصول ، تأليف : بول ديمازي Demasy عربها سامي الشمعة ، في « الحديث » الحلبية ١٩٢٩

دموع : بقلم محمد فهمي ، مصر ، مطبعة بابيل اخوان ، ١٩٣٣ ، ص ١٧٢

دموع البائسة : ذات ثلاثة فصول ـ دمشق المطبعة الحديثة ، ١٣٥٤ / ١٩٣٥ ص ٦٠

دموعي : تأليف انيس دربة (لبنان)

دوران ودوران : مترجمة عن الفرنسية . مثلت مرارًا في مصر

ديك الجن الحمصي : وضعها ميشال اوبري معتمدًا على قصة ديك الجن لنسيب عريضة ـ حلب ، المطبعة الحديثة ، ١٩٣٠ ، في ٦٥ ص ـ نقدها في « المشرق » ٣ : ٣٩٩

ديك الجن الحمصي : تأليف محمد طاهر الجبلاوي ـ مصر ، مطبعة صادق بالمينا ، ١٩٣٥ ، ص ١٣١

ديتريوس : تأليف خليل باخوس ، ١٨٨٧ ،

ذ

ذات نجلاء العين : غنائية قامت بتمثيلها فرقة آل عكاشة في مصر .

الذبائح : في اربعة فصول . تأليف انطون يزبك اللبناني ، مثلتها فرقة رعمسيس ليوسف وهبي ، طبعتها شركة القرطاس ، مصر ١٩٢٦ ، ص ٧٦ .

الذخيرة : *Le Reliquaire* المؤلف : فرنسوا دوبرا (Dubray) — المترجم : شبلي الملاط . — بيروت ، ١٩٠٦ ، ص ٨٦ .

ذكاء القاضي : تمثيلية للاولاد ، وضعها نصري الخوري (فلسطين) عام ١٩٤٥

الذكرى الخالدة : مجموعة اربع روايات تمثيلية هزلية وضعها الاخ ـ اروفيم فيكتور (رشيد عطاالله اللبناني) ونشرتها جريدة « البشير » ، ثم نشرت على حدة في المطبعة الكاثوليكية ١٩٢٧ ، في ١٦٧ ص ، وهي :

١ — الدسيسة ٢ — من غربل الناس نخلوه

٣ — جلالة الامير ٤ — الغلام الآبق

نقدها في « المورد الصافي » ١٤ : ١٠٣ .

الذهب : *L'or* الكاتبين العالمين ستيفان زويغ وجول رومان . المترجم : الصاوي محمد . — نشرت في مجموعته : « رجال ونساء » ٢ : ١ — ٦٨ — مثلتها فرقة رعمسيس ليوسف وهبي .

ذو اليد الحديدية : ذات خمسة فصول تأليف : غرته ، المترجم : شديد باز الحداد . بيروت ١٩٢٢ . ص ١٣٥

ذي قار : شعرية في اربعة فصول وضعها عمر ابو ريشة . نشرها صبحي البابيدي ، حلب ، ١٩٣٢

ر

الرابح السعيد : هزلية ذات فصل واحد ، ترجمة فتح الله قسطوني . — حلب مطبعة العصر الجديد ، ١٩٣٢ .

رادوبيس : تأليف نجيب محفوظ — القاهرة ، لجنة النشر للجامعيين ، ١٩٤٣ .

راسبوتين : تأليف يوسف وهبي ، مثلتها فرقته المعروفة بفرقة رعمسيس .

راعوث : باللغة العامية ، مأخوذة حوادثها من قصة راعوث في « الكتاب المقدس » ، في اربعة فصول صغيرة ، نشرت في مجموعة « تمثيل القصص من الكتاب المقدس » .

الراقصة : ذات ثلاثة فصول ، تأليف الدكتور محمد عبد الحميد ، — مصر ، مطبعة الاسماعيلية الكبرى ، ١٩٤٧ ، ص ١١٧ .

ربيبة الجبال : ذات اربعة فصول تعرف برواية سلتيادور ، المؤلف : اسكندر دوماس الكبير المعرب : طانيوس عبده — وضعها بالقالب التمثيلي اطف الله اديب سروجي — مطبعة جريدة الهدى ، نيويورك ، ١٩١٠ في ٨٦ ص

رتشرد الثاني . المؤلف : شكسبير ؛ المترجم : محمود عوض ابراهيم — القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٤٨ ، ص ١٢٩ .

رجاء ويأس : ذات مقدمة وثلاثة فصول ، تأليف يوسف الفاخوري — حريصا ، مطبعة القديس بولس ، ١٩٢٧ ، ص ١١٠ .

الرجاء بعد اليأس : تأليف الشيخ نجيب الحداد . — بيروت ، ص ٩٢ .

الرجل الذي قتل : غنائية اشترك بتمثيلها عبد الرحمن خليل . — مصر .

الرجل المسافر : فصل واحد ، تأليف حنا غالب ، نشرها اتحاد المدارس الاحدية في آسيا الصغرى ، اخرجتها المطبعة الاميركية في بيروت ، ١٩٣٨ ، في ١٤ صفحة .

رجوع المهاجر : تأليف حليم فارس — ١٩٠٧ (لبنان) .

الرجوع الى ادرنة : تاريخية ذات مقدمة واربعة فصول وضعها معروف الارناؤوط ، دمشق ، مطبعة النفائس ، ١٩١٣ ص ٩٠ .

رحلة السندباد الثامنة : فصل واحد بقلم خلدون ساطع الحصري « المكشوف » عدد ٢٣٩ ، ص ٦ .

الرداء الاحمر : مسرحية تأليف : اوجين بريو ، مثلتها جوقة عبد الرحمن رشدي وميليا ديان .

رسالة الزنبقة من الظلمة والنور : *The Message of the Lily* مسرحية فصحية للاولاد

في ثلاثة مشاهد تأليف : ف. ل. بلامي F. L. Pellamy الملخصة :
انا ر. كندي Ana R. Kenedy المترجم : منح الراسي ، نشرتها المطبعة الاميركية — بيروت ، ١٩٤٠ في ٣٠ ص .

رسل السلم : في خمسة مشاهد وضعها حنا غالب ونشرها اتحاد المدارس الاحدية في آسيا العربية . المطبعة الاميركية ، ١٩٣٧ ، في ١٥ ص .

الرشيد والبرامكة : تاريخية ذات خمسة فصول يتخللها شعر قديم وضعها الاب انطون رباط اليسوعي ونشرتها مجلة « المشرق » في سنتها ١٣ : ٨ و١٠٠ ، و١٩١ ، و٢٥٢ و٢٤٤ و٤١٨ و٤٩٨ ، ثم على حدة في المطبعة الكاثوليكية ، ١٩١٠ - طبعة ثانية ١٩٢٤ في ١٠٩ ص — نقدها في مجلة « الزهور » ١ : ٤١١ .

رصاصة في القلب : لتوفيق الحكيم من نوع الكوميدي في ثلاثة فصول نشرت في مجموعته : « مسرحيات توفيق الحكيم » ١ : ١٤٨ — ٢٧٠ .

رفقة : مأخوذة حوادثها من « الكتاب المقدس » — نشرت في مجموعة « تمثيل القصص من الكتاب المقدس » .

الروائي : ذات ثلاثة فصول ، مصر .

الروايات المفيدة في علم التراجيدة : مجموعة من ثلاث مسرحيات ترجمها الى العربية باللغة العامية محمد عثمان جلال ونشرها مأسسة ١٣١١ ؛ وهي :

رواية استير ، تأليف راسين ، ص ١ — ٣٩
انغانية « « ص ٣٩ — ٩٠ .
الاسكندر الاكبر ص ٩١ — ١٣٨ .

الرواية الادبية في الخدعة الزوجية : تأليف عبد الغني رمضان ، ١٢٨٤ .

الرواية الخائنة : تأليف محمد طاهر الجبلاوي .

رواية المصاهرة : تأليف محمد غنيم — في « الرسالة » ٧ : عدد ٣٠١

رواية الشيختين : وضعها سلامة حجازي ومثلت فيها ميليا ديان .

روزينا : غنائية ترجمها فرح انطون ومثلتها جوقة منيرة المهدية

روماتوس امبراطور : تأليف عقل الشملاني (لبنان)

روميو وجوليت : تأليف شكسبير ، ذات خمسة فصول ترجمها اولاً عن الانكليزية الشيخ نجيب الحداد لفرقة اسكندر فرح بعنوان « شهداء الغرام » (اطلبها) وطبعت في المطبعة الرشيدية في كفرشيما في ٥٢ ص .

– ثم عربها عن الانكليزية نقولا رزق الله مشيّ « مجلة الروايات الجديدة » .

– وترجمها ايضاً ابراهيم زكي

– ثم ترجمها اسماعيل عبد المنعم

– ثم تولى ترجمتها من جديد محمد الساعي

– ثم عبد الفتاح السرنجاني

– واخيراً علي احمد باكثير

الريال المزيف : ذات ثلاثة فصول ، تأليف رائف الفاخوري في مجلة « الكشاف » ١٩٢٨ ، ٢ : ١٨٥ و ٥٨٢

الريال المزيف : ذات فصلين ، تأليف نعوم نعمة الفرفيني ، في ٢٨ ص .

ريشيليو : تأليف اللورد ليتون المعرب : حسين رمزي – راجع « حياتنا التمثيلية » ٢ : ٢٧٥

ريشيليو : تأليف الاب يوحنا خليفة اللبناني – جونية مطبعة المرسلين اللبنانيين ، ١٩٤٧

ز

زابيد : شعرية ذات خمسة فصول ، تأليف ڤولتير ، ترجمها فارس كلاب واليشاع كرم ٧٢ ص – اطلب زهيرة .

الزباء او زنوبيا ملكة تدمر : مسرحية تاريخية ذات اربعة فصول وضعها الدكتور احمد زكي ابو شادي – القاهرة ، المطبعة السلفية ، ١٩٢٧ ص ٨٥ – نقدها فؤاد افرام البستاني في « المشرق » ٢٦ : ٧٢ – ونُقدت كذلك في « فتاة الشرق » ٢٢ : ٢٣٧

الزباء : ذات خمسة فصول وضعها القس سليمان صائغ ، ومثلها لاول مرة مسرح مدرسة شمعون الصفا بالموصل . نشرتها مجلة « النجم » ٤ :

٢٨١ و ٣٣٣ و ٣٨٥ و ٤٣٣ و ٤٧٢ ؛ ٦ : ٨٩ — وقد وطأ لها بمقدمة في الآراء المتضاربة في الزنا، والزنا في الروايات العربية.

الزعيم *Le Tribun* : تأليف : پول بورجيه — نُقلت ومُثلت على مسرح رمسيس ، وتولى نقدها الفني محمد توفيق يونس في « السياسة الاسبوعية » ، عدد ٩٤

زلة في الحياة : نقلها عن الفرنسية توفيق سعيد الرافعي — مصر ، ١٩١٨

الزمار : كوميديا في فصل واحد لتوفيق الحكيم ، نشرت في مجموعة مسرحياته ، ٢ : ص ١٣٣ — ١٩٢

الزهرة : غنائية تاريخية تأليف كامل محمد عجلان — مصر ، لجنة النشر الجامعيين

زهرة الشاي : درام في ثلاثة فصول تأليف عباس علام ، مثلتها فرقة السيدة فكتوريا موسى بتياترو فكتوريا ، لاول مرة ، سنة ١٩٢٦

زهيرة : تأليف تولتير ، نقلها نجيب فرج الله فياض . اطلق « زاير » .

زوال الحب والملك : تأليف لورد بيرون ، المعرب : ابو الفضل الوليد . ذات خمسة مشاهد ، مطبعة المصباح ، بيروت في ٨٨ ص.

الزوبعة : كوميدي دراماتيك عصرية مصرية في ثلاثة فصول ، تأليف عباس علام — مقتبسة فكرتها عن غاستون ديفور G. Devore في روايته الموسومة : *La conscience de l'enfant* مثلتها شركة ترقية التمثيل العربي ، لاول مرة ، بتياترو حديقة الازبكية ، سنة ١٩٢١ .

زوبعة البحر : تأليف شكسبير . المترجم : محمد عفت القاضي — مصر مكتبة التأليف ، ١٩٠٩

الزوجة الخائنة : وضعها الياس فياض ومثلتها فرقة اسكندر فرح على مسرح الكازار في بيروت (١٩٠٣) .

الزوجة العذراء : كوميدي عصرية مصرية في اربعة فصول تأليف عباس علام ، فكرتها مقتبسة عن الفرد سڤوار Alf. Savoir وعنوانها : *La 8e Femme de Barbe Bleue* مثلتها فرقة فاطمة رشدي ، لاول مرة سنة ١٩٣٣ .

زياد ولبرتيا: ذات اربعة فصول ، تأليف شبل مهاوج – مطبعة جريدة فتى الجبل ، بيت شباب ، ١٩٣٩ في ٩٦ ص.

زينة : غنائية قامت بتمثيلها فرقة السيدة ملك – مصر .

س

الساحر : درام في ثلاثة فصول ، تأليف عباس علام اقتبسها عن الرواية الفرنسية *La Grande Epouvante* التي اشترك في وضعها الكاتبان André Lorde et H. Bauche ، مثلتها فرقة فكتوريا موسى لاول مرة سنة ١٩٢٧ بتياترو فكتوريا .

الساحرة : *La Sorcière* تأليف فكتوريان ساردو Sardou (١٩٠٣) المترجم : فرح انطون . – نقدها في « السياسة الاسبوعية » عدد ٨٧ .

السارق : *Le Voleur* المؤلف : هنري برنشتين H Pernstein . المترجم : حسن ثابت – مصر .

سارق النار : مجموعة مسرحيات مثل معظمها من اساطير اليونان وضعها خليل هنداوي ، بيروت ، المطبعة الحديثة ، ١٩٤٤ ص١٠٨ – فيها : سارق النار ص ٧ – ٢٨ – فتنة : ٢٩ – ٥٠ – جزيرة بلا رجل : ٥١ – ٥٥ . ميلاء ٥٧ – ٧٦ – المثال التائه : ٧٧ – ٩٢ – اللحن الكئيب : ٩٣ – ١٠٨

سافو : Sapho المؤلف : الفونس دوديه (١٨٨٤) – المترجم : محمود كامل المحامي . مثلت لاول مرة في دار الاوبرا الملكية عام ١٩٣٥ . نقدها في « الرسالة » عدد ١٨٢ و١٨٣ .

السامرية ويسوع : تأليف ادمون روستان . عربها اسكندر الريشي ، زحلة ، مطبعة « الصحافي التائه » .

سانياسي او الزهد : رمزية لشاعر الهند طاغور نقلها فخري شهاب السعيدي في « الرسالة » ٨ : ١٨١٠ و١٨٣٧ .

السبايا : غنائية وضعها اسكندر الشافون محرر مجلة « روضة البلابل » الموسيقية

ومدير المعهد الموسيقي المصري بالقاهرة ، مطبعة رعمسيس بالفجالة ، سنة ١٩٢٣ .

سجين الظلم: ذات خمسة فصول تأليف ميشال ابراهيم المعلوف — زحلة ، مطبعة المهذب ، ١٩٠ ص ١٠٢

سجين القصر : ذات خمسة فصول ، معربة بتصرف عن الفرنسية بقلم جميل الدحري — حريصا (لبنان) ١٩٢٠ ، في ٨١ ص.

سحر العيون : تأليف شاكر شقير.

سر ابي الهول : شعرية في اربعة فصول ، تأليف موريس روستان . المترجم : خليل غنداري — في مجلة « الرواية » تباعاً ، في الاعداد ٤ الى ٩ من سنتها الاولى (١٩٣٧) .

السر : فصل واحد ، تأليف رامون ساندير ، نقلها م.خ. في مجلة« الطليعة » ٣ : ٦٧٣ .

سر الحاكم بامر الله او لغز التاريخ : تاريخية تأليف علي احمد باكثير — القاهرة دار الفكر العربي ، ص ١٥٠.

السر المكتوم في الظالم والمظلوم : تأليف الياس صيداوي — ١٨٨٥ .

سر المنتحرة او بعد الموت : لتوفيق الحكيم في اربعة فصول ، نشرت في مجموعة مسرحياته جزء ١ : ١٠١ — ١٢٣ .

السعادة في الشهادة : تأليف ميخائيل غبريل ، ١٨٩١ — بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ص ٩٦.

سفينة نوح: كوميدي عصرية مصرية في ثلاثة فصول، تأليف عباس علام ، مثلتها فرقة جورج ابيض لاول مرة بدار الاوبرا الملكية ، سنة ١٩٢٩.

السلطان صلاح الدين وملكة اورشليم : لفرح انطون — مصر ، ١٩٢٣ ، ص ٦٣.

سلاح اليوم : لنجيب الريحاني ، حللها وعلق عليها الدكتور طه حسين في « الكاتب المصري » ٢ : ٧٠٤

سليمان الحكيم : لتوفيق الحكيم — مصر ، مطبعة التوكل ، ١٩٤٣ ص .

١٩٦ ، نقدها صلاح ذهني في « الثقافة » ، عدد ٢٣٦ وسيد قطب في الرسالة ١١ : ٣١١ و٣٣٣ و٣٥٠ .

سلوى : اوبرا تراجيدية تأليف الدكتور علي الناصر ، نشرتها مجلة « العصور » عدد ٦ : ٥٨٩ — ٦٠٢ .

السم في الدسم : تأليف شاكر شقير — بيروت ، مكتبة صادر .

سمان البخيل : مضحكة تلحينية ذات فصل واحد ، مثلتها جوقة الشيخ سلامة حجازي ، طبعت مع رواية « شهداء الانتقام » لعبد الوهاب ابو السعود في دمشق ، مطبعة الترقي ، ١٩٣٢ .

السوأل : للاب خليل اده اليسوعي — مُثلت مرارًا في بيروت .

السوأل أو وفاء العرب : ذات اربعة فصول ، تأليف انطون الجميل — مصر مطبعة الاهرام ، ١٩٠٩ ، ص ٩٥ — نقدها في « المشرق » ١٣ : ٦٣٤

السوأل : شعرية وضعها امين ظاهر خيرالله .

سميراميس : للاب يوحنا خليفة — في اربعة فصول — مطبعة المرسلين اللبنانيين ، جونية ، ١٩٤٧ ، ص ٤٨ .

سميراميس : *Sémiramis* غنائية تأليف بول ڤاليري P. Valéry نقلها سليم سعدة — وترجمها ايضاً خليل هنداوي في « المقتطف » ٩٠ : ٤١

سهاد : لمحمود تيمور — القاهرة ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، ١٩٤٢ ص ١١٦ — نقدها في « المقتطف » ١٠٢ : ١٠٥ .

سهام : كوميدي عصرية مصرية في اربعة فصول تأليف عباس علام وضعت معارضة معارضة لجورج فيدور في روايته G.Fedor : *La Dame chez Maxime* ومثلتها شركة التمثيل العربي لاول مرة بتياترو حديقة الازبكية عام ١٩٢٦ .

سهير : بقلم حسين عفيف ، مصر مطبعة حجازي ، ١٩٣٨ ، ص ١٨٧ .

سوزان العفيفة : *La chaste Suzanne* فصل واحد تأليف Antony Mars et Maurice Desvallières لخصها بايجاز وعلق على تمثيلها على مسرح دار الاوبرا الملكية ، رشدي كامل في « الكاتب المصري » ٤ : ٥٤١ .

سوسان : تأليف شاكر شقير – بيروت ، مكتبة صادر .

السيد : *Le Cid* ذات خمسة فصول ، تاليف بيير كورنيل ، ترجمها الشيخ نجيب الحداد بعنوان : غرام وانتقام – بيروت ، مطابع قوزما ص ٣٢ .

وقد عربها ايضا خليل مطران .

السيد حاطوم : ذات اربعة فصول ، تأليف عبد الوهاب ادهم – دمشق مطبعة بابيل اخوان ، ١٩٣٠ ص ٧٩ .

ش

الشاب الجاهل السكير – قصة نصور السكري . تأليف طنوس الجر ، طبعت على نفقة يوسف صفير – بعبدا (لبنان) المطبعة العثمانية ، ١٩٠٠ ، ص ٤٧

شاب مفتون : فصل واحد للدكتور احمد ضيف – نشرت في « الهلال » ٤٤ : ٧١١ .

شارع البهلوان : مأساة من نوع الفودفيل قامت بتمثيلها في الاوبرا الملكية الفرقة القومية – مصر .

شارل السادس : قامت بتمثيلها جوقة جورج ابيض .

الشاعر او سيرانو دي برجراك : تأليف ادمون روستان ، تعريب الدكتور محمد عبد السلام الجندي – مصر ١٩٢١ .

شاول الطرسوسي : تاريخية في اربعة فصول ، الفها القس جردنر – نشرت تباعاً في مجلة « الشرق والغرب » وصدرت عن الجمعية الاسقفية بشارع الفلكي ، في القاهرة ، في ١١١ ص .

شابنا في اوروبة : بقلم عثمان صبري . لها مقدمة طويلة في مزايا التمثيل وحاجة البلاد الى الدرامات التهذيبية – مصر ١٩٢٣ ، ص ١٤٠

الشبح الهائل : تاريخية ذات ثلاثة فصول عربها عن الفرنسية بتصرف الخوري مارون غصن ، في مجلة « رسالة السلام » ٨ : ٢٦٦ و٣٠٦ ٣٥٨ ، وثم على حدة ٤٨ ص نقدها في « المشرق » ٢٤ : ٩٥٧

شبل الارز ابن ملك صور : لبنانية في اربعة فصول — مثلت سرارًا ، وهي مطبوعة .

شرف العواطف : عربها عن الفرنسية شبلي الملاط . طبعت سنة ١٩٠٣ ، وثانية سنة ١٩٢٥ في مطبعة مجلة ميزرفا .

الشرف الياباني : غنائية — مصر .

الشرك : مثلتها فرقة رعمسيس ليوسف وهبي .

شرلوت او ضحية الغواية — اطلب ضحية الغواية

الشريط الاحمر : كوميدي دراماتيك عصرية مصرية في خمسة فصول ، تأليف عباس علام ، مثلتها فرقة الشيخ سلامة حجازي لاول مرة بتياترو برنتانيا ، سنة ١٩١٧ .

شريعة الاشقاء : تأليف غاستون بينافيتي المعرب : جورج صوايا — في ثلاثة فصول — نشرت تباعاً في مجلة « الاصلاح » في الارجنتين .

الشريف : تأليف معروف الارناؤوط — دمشق .

الشعب والقيصر : المؤلف : ڤولتير . المترجم : جورج طنوس — القاهرة ، مطبعة المعارف .

الشعلة : غنائية مثلتها جوقة عبد الرحمن رشدي وميليا ديان — مصر .

شفاء عليظة : لمحمود تيمور — القاهرة ١٩٤٦ .

شقاء التاج : تأليف وليم كاتسفليس — ١٩٢٢ .

شقاء العائلة : في خمسة فصول تأليف الشيخ سلامة حجازي مثلت لاول مرة بدار الاوبرا عام ١٩١٦ .

الشمس المشرقة : لعلها من تأليف عبد الرحمن رشدي وميليا ديان .

شمشون : تأليف الاب اسطفان فرحات ، بيروت ، ١٩٤٨ .

شمشون ودليلة : مثلت على مسرح حديقة الازبكية في القاهرة .

شمعدانات الاسقف : فصل واحد ، تأليف : نورمان ماكنيل ، اقتبسها عن قصة « البؤساء » لفيكتور هوغو . نقلها « الناقص » ونشرتها مجلة « الرواية » (مصر) في العدد ٢٧ : ١٦٥—١٧٦ .

شمم العرب : ذات اربعة فصول وضعها نجيب زمار ، صاحب جريدة « الكرمل » في حيفا .

شهاب الدين بن غسّان : مطبوعة .

شهامة الترنسفال : تأليف السيد عوني (؟) ، طبعت على ذمة الشيخ محمد ابو الذهب الكتبي بطنطا في ٤٤ ص .

شهداء الاخلاص : تأليف علي نور – ١٣٢٢ .

شهداء الانتقام : ذات خمسة فصول تأليف عبد الوهاب ابي السعود – المكتبة العربية في دمشق ، في ٧١ ص ، مطبعة الترقي ، ١٣٣٢ .

شهداء الغرام : راجع روميو وجوليت .

شهداء الوطنية : بقلم احد ادباء مصر .

شهرزاد : لتوفيق الحكيم – دار الكتب المصرية ، ١٩٣٤ في ١٦٢ ص .
نقدها زهير زهير في « المكشوف » ، عدد ٣٥١ – ومحمد فريد ابو حديد في « الثقافة » ٥ : ١٩٧ و ٢٢٠ و ٢٤٦ و ٢٧٠

شهيد الدين وابطال المروّة : ذات ثلاثة فصول بقلم الخوري فرنسيس نجم – بيروت المطبعة العلمية ليوسف صادر ١٩٢١ ص ٥٣ – نقدها في « المشرق » ١٩ : ٤٧١ .

شهيد الراية العربية : وضعها احد الادباء السوريين ، دمشق .

الشهيد العربي : تأليف حنا خليل هندي – لبنان .

الشهيدة او عواطف البنين : في خمسة فصول ، تأليف دانري وتاربي الفرنسيين المترجم : الياس فياض – الاسكندرية ١٩٠٩ .

شوف كيفك : غنائية مصرية .

الشياطين السود : قامت بتمثيلها فرقة رمسيس ليوسف وهبي .

شيخ الحارة : تأليف محمد كامل علي من نوع الاوبرا كوميك ، ذات خمسة فصول – مصر ١٩٢٨ في ٩٥ ص . استعمل المؤلف احياناً العامية .

الشيخ المتصابي : مصرية .

الشيخ متلوف *Le Tartuffe* : المؤلف : موليير Molière . المترجم : عثمان جلال ، نقلها بالزجل ومثلها جورج ابيض في تياترو عباس — مصر .

الشيخ وبنات الكهرباء : غنائية — مصر .

شيرويه : تأليف خليل طنوس باخوس ، مطبعة الحقوق ، جسر نهر بيروت ، ١٩١٠ .

شيطان الريح : لعبدالله غانم - لبنان — بيروت ١٩٣٠ ، ٦١ ص

شيلوك الجديد : وضعها علي احمد باكثير ونشرتها دار الفكر العربي - القاهرة ١٩٤٥ في ٨٤ ص ، مع مسرحيته الثانية « الحلّ »

ص

صباح الخير : مضحكة تأليف امين عطاالله (كشكش بك) ، ١٥ ص .

صباحية عمر : تأليف محمد حاج حسين ، نشرها في كتابه « عبقرية الادب العربي » — اللاذقية ، ١٩٤٣ .

الصحراء : ليوسف وهبي مثلتها فرقة رمسيس .

صدق الوداد : للشيخ نجيب الحداد - الاسكندرية ، مطبعة غرزوزي — نقدها في الرسالة ١٠ : ٨٦٩ .

صدى الاجيال : فصل واحد تأليف فؤاد البهي السيد نشرتها « الرسالة » ١٠ : ٥٠٢ .

الصعلوك : كوميديا ذات فصل واحد وضعها محمود تيمور ، نشرتها مجلة « المكشوف » عدد ٣٣٥ و٣٣٦ ، ثم نشرتها على حدة مع روايتي « ابو شوشة والموكب » مجلة « الحوادث » في ١٢٦ ص في مطبعة عطايا بمصر — نقدها في المقتطف ٩٩ : ٤١٧ — في « الرسالة » ٩ : ١٤٥٧ و١٤٨٦ .

الصلاح الدليل في الصبر الجميل : مصر

صلاح الدين الايوبي : ذات خمسة فصول وضعها نجيب الحداد ، مُثلت وطُبعت

مرارًا – بيروت ، مكتبة صادر ١٩٠٤ ، وطُبعت ثانية عام ١٩٢٩ في ٦٤ ص ، وثالثة بعناية احمد عبيد في دمشق في ٤٨ ص.

صلاح الدين او فتح بيت المقدس : وضعها فرح انطون ، ومثلتها جوقة جورج ابيض .

صوت القلب : ذات اربعة فصول ، المؤلف : الكاتبة فلورنس مارْكلاي – المترجم : نقولا امين فرح عن الفرنسية – مطبعة الجمعية الخيرية الاسلامية ، ١٩٢٩ ص ٧٧

الصيادون الاثنا عشر : تأليف محمد بديع – مصر

ض

الضحايا : تأليف حسين رمزي . مثلتها جوقة جورج ابيض

ضحايا القمار : ذات خمسة فصول – دمشق ، مطبعة الطرائف .

ضحايا المجتمع : ذات خمسة فصول ، وضعها البير صحناوي ، طُبعت في المطبعة البولسية ، حريصا ، ١٩٣٨ ، في ١١٩ ص

الضحية وروايات اخرى : تأليف رابندرانات طاغور . ترجمة اسماعيل مظهر في « العصور » مارس ١٩٢٨ ص ٦٨١ – ٧١٤

ضحية الغواية أو شارلوت : ذات خمسة فصول مثلها جوق سلامة حجازي ، تقع في ٥٢ ص .

ضحية الواجب : ذات ٦ فصول بقلم توفيق سعيد الرافعي ، طُبعت في مصر ، ١٩١٣ ، ٥٩ ص .

ضربة مقرعة : مثلت بمصر مرارًا .

ضرر الضرتين : تأليف نخلة قلفاط – بيروت .

ضلال ثم هدى او بين عاملين : ذات فصلين وضعتها فلك طرزي في مجلة « الحديث » ١٠ : ٥٥٢ و ٦٧٣

ضياء : في اربعة فصول تأليف محمد عفيفي علي شاهين – مصر ، ١٩٢٩ ، ص ٥٥

ط

طارق بن زياد : ذات ستة فصول . تأليف الكاتب التركي عبد الحق حامد –

عربها فريد عماد – طُبعت في مطبعة السلام ، بيروت ، في١٨٣ص

طارق بن زياد : وضعها حنا اندراوس ومثلتها جوقة آل عكاشة – مصر .

الطاغية : في خمسة فصول ، تأليف فريدريك شلر ، ترجمها الاستاذ فائق رياض في ١٩٨ ص .

طاغية القرية : ذات فصلين وضعها يوسف عصوب في مجلة « المشرق » ٣١ (١٩٣٣) .

الطبيب رغماً عنه : المؤلف : موليير ، المترجم : نجيب الحداد ، ١٩٠٤ – ترجمها ايضاً الياس ابو شبكة – بيروت ١٩٣٢ ، في ٤٩ ص .

طبيب المعجزات : تأليف فهيم حبشي (مصر) ، مثلها الفرقة القومية .

طريدة الاسرة : المؤلف حسين رمزي – مثلتها جوقة عبد الرحمن رشدي وميليا ديان .

الطرة والأاليـاظ : مسرحية فرنسية ، تاليف لويس فرناي ، المترجم : الصاوي محمد – نشرت في كتابه « رجال ونساء » ٢ : ١٦

طلسم الحياة : تأليف عبد الرحمن ابو قوس – حلب ١٩٤١

الطواف حول الارض : قودفيل – مصر .

طوبيا البار : لا تزال خطية ، مثلت في اكليريكية دير الشرفة حيث توجد اصولها .

طوفان : اوبرا ذات فصل واحد لمصر ابو ريشة ، في مجلة « الحديث » ص٢٦٩ .

طيف الشباب : مثلتها الفرقة القومية – مصر .

ظ

الظلوم : ذات خمسة فصول تأليف سليم خليل نقاش ، ١٨٩٢

ع

عائدة : غنائية لحنها محمود رحمي – مصر .

عابر سبيل *Le Passant* : تمثيلية فرنسية الاصل ذات فصل واحد ، وضعها فرنسوا كوپه . ترجمها حنا الحداد في « المورد الصافي » ، ٧ : ١٨٠ – ١٩٢

العاشق المستور : تأليف شاكر شقير – بيروت ، مكتبة صادر .

العاصفة : لشكسبير . ترجمها الدكتور احمد زكي ابو شادي « المقتطف » في ١٥٨ ص . نقدها في « المقتطف » ٧٧ : ١٠٩ – لها ترجمة اخرى لناشد سيفين – مصر ، المطبعة الرحمانية ، ١٩٢٩ في ١٥٨ ص .

– ترجمها ايضاً يوسف اسكندر جرجس ، وجعل كل صفحة منها في عمودين يحتوي احدهما على الاصل الانكليزي والآخر على النص العربي – مصر ١٩٢٩

– وترجمها ايضاً محمد عبد العزيز امين ، مصر ١٩٢٩

عاصفة في بيت : تأليف انطون يزبك – مُثلت مراراً في مصر .

عاصفة في القرية : وضعها عبدالله حشيمة .

عاقبة الغرام *Phèdre* : تأليف جان راسين J. Racine . المترجم : حنا زيا – طُبعت سنة ١٨٩٧

عاقبة الغرور او الحاكم بامر الله : وضعها ابراهيم رمزي – مُثلت مراراً في مصر .

العالم والجاهل او صباح الخير : مصر .

العامي النبيل *Le Bourgeois Gentilhomme* : احدى روايات موليير نقلها فؤاد نور الدين في ٢٥٠ص ، ١٩٣٤

العباسة : وضعها عزيز اباظة باشا سنة ١٩٤٧ ، نقدها سيد قطب في « الكاتب المصري » ١ : ٥٧٨ – ٥٩٤ – وزكي طليمات في « الكتاب » : ١ : ٢٢٣ – ٢٣٠

عبد الحميد والدستور : تأليف امين خوري – لبنان .

عبد الرحمن الداخل : في ثلاثة فصول وضعها عدنان مردم بك نظماً ، نشرت في « العرفان » ٥ : ٤٦١ ، و٥٩٦ ، و٦٩٩

عبد الرحمن الناصر : ذات خمسة فصول وضعها عباس علام ومُثلت لاول مرة

في حفلات افتتاح تياترو حديقة الازبكية في يناير ١٩٢١ – القاهرة مطبعة الاعتماد ٢٢٥

عبد الستار افندي : لمحمد تيمور ، نشرت في كتابه « حياتنا التمثيلية ».

عبد الشيطان : وضعها محمد فريد ابو حديد – مصر ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٤٥ ، ص ١١٨

عبرة الابكار : غنائية . مصر .

عتليا *Athalie* : تأليف جان راسين ، المترجم : نجيب جهشان ، سنة ١٨٨٦ المرة الاولى : مصر .

عثمان في الهند : هزلية تأليف محمد شكري ، مثلها علي الكسار على مسرح « ديانا » في الاسكندرية .

العجوزان : المؤلف : پيير وولف . المترجم : ايزاك نحوس . فصل واحد – نشرت في « الحديث » مجلد ٦

العدالة : المؤلف : جون جالسورثي . المترجم : يوسف اسكندر جرجس مصر ، مكتبة الهلال .

عدل الملوك : وضعها نجيب عزيز – نقدها في المقتطف ٢٠ : ١٣٤

عدو البشر : في خمسة فصول – مصر .

عذاب : اوبرا ذات فصل واحد بقلم عمر ابي ريشة ، نشرتها « الحديث » ١٠ .

عذراء اورليان *La Vierge d'Orléans* : تأليف شيلر – تُرجمت ومُثلت في مصر ١٩٢٨ .

العذراء المفتونة : غنائية قامت بتمثيلها فرقة الشيخ سلامة حجازي مع ميليا ديان .

عذراء يفتاح : تأليف المنسنيور يوسف الحايك في ٣ فصول ، ١٩٣٦

العرائس *Les Marionnettes* : تأليف : پيير وولف P. Wolf المترجم . اسماعيل بك وهبي – مثلها جورج ابيض في جوقته – راجع فيها « حياتنا التمثيلية » لمحمد تيمور ، جزء ٢ : ٢٩٤

العرب : مثلها جوقة عبدالله النديم – مصر .

عربة التفاح: تأليف: برنرد شو Bern. Shaw ، المترجم: محمد عوض ابراهيم — القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٤٦ ص ١٧٦ — نقدها في « الكتاب » ٣ : ٣٠٧

العرش : ترجمها عن الفرنسية حبيب جاماتي ، ومثلتها على مسرح رعمسيس فرقة يوسف وهبي — نقدها محمد علي ثروت في « السياسة الاسبوعية » ، عدد ١٥٣ : ٢٣

عروس النيل : في ثلاثة فصول بين المأساة والملهاة ، وضعها بالعامية محمود تيمور ، ونشرتها ادارة مجلة « الحوادث » في مطبعة عطايا سنة ١٩٤١ في ٧٦ ص — نقدها في « المقتطف » ١٠٠ : ٣٠٢ وفي « المكشوف » عدد ٣٤١

عشاء الخطبة : فصل واحد — مصر .

عشاق العرب: تأليف محمد عجلان . ونشرتها لجنة النشر للجامعيين في ١٤٤ ص ، وقد حوت المجموعة الاولى المسرحيات التالية :

حبابة : ٨ — ٢٨ ، جميل : ٢٨ — ٤٣ ، زينب : ٤٤ — ٥٨ ، قيس لبنى : ٥٩ — ٧٥ ، غادة الهودج : ٧٨ — ١٤٤ .

العشرة الطيبة : مسرحية وضعها بيرم التونسي وبديع خيري وقامت بتمثيلها الفرقة القومية في دار الايرا الملكية — الموسيقى لسيد درويش .

عشرون يوماً في السجن : مسرحية غنائية — مصر .

عطايا عيد الميلاد : مسرحية دينية في ثلاثة مشاهد نشرها اتحاد المدارس الاحدية ، عام ١٩٣٤ في ٨ صفحات .

عطيل (اوتلو) : اولى مسرحيات شكسبير المنقولة الى العربية بعنوان اوتلو او القائد المغربي ، مثلها اولاً سليمان القرداحي ، ومن بعده احمد فهمي ثم محمد بهجت .

— ثم ترجمها خليل مطران باسم عطيل ، لفرقة ابيض ، قدم لها بمقدمة درس فيها الشاعر الانكليزي وروايته وقد نشرتها مجلة « الزهور » ٣ : ١٥٢

– نقدهـا رشدي كامل في مجلة « الكاتب المصري » بعنوان « ركود المسرح العربي » مجلد ١ : ١١٥ – ابن عساكر : عطيل بين الاخراج والتمثيل في « الرسالة » عدد ٣٠٤ : ٨٩٢

العظة : تأليف جورج شرقي ، في خمسة فصول – مصر مطبعة طنطا ، ١٩٣٢

عظة الملوك : غنائية – مصر .

عفريت مراتي : ملهاة في ثلاثة فصول تأليف الكاتب الانكليزي نوبل كوارد .

– ترجمها باقتباس سليمان نجيب الـذي عمل كثيرًا مع نجيب الريحاني على احياء فن الكوميديا في مصر .

– حللها وعلق عليها نقدًا رشدي كامل في « الكاتب المصري » ٤ (١٩٣٦) : ٥٤٢

العفو عند المقدرة : ذات اربعة فصول تأليف الخوري نقولا ابي هنا – مطبعة دير المخلص ، صيدا ، ١٩٢٨ ص ١٢٠

نقدها في « المشرق » ٢٦ : ٥٥٤ – في « الكلية » ١٥ : ٢٣٨ – في « المسرة » ١٤ : ٣١٦

عفيرة : مسرحية مصرية .

العلاج الشافي : هزلية ذات فصل واحد وضعها خليل مطران ، ونشرتها « فتاة الشرق » ٣٠ : ٣٦٩ – ٣٧٦

على ضفاف الامازون : ذات خمسة فصول . المؤلف : ڤولتير ، المترجم : فريد يوسف بريدي – بيروت ، مطبعة الاجتهاد ، ١٩٢٥ ص ٦٢

على مذبح الخيانة : فريد خويص – مُثلت على مسرح التياترو الكبير – بيروت ١٩١٨

علي بك الكبير او دولة المماليك : لاحمد شوقي ، في ثلاثة فصول ١٣٢ ص ، مطبعة مصر ، ١٩٣٢

– نقدها ادوار حنين في « المشرق » ٣٣ : ٧٢

العمال : ذات فصل واحد تأليف الشاعر الفرنسي اوجين مانوئيل . وترجمة نقولا امين فرح – بغداد ، ١٩٣١ .

عمر بن الخطاب في الجاهلية والاسلام : تأليف محمد علي الحلبي – بيروت

١٩٣٥ في ٦٤ ص.

عمر بن عدي او حفظ العهود : مسرحية للحداد .

عمر مختار : فصل واحد ؛ تأليف : علي احمد باكثير نشرتها مع مسرحيته الاخرى « ابراهيم باشا » دار الفكر العربي — القاهرة ، ص ٩٥—١١٤

عمر والعجوز : الحلقة الاولى من « سلسلة مسرحيات اسلامية » التي يضعها محمد يوسف المحجوب — القاهرة ، مكتبة مصر ومطبعتها ، ص ٢٤

عمرو بن العاص : غنائية مثلتها فرقة السيدة ملك .

عنتر : وضعها بالفرنسية شكري غانم . المترجم : الياس ابو شبكة — بيروت ، مطبعة قوزما ١٩٢٦ ص ٦٦

— نقدها في « المشرق » ٢٤ : ٩٤٥

— ترجمها ايضاً محمد كامل حجاج ، ومُثلت بمسرح الاوبرا الملكية بمصر .

عنترة : ذات اربعة فصول وضعها حبيب جاماتي مثلتها فرقة رمسيس — نقدها في « السياسة الاسبوعية » عدد ١٤٨

عنترة : لاحمد شوقي في اربعة فصول ، ١٣٩ ص اخرجتها مطابع دار الكتب المصرية ، سنة ١٩٣٢ راجع فيها تلخيصاً لادوار حنين في « المشرق » ٣٣ : ٧٢

عندك حاجة تبلغ عنها : باللغة العامية — مصر .

العواصف : وضعها انطون يزبك مُثلت على مسرح برنتانيا في القاهرة ، نقدها محمد توفيق يونس في « السياسة الاسبوعية » ، عدد ١٤٢

عواطف الاخت : نقلها عن الانكليزية انيس الخوري المقدسي في « المورد الصافي »

عواطف البنين : تأليف محمد الهراوي مثلها عبد الرحمن رشدي وميليا ديان مصر ١٩٢٩ . — لخصتها مجلة الكلمة (حلب) : ٤٩٥

عواطف الزوجة : ذات ثلاثة فصول تأليف حسين محرم ، باللغة العامية المصرية .

العواطف الشريفة : مسرحية مصرية .

عواقب الشرة الرديئة : ذات ثلاثة فصول عربها عن الفرنسية ببعض تصرف الخوري يواكيم قرداحي ب م . في ٧٨ ص.

عوالي : في جزئين تأليف محمود تيمور — مصر ١٩٤٢ ، المكتبة التجارية ، نقدها حسن كامل الصيرفي في « المقتطف » ١٠١ : ٤٤١.

عودة الفردوس او استقلال اندونيسيا : اربعة فصول تأليف علي احمد باكثير — القاهرة ، مكتبة الخانجي ١٩٤٦ ، ص ١٥٦

غ

غادة البحر : للكاتب الزوجي ابسن نقلها خليل هنداوي ونشر منهـا مشهداً واحداً في « الرواية » عدد ١٩ : ١١٧٤

غادة التزعة او جمال باشا والتزعة : وضعها القس جبرائيل نادر الراهب اللبناني وطُبعت في مطبعة سيدة المعونات — جبيل ١٩٢٨ ، في ٦٤ ص .

غادة الكاميليا *La Dame aux Camélias* : في خمسة فصول ، تأليف الكسندر دوماس الابن . ترجمها الشيخ عبد القادر المغربي ، في مصر ، ١٩٠٥ ، ومثلتها جوقة سلامة حجازي مراراً .

— وترجمها ايضاً نقولا بسترس في مجلة « ميزرثا » ٧ (١٩٢٧) ، مطابع قوزما ، بيروت ، في ١٢٨ص . — مثلها جوق يوسف وهبي وروز اليوسف وتولى اخراجها عزيز عيد — نقدها في مجلة « لغة العرب » ٥ : ٢٤١ — في « الرسالة » عدد ٣٢٤ و٣٢٥ — وفي « حصاد الهشيم » لابراهيم عبد القادر المازني ص ١١٨

— ترجمها ايضاً الدكتور احمد زكي ابو شادي .

— نقدها يوسف البعيني في « الاندلس الجديدة » ١٩٣٥ ص ٩٣

غادة العرب : مصر .

غادة الهودج : في اربعة فصول وضعها كامل محمد عجلان — مكتبة مصر ومطبعتها ، في ٦٨ ص .

غافر ولبانة : مغناة ذات مشهدين نظمها ابو الفضل الوليد سنة ١٩٢٩ ، مطبعة « الحسام » — بيروت ، ١٩٣٢ في ١٩ ص .
نقدها في « المشرق » ٣٠ : ٤٧٩

غانية الاندلس : غنائية — مصر .

غنس فن برليشتفن ذو اليد الحديدية : ذات خمسة فصول للشاعر الالماني غوتيه — نقلها شديد باز الحداد — لبنان ١٩٢٣

الغدر الدميم : ذات ثلاثة فصول بقلم الارشمندريت برتلماوس ابراهيم صليبا ق ب . مطبعة زحلة الفتاة ، ١٩١١ في ٧٧ ص .
نقدها في « المشرق » ١٤ : ٣٩٧ — اعيد طبعها عام ١٩٣٠

غرام واحتيال : تأليف طانيوس عبده ؟

غرام وانتقام : هزلية ذات خمسة فصول تأليف محمد المغربي ، في ٣٢ ص .

غرام عزمي : مصر .

غرام المحبين : غنائية — مصر .

غريب هذا : لفريد مدور — بيروت ، مطبعة « الدائرة الاستعدادية في الجامعة الاميركية » ، ص ٨٤

غلبون : مصر .

غفران الامير : ذات اربعة فصول بقلم القس يوحنا الرحماني الموصلي ، نشرت في « المشرق » ٢١ ثم على حدة في المطبعة الكاثوليكية — بيروت ، ١٩٢٧ ، ٤٠ ص .

الغلام الآبق : احدى روايات الاخ ساروفيم فكتور (رشيد يوسف عطاالله) الاربع ، نشرت في كتاب « الذكرى الخالدة » — بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٢٧

الغني المقتصد : تأليف انيس جابر — لبنان .

(يتبع)

وثائق تاريخية عن حلب

تواريخ الاخوية المجلد الثاني بدؤه ١٦ تشرين الثاني ١٨٣٢

المرشد البادري نيقولاوس اللازري

جمع السلاح من الاهالي

١٨٣٤

(تابع)

٩ ايلول : ما صار اجتماع الاخوية لسبب العارض الذي حدث نهار امس الواقع في ٨ منه يوم السبت بطلب السلاح والتفتك من البلدة من سعادة ولي النعم بامر قاطع وصار تبديل كلي للمسيحيين بالضرب والشتم واهانة كلية وما ظهر احد في الطريق بل كان الجميع مختفين ومختبئين وبقي الحال كذلك السبت والاحد . والاثنين صباحاً توجّه كل من البطريرك جرجس[1] ومطارنة الطائفة والرؤساء وبعض انفار من وجوه المسيحيين الى سعادة البك الذي كان حاكم البلدة وبقوا من الصباح الى العصر حتى انقطعت[2] جزية على النصارى بالف وخمسماية تفنكة ويوم الثلاثاء صباحاً في ١١ ايلول اجتمعوا في القلاية عند بطريرك السريان وابتدأوا بلم التفتك الى يوم الاحد الواقع في ١٦ منه بعد الظهر اتى طلب من حضرة سعادة البك عن يد حطب زاده انه يريد من كل نصراني تفنكة فحينئذٍ تشاوروا مع بعضهم بعض مع وجوه المسيحيين وراحوا عند الخواجا موليناري[3] وترجوه ان يطلع عند سعادته لاجل قض هذه المسئلة وفتحت الناس اشغالها فنشكر فضل شفيعتنا مريم العذراء والدة الاله التي نجتنا من مهالك هذه الشدة .

---

١) جرجس شلحت بطريرك السريان

٢) قطع « الجزية » بمعنى الضريبة

٣) موليناري اسرة ايطالية مستوطنة حلب منذ القدم كان لها كما كان للكثيرين من الافرنج في ذلك العهد نفوذ في حل المشاكل الواقعة بين الحكومة والاهلين

نبذة في عمار كنيستنا[1]

انه لما حضر المطران ابراهيم كوبلي من دير بزمار لحلب سنة ١٨٣١ فاشترى دار الخواجا بولس بطرس قراعلي الكائنة بالصليبة في محلة التومايات[2] في حارة فرنجية لاجل عمار كنيسة لطائفتنا غب العجز عن استرجاع كنيستينا القديمتين وهما كنيسة السيدة وكنيسة الاربعين شهيداً من يد الهراطقة المستولين عليهما ظلماً وعدواناً المشروح عنهما مفصلاً بهذا التاريخ سابقاً ، ببلغ ثمانين الف غرش وحينئذٍ لم يملك السيد المذكور سوى ثلاثة غروش فاذ انه كان رجلاً تقياً غيوراً متكلاً على الله في سائر اعماله قد ساعده المولى بجمع قيمة الدار : قسماً من تلث ارث احد ابناء طائفتنا المدعو جرجي صقال الذي لقب بالوريث لهذه الحادثة قد وعدنا باعطائه لهذا العمل الخيري اذ كان تحصيله عسراً ؛ وقسماً بواسطة صواني كانت توضع عند باب قاعة الدير المذكورة التي كانت وقتئذٍ محلاً للصلاة والباقي جمعه الكهنة من بيوت المحسنين وبعده لم يتوفق مباشرة العمل حيث تنيح المطران ابراهيم كوبلي في ١٥ تموز ١٨٣٢ بداء الهواء الاصفر وبقي الكرسي فارغاً ست سنوات لحينما سيم اسقفاً السيد باسيليوس عيواظ[3] في ٤ شباط ١٨٣٨ وجاء الى حلب كرسيه في ٢١ اذار في السنة عينها وباشر بعمار الكنيسة وعند رقش الحجر الموضوع فوق باب الكنيسة الداخل قد حرروا اوسنياً وعربياً هذه الكتابة وهي « ما احب مساكنك يا رب القوات تشتاق وتميل نفسي الى ديار الرب — قد تجددت هذه الكنيسة حسب ترتيبها القديم على اسم السيدة ام المعونات لطائفة الارمن الكاثوليكيين بحلب سنة ١٨٤٠ » اذ وقتئذٍ لم يكن يعطى فرامين سلطانية بتشييد كنائس جديدة بل رخصة فقط بترميم القديمة وعمار الهياكل كان على الصورة

١) هي الكنيسة الكاتدرائية للارمن الكاثوليك حالاً

٢) التومايات هي المارق الضيقة المتوازية الواقعة شمالي الكاتدرائية المارونية وهي في لغة الحلبيين جمع للفظة توأم وهو المولود مع غيره في بطن واحد دليل على ان تلك المارق متقاربة متشاجة وتسمى حارة الرجال وحارة الحصرم وحارة فرنجية

٣) باسيليوس عيواظ اسقف حلب من ١٨٣٨ الى ١٨٣٩ وكان قد تعلم في مدرسة بزمار

الاتية : الهيكل الملوكي جمع نفقته القس يعقوب صباغ وهيكل قلب يسوع جمع نفقته القس جبرائيل شحاوات واما الهيكلان اللذان على جانبي الهيكل الملوكي بعد ان كانا مصنوعين من الذف صار تشييدهما من الحجر مؤخرًا اي سنة ١٨٥٩ هيكل القديس غريغوريوس بنفقة السيدة كاترينا ابنة نعمان فرا بطران ماردين وهيكل القديس يوسف بنفقة الخواجا يوسف سوكياس.

١٥ كانون الاول : توفي فتح‌الله برصلي متقدم الاخوية وجرى احتفال عظيم لجنازته ومشى امامه الاخوة واصروا على طلب صليب يرتفع امام الجنازة[1] وهو اول من صار له ذلك.

١٨٣٥

٢٧ كانون الثاني : انتخب متقدماً الياس محلجي

٣ تشرين الثاني : ما اجتمع الاخوة لداعي القبض على النفس من طرف الحكومة حيث اول مساء كبسوا البيوت وحسكوا الناس من الازقة والشوارع والانفار الذين القي القبض عليهم ارسل منهم مائة نفر الى القشلة الهمايونية لاجراء العمل او لشغل هناك فالناس اختفت من هذه التعديات الغير المحتملة

١٥ كانون الاول : شرف السيد القاصد الرسولي[2] بلدتنا.

٢٠ كانون الاول : احتفل القاصد الرسولي بالطقس في الكابوجية[3].

١٨٣٦

٢٠ كانون الثاني : احتفل القاصد الرسولي بالطقس في كنيستنا الارمنية.

---

١) سوف تقرأ في ذكر حوادث ١٨٥٠ نظرات الاب ناجان اللازري في جرأة المسيحيين على التظاهر في امور دينهم لما أدى بهم الى ما لم تحمد عقباه

٢) هو يوحنا المعمدان اوثرني (Auvergne) وكان افرنسياً لقب برئيس اساقفة ايقونية تولى الاسقفية من ١٨٣٣ الى ١٨٣٦ اقيم زائرًا رسولياً على الكلدان ومات بالطاعون في ديار بكر ١٨٣٦ (راجع مقال شارون في القاموس التاريخي الجغرافي الكنائسي ٢ : عمود ١١٠ و ١١١)

٣) دير الكبوجية كان في لبنان شرقي الحارة واثار كنيستهم لم ترل الى يومنا محفوظة في حماية آل بوغه في حلب

٢٣ شباط : تلي منشور في الكنائس مضمونه بدء الرسالة والرياضة للاكليروس في دير اللعازرية بحلب[1].

٣ اذار : في هذا النهار ابتدأت الرسالة مساء هذا النهار الساعة ٩ وتعينت بداية هذه الرسالة في كنيسة السريان والروم الكاثوليك بحلب في كل يوم صباحاً الوعظ ومساء زياح القربان الاقدس ونهاري الجمعة والاحد في اربع الكنائس الشرقية وتستقيم هذه الرياضة الى ٢٩ اذار.

٣٠ نيسان : ما صار اجتماع لان الناس خرجوا لابادة الجراد بأمر الحكومة.

٢١ كانون الاول : انتقل الى رحمة الله الاب زكور خضاي واتوا به من بيته الى ابواب الكنائس بشموع واحتفال ومن عند بوابة ابن ياسمين بدات الكهنة جميعهم ومسكوا الشموع واتوا به الى الكنيسة بزياح احتفالي وبقي مصعودًا في الكنيسة الى ثاني يوم وصباحاً قدس الاب الرئيس قداساً احتفالياً وبعده جنزه جميع الكهنة وكمل بدفنه العصر في الكنيسة يوم الاثنين ٢٢ك١.

١٨٣٨

٢١ اذار : حضر الينا السيد باسيليوس عيواظ منتخباً من الطائفة ومن غبطته.

٣٠ تموز : رسم سيدنا المطران باسيليوس اربعة كهنة جايين من العجم وسافر الاب المرشد البادري برقس الى اللاذقية.

١٨٣٩

١٤ حزيران : ارسل بوسطة[2] افندينا محررة في ١٢ حزيران انه صارت

---

١) جاء في المشرق ١٣ ، ص ١٩ عن السيد اوفرني انه لما وصل الى لبنان حتى استدعى المرسلين اللاتين الى دير عين طورا وباشروا جميعاً الرياضة الروحية . فلا يبعد عن المعقول ان يكون الفضل في الرياضة بحلب الى القاصد الرسولي اوفرني المقيم فيها متبعه في لبنان. ومن اعماله المشكورة ايعازه الى الاباء اللعازريين بفتح مدرستهم الشهيرة في عين طورا

٢) ارسل بوسطة او تحريرًا وفيه خبر هزيمة الاتراك واهل الوقعة التي يشير اليها كانت غير وقعة نيزيب الشهيرة التي كانت في ٢١ نيسان وكان الفوز فيها لابراهيم باشا ابن محمد علي حيث سقط في القتال اربعة آلاف من الاتراك وأسر منهم اثنا عشر الف (راجع لامنس : سورية ٢ ، ص ١٦٢)

موقعة العسكر المصري المنصور مع عسكر السلطان واقتدر عليه واخذوا موجوداتهم وصار زينة ليلة واحدة بفتح الاسواق وتزيينها وضرب المدافع ثلاثة ايام.

١٠ ايلول : افتقدنا المرشد الجديد البادري بولس اللازري الذي ارسله البادري نيقولاوس بدلاً عنه.

١٨٤٠

٣٠ اذار : انتخب متقدماً مخائيل استنبلي.

٢٦ حزيران : رزق السلطان ولداً فامر الحاكم بتزيين البلدة سبعة ايام فزينت الى ٣ تموز.

١٨٤٢

٢٠ ايلول : في هذا النهار حضر سيادة المطران باسيليوس راعينا من جبل لبنان بعد ان كان غائباً عنا سنةً والنصف بسبب انتخاب البطريرك ماري يعقوب[1].

١٨٤٣

٢٢ آب : مساء امس توفي السيد غريغوريوس[2] مطران الروم الكاثوليك بحلب ودفن في الكنيسة تحت الهيكل الملوكي وهو اول من دفن في الكنيسة.

١٨٤٤

٢٣ كانون الثاني : انتخب متقدماً الاخ لويس خوكاز.

١٨٤٨

٦ حزيران : افتقدنا الاب المرشد البادري فرنسيس اللازري.

١٨٤٩

١٦ كانون الثاني : السيد ديمتريوس انطاكي مطران الروم الكاثوليك بحلب ابرز منشوراً اعلن فيه واجب ابناء طائفته ان يحضروا الاخوية في كنيسته وهي اخوية القربان.

---

١) هو يعقوب الخامس هولاس الانقوري ١٨٤١ – ١٨٦٣ (راجع القاموس التاريخي الجغرافي ٦ ، عمود ٢٢٩)

٢) غريغوريوس شاهيات سيم اسقفاً على حلب في ١٨٣٢ على قبره لوحة عربي يقرأ عليها اسمه في الكاتدرائية

٦ آب : نهار السبت شرف غبطة السيد بكسيوس مظلوم[1] بطريرك الروم الكاثوليك بحلب وصار له احتفال عظيم في دخوله الى المدينة فالكنيسة.

[2]١٨٥٠

اعلم ايها الاخ الحبيب انه من ٢٩ ك ٢ الى ١ ت١ ١٨٥٠ لم يتعرر كل شيء بوقته وصارت الاجتماعات ولم يحدث ما يستوجب التحرير الا انه في ٤

فوضة البلد ١٨٥٠

١) دخل دخول الباشاوات في المدينة فاوغر ، الصدور (عن الاب ماحان)

٢) كثر ما كتب عنها نختصر اخبارها بما يلي مع الاشارة الى المراجع :

جرت عشية اليوم الثاني من عيد الاضحى ١٢٦٦هـ وامتدت الى نحو ١٥ محرم ١٢٦٧هـ اسباها البعيدة المنافسة بين الانكشارية والحكام في الزعامة والقبض على زمام الامر لجمع المال من الناس اسلاماً ومسيحيين ويهوداً والنفسة على اهل النعمة الحريات التي تمتعوا بها على ايام المصريين في حكم ابراهيم باشا . من ابطال تلك الحركة كان عبدالله البابنسي ويوسف باشا الشريف وكانا قد التزما باموال الفاطمات الدولة المصرية ومن بعدها للدولة العثمانية وكان المال مكسوراً عليهما فتآمرا مع ذويهما على احداث فتنة في البلد يؤول امرها الى تخفيض ضرائب الحكومة ورفع ما كان يترتب عليهم دفعه للخزينة

الاسباب القريبة كانت اذاعة الحكومة امرها بأخذ العسكر بالقرعة واضافة ضرائب على ضرائب بما سموه الترابية او الفردة.

وكان اهل حي باب النيرب اكثرهم من العرب المتحضرين حديثاً في البلد وهم يتمون بالغربي والصداقة الى عرب البادية فلموا شعثهم وهاجموا خفر باب الحديد فتركه الدرك بين يديهم ولجأ الى القشلة . وتجمهر اصحاب الفتنة وساقها في جامع التوبة وكل من انضم اليهم طمعاً بالنهب والسلب وخرجوا من حي باب النيرب يهاجمون محلات الفرافرة وانضم اليهم صعاليك القوم من حي قارلق وحي بانقوسا وتحصن درغم اهل الفرافرة وحاول الكثيرون من عقال المسلمين ومشايخهم واعيانهم ان يفهموهم بالعدول عن تنفيذ قراراتهم الشريرة التي تضر بسمعة المسلمين ويأباها العقل والصواب وكاد بعض المسلمين يذهب ضحية موقفه في وجه الثوار . ولكن كانت قد استعرت نار الشر ولم يكن في وسع الحكومة اخمادها وعدد العساكر النظامية لم يتجاوز المئتين في القلعة فلم يكن كافياً لضبط الامور . هذه خلاصة ما رواه عن الحادثة الشيخ كامل الغزي في نهر الذهب ٣ ، ص ٢٦٦ وما بعدها ومثله تقريباً روى الحادثة الشيخ راغب الطباخ صاحب كتاب اعلام النبلاء ٣ ، ص ٤٣٨

وقال ان النهب تعدى الى بيوت المسلمين ودكاكينهم . ثم لخص اسباب الفتنة في هذه

المنصور مع عسكر السلطان واقتدر عليه واخذوا موجوداتهم
ة بفتح الاسواق وتزيينها وضرب المدافع ثلاثة ايام.
قدنا المرشد الجديد البادري بولس اللازاري الذي ارسله
دلاً عنه.

١٨٤٠

ب متقدماً مخائيل استانبلي.
زق السلطان ولداً فامر الحاكم بتزيين البلدة سبعة ايام

١٨٤٢

، هذا النهار حضر سيادة المطران باسيليوس راعينا من
كان غائباً عنا سنة والنصف بسبب انتخاب البطريرك

١٨٤٣

ا. مس توفي السيد غريغوريوس[٢] مطران الروم الكاثوليك
نيسة تحت الهيكل الملوكي وهو اول من دفن في الكنيسة.

١٨٤٤

ي : انتخب متقدماً الاخ لويس خوكاز.

١٨٤٨

افتقدنا الاب المرشد البادري فرنسيس اللازاري.

١٨٤٩

ي : السيد ديمتريوس انطاكي مطران الروم الكاثوليك
اعلن فيه واجب ابناء طائفته ان يحضروا الاخوية في كنيسة
ن.

المقدس هولاس الانفوري ١٨٤١ – ١٨٦٣ (راجع القاموس الناط
٣٢).
ه شاهيات سيم اسقفاً على حلب في ١٨٣٣ على قبره لوحة رخام
رائية

ن الاول الاربعاء مساء قامت البلد على ا
البيوت وصباح الخميس الواقع في ٥ ت ١

ة العصيبة في وصف الحلبيين « اذا جاءوا قاموا
١٨).

ان الظلم كان من جانب الحكومة التي لم تسر على
جالها والثورة كانت من القوي على الضعيف وكان
يئة الآهل باغنياء المسيحيين ولا تزال دوره الفخ
ر عشر ايام كانت المعاملات مع اوروبة بين ايديهم
ومية فينصرفون الى التجارة الواسعة النطاق ويربحو
لمارل الرحبة واقتناء الحلى من الماس والجوهرات ا
رت المسيحيين ابنا وجدوها قريبة المنال اما في حار
. جا المسلم اهل الذمة فحق ان يقال فيها ما كتبه
ن ورابطة الجوار عند امة العرب في جاهليتها واسلامي
نتورع عن الاطالة في ذكر الحوادث المؤلمة التي نكر
من مندوحة الى الالمام بها بالايجاز والتاريخ مؤدب
ان من كان ضحية الثورة وجد تعزية في شكوى
ن اللازاري في تحرير ارسله الى المدير العمومي في الامـ
جع حوليات جمعية الرسالات ١٨٥٠ ، ص ٥٣٧) قال
في اليومين او الثلاثة التي سبقت الحادثة شعر المطارين
وا بالكنائس بالا احد يصير سبباً لسوء التفاهم مع الناس
ما . ثم هاجم الرعاع البيوت فكسروا الابواب ونه
هرات . وقال الاب ناجان : المسيو اقتُلُ ذبيحة
دقة) فلم يحضرها احد . وخرجت قاصداً الى حيّ الج
نني عنها احد الاصدقاء فذهبت الى الناعورة ثم الى الكنائس
في لغط ومناقشات . وهوجمت في ذلك النهار الكنائس .
النار ومنها امتدت الى البيوت المجاورة . وجاء مؤرخ
الفرنسيسكان في حلب بقلم الاب اسكندر لوشيانا ما را
. القتلى وهم يوسف كساب نوم حمصي عبدالله عجوري
وجاء في اوراق قديمة عثرنا عليها في احد بيوتات حلب
« قد توكد بتحقيق انه يتيف عن نصف بيوت نصارة حـ
اسقفية ديمتريوس مطران الروم الكاثوليكيين بما كان
سيوس مظلوم الذي كان نازلاً في الدار المرقومة واما بقي

الزقاقات ونهبوا البيوت وسبوا البعض واحرقوا كنيسة السريان الكاثوليكية وكنيسة الروم الكاثوليكية وكنيسة الروم في الشرعسوس وقلاية الروم الغير الكاثوليك وكذا بقي الحال الى المساء ويوم الجمعة لم يعودوا الى النهب والقي بعض الاشتياء في السجن وباتوا فيه نحو عشرين يوماً ويوم الثلاثاء ٢٤ من هذا

من النهب فاصحابها تكلفوا على حمايتها ما يزيد عن مائة الف غرش . . . فاذا اصحاب الخبرة والنظر بالصواب قدروا الاضرار التي حدثت للنصارى من النهب والحريق والدثار والرفيق اي المرافقة لاجتياز الازقة والبراطيل والعطل تقديراً مقارباً الى كسبة مائة الف كيس . . . [وهناك] تسع عشر ابنة قد قضت بكورتهن اغتصاباً بتلف تام وعمو خمسين امرأة قد فضح عرضهن قهراً ويقال ان بعض بنات اخذن للسبي خارج المدينة . . .

من قبيل هذه الفواحش والمخاوف والظروف كل نصارى حلب لم يزالوا تحت الرعب الشديد ولم يصادفوا وحشاً ما يمكن ان يعطيهم نوعاً من الامان والطمأنينة ولذلك شرع البعض منهم يهربون في حلب باثواب مختلفة كما ان كثيرين منهم اعتمدوا السفر الى اوربا بنقلة كاملة خلواً من رجوع الى حلب .

ان الذي صنعه جناب الحواجه دي ليسبس قنصل فرنسا او مثلهُ غيره من اصحاب المنابر القاطنين في خانات المدينة فلا بد من ان يذكر جيلاً بعد جيل لان النصارى المنهوبين قد هربوا نساء ورجالاً واولاداً الى خانات المدينة التي القناصل حتها بواسطة عدد وافر من السكمان تحت علايف سخية وقنصل فرنسا خاصةً كان يومياً يعول بمصروفه ميات عديدة من هؤلاء الساكين اكلاً وشرباً ومنامةً وسترةً وعلاجاً للمجروحين والمرضى بمصاريف نقدية يلزم الصدق ان يقال بانه ليس فقط ميات عديدة من اسلام حلب رفضوا الاشتراك مع العصاة ولئن كان رأيهم واحداً منهم على عدم اعطاء البعض منهم للخدمة العسكرية الا انهم لم يحملوا الاسلحة كالعصاة بل ايضاً البعض منهم اخذوا الى بيوتهم البعض من النصارى وحموهم من القتل كما صنعوا مع ديمتريوس مطران الروم الكاثوليكيين ومع اثناسيوس نتونجي مطران طرابلس الشام وكانوا يترجمون من فعل تلك الفواحش ويفرون باخا بلغت صيت الاسلام في كل العالم بسمة كلية الرداوة .

واخيراً ان البطريرك مكسيموس مظلوم انه لاحظ في صباح اليوم الثاني عشر من ذي الحجة الخطر المبين المدارك فخرج من الدار الاسقفية وحده الى بيت قريب من كنيسة الكاندرا ونزل الى مغارة الدار مختفياً ورا الستار تحت حصيره في قرنة المغارة طول النهار ولكن الباري تعالى حفظ حياته من القتل كما يأتي الشرح وهو انه حينما هجمت العصاة على تلك الدار فكسروا بابها ودخلوها وبدوا ينهبوها وحسب عادتهم كانوا يتزلون الى المغاير مفتشين وبلا ريب لكانوا نزلوا الى تلك المغارة ووجدوه وقتلوه بحسب كونه كبير النصارى كلهم واذ بثلاثة اشخاص اسلام غير معروفين اقبلوا حالاً ومنعوا العصاة عن تلك الدار بالعذوبة والقوة ايضاً تاركين لهم ما كانوا نهبوه من الدار ثم لما العصاة نهبوا كنيسة

الشهر حضر افندينا ظريف باشا فضرب البلد مع باشة النظام واستقام الضرب من يوم الثلاثاء الى الخميس الظهر ٢٦ منه عيد القديس ديمتريوس واخذ البلدة بالسيف وقتل بعضاً من الاشقياء. واحرقت جملة دكاكين وبيوت في محلاتهم اعني بنقوسة وقرلق وباب النيرب وركنت البلدة وصار تفتيش على الاشقياء. وفي ١٩ ت ٢ يوم الاحد دخل القبرصلي محمد باشا وصار تفتيش على كمالة الاشقياء. والاباش الماخوذة من البيوت والكنائس وبعد ١٠ الى ١٥ يوماً سركل انفار عدد ٧٠٠ .

الكاندرا واضرموا النار فيها من كل جهاتها واتصل اللهيب الى المدرسة التي بجانبها والتف عن الدار عينها وعبق الدخان الحالك فيها ونزل الى المغاره نوع ان البطريرك المذكور واهل الدار كادوا ليحترقون او يختنقون بالدخان فانشاته الاشخاص المحافظون وعدوا اهل الدار بان يخازوضم (يرافقوهم) الى المدينة فحينئذ البطريرك تغطى بازار امراة محسوكاً من امرأتين بجانبه كانه امرأة مريضه وخرجوا كافةً من بين العصاة من تحت الاسلحة مرافقين من الثلثة الاشخاص الى احد خانات المدينة . وهو دخل الى احد مخازن التجار المظلم جداً وهناك استمر مختفياً نهاراً وليلاً مدة احد عشر يوماً في تلك الظلمة خلواً من ان يعرف كان ابن كان هو الا انه لما عرف به جناب الخواجه ده ليسبس قنصل فرنسا قد زاره خفياً عدة امرار واقتنع منه انه ضروري تجهيز سعادة مصطفى زريف باشا والي حلب بامره لان سعادته كان يظنه سافر الى اسكندرونه كما كان هو اخبره اول يوم عيد الضحية وودعه نظير ما كان ودع اعيان حلب والقناصل قبلاً وكان المذكور اخبر سعادة الباشا المشار اليه باختصار وبانه يريد السفر سرًّا فحالاً سعادته ارسل اليه مع اليهودي قواصين من اخص مقتديه وعزًّا الى سعادة عبدالله بك الباشي الملتزم ان يرافقه بعشرة خياله أخر كما قد تم اذا ارسل اليه خزندار مخلف اغا وابن عم هذا عمر اغا وخمسة خياله من العرب مع ترجمان فرنساوي وهكذا في ١٣ ذي الحجة ليلاً قنصل فرنسا نفسه اخذ البطريرك المذكور من المخزن ويرافقه جماعته ورمضان اغا اخذوا الى الكتاب خارج المدينة وهناك بابواب مجهولة سلموا الى القواصين والسبعة الاخرين والترجمان فسافر وحده مع هولاء العشرة خياله من حلب الى انطاكية ومنها الى اسكندرونا في بحر ثلاثة ايام ناقص خمسة ساعات مع ان هذه المسافة هي سفر ستة ايام قبل سفره من حلب ببعض ايام من شدة الغم والفكر شرع يصب دماً في مجرى البول وقد ازداد عليه في الطريق جرى هذا الدم .حتى انه يمكن ان يكون مقداره في هذا السفر ما ينيف عن الف درهم باوجاع شديدة فكل انسان يقدر ان يفهم كم هو احتمل من العذاب وتلف الصحة حتى ببيان ان وصوله الى اسكندرونا في ٢٦ ذي الحجة وهو في قيد الحياة انما هو اعجوبة واضحة ومن حيث انه توجد في هذه الميناء مراكب تجاريه مسافرة الى بيروت فاعتمد هو ان يتوجه في احدها متى وصل اليه البعض من أكليروسه صح صح في ٢٣ تشرين الاول »

١٨٥١

١١ شباط : سيم كاهناً القس يولس قلاوص بليط عن يد السيد باسيليوس عيواظ وفي ثاني جمعة من الصوم الكبير صيروا قراراً في كنيسة الروم فيما يخص الالباش المأخوذة في النهبية وبقي جمعة ١٠ او١٢ الفرش باره

وايضاً بهذه السنة توفي المطران يولس اروتين الماروني في اليوم الرابع عشر من شهر نيسان نهار السبت ودفن في كنيسة مار الياس باحتفال كلي .

١ تموز : صار مجمع عند السيد البطريرك في بزمار وراخ من قبل سيادته والكهنة القس يوسف كيال وبقي اربعة اشهر صحبة المطران يوسف مطر الذي حضر معه وارتسم في هذه السنة على طائفة الموارنة

١٤ تشرين الاول شرقي : توفي المثلث الرحمات السيد البطريرك بطرس جروه السرياني ودفن في كنيسته بعد احتمال مشقات السنة الماضية .

١٨٥٢

في ٢١ تشرين الثاني : عيد دخول العذراء للهيكل صدر منشور من سيادة راعينا باسيليوس عيواظ مطران حلب بان نتبع الحساب الغربي بموجب المجمع الذي صار في العام الماضي ١٨٥١ بامر البطريرك غريغوريوس الارمني ومسكوا الحساب من ذاك النهار في ٣ كانون الاول مع الغربيين .

١٨٥٣

٣ ايار : توفي القس انطون فرا ودفن في الكنيسة . وفي هذه السنة حضر المطران انطون ماردينى السرياني الى حلب واقام فيها اشهراً ثم دعي الى لبنان فسافر في ٥ تشرين الثاني صحبة المطران ديمتريوس انطاكي للروم الكاثوليك المدعو من بطريركه السيد مكسيموس مظلوم وانتخب من ثم المطران انطون ماردينى بطريركاً على السريان الكاثوليك وتوجه الى رومة ليقبل البركة والباليوم من الحبر الاعظم .

واليك لائحة اسماء بعض الاسر المنكوبة في الحادثة نرويها لما فيها من الفوائد على المعن التي كان يتعاطاها اصحابها في زمانهم ومثلها نادر جداً في آثارنا التاريخية .

ومنها يمكن تقدير عدد اصحاب المعن في سائر الطوائف . وحالتهم اجمالاً لم تكد في اليوم تتغير في الاحياء القديمة عما كانت منذ مئة سنة واليك شاهداً عنها في الصور التالية :

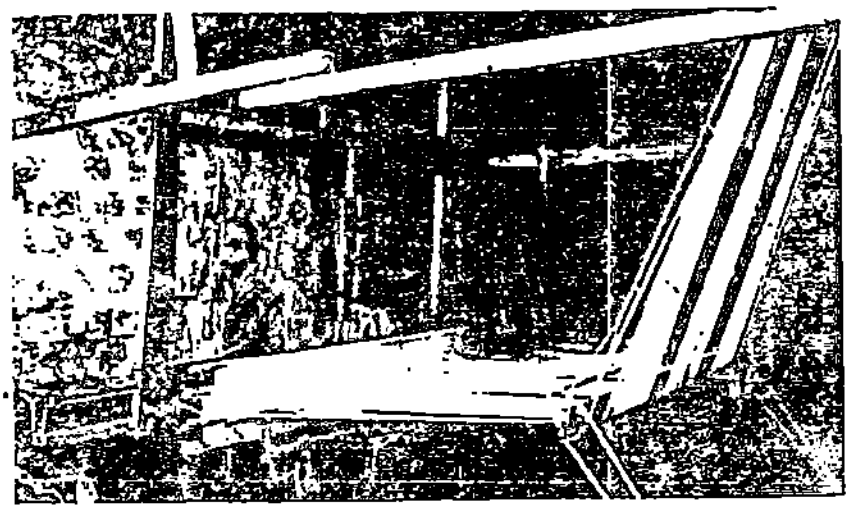

(١) النوال او الحائك

(٢) النحاس او الجانبي

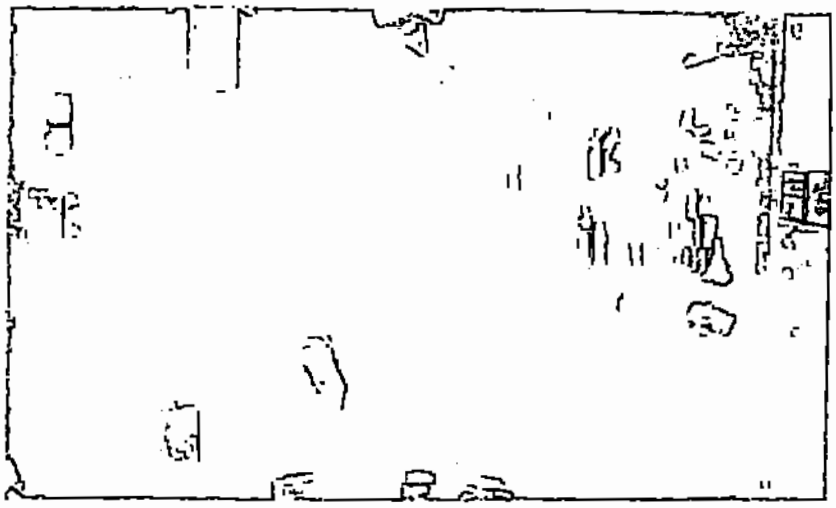

(٣) التنكجي او السنكري

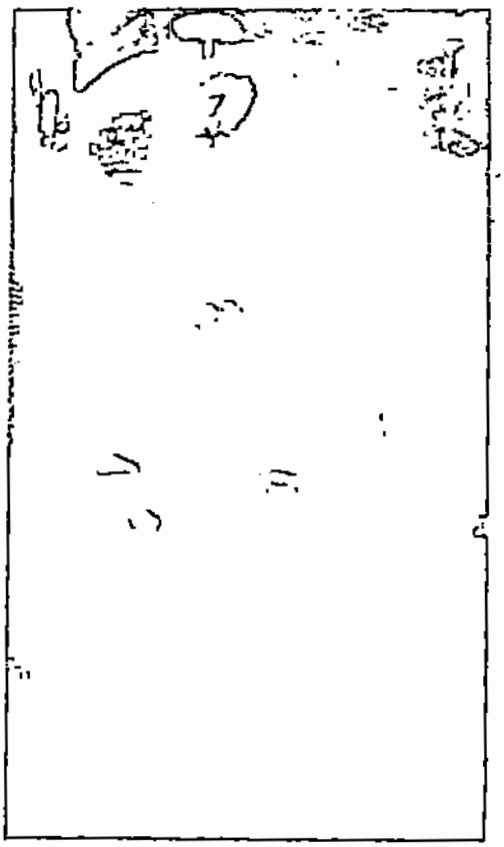

(٤) الحضري

(٥) الحراط

(٦) الكاف

(٧) العشي

علم عدد العيال المنهوبين من طائفة الموارنة

(من افادة المطران بولس اروتين رقم ٦١٨)

عدد	دار ايتام بولس قره‌الي	
٣	عدد فتح‌الله سيان واخوه	جوقه جو وقصجي وعلم
١	ايتام بولس قره‌الي	صانع قصجي
١	دار ايتام خليل قره‌الي	ايتام
١	ايتام انطون غالي	دكانجي فاتوره
١	بنات انطون عبدالاحد	خياطات
١	ارملة الياس شيطيني	كبابه وخياطه
١	حنا قواس	معلم نوله
١	الياس نوح مقتول	كاتب تجار
١	جبرا قواس	صانع
١	يوسف اسود	جوقه جو
١	يوسف اخرس	معلم انوال ودكانجي
١	جبرا دياب واولاده	صناع
١	مدول يونجي	خياطه
١	الياس سرور	دلال تجار

١	فتح‌الله فرنجيه	دكاني
١	الياس صولا	يتيم
١	الياس مصفي	طباخ
١	انطون عصفور	صانع
١	ارملة يوسف هرون وبناتها	خياطات
١	فرنسيس كنيدز	وقه جو (؟)
١	انطون اخوه	معلم نوال
١	جبرا شامي	تاجر
١	انطون دوناطو	معلم صواني (؟)
١	بنات خائيل مصفي	كبابات
١	بيت كلداني مقتول القسيس	قسوس
١	نعوم غالي	حوقه جو (؟)
١	ارملة خائيل صولا	ايتام
١	فتح‌الله اسود واولاده	كاتب كمرك ومعلم انوال
١	اولاد يوسف هارون	دلال
١	الياس ارسان	معلم انوال
١	نعوم مشحور	كاتب تجار
١	انطون صولا	تاجر اوروبا
١	شكري ارسان	جوقه جو (؟)
١	فتح‌الله شامي	تاجر
١	بنات يوسف جنو	طراظات
١	يوسف منش واولاده	قسيس
١	فتح‌الله كوبا	تجار اوروبا
١	فتح‌الله دياب	تجار اوروبا
١	فتح‌الله خياط	معلم انوال
١	انطون جد	طبيب
١	شكرالله عبد الاحد	معلم وقصبجي
١	يوسف هرون	كاتب
١	نعوم اسود	جوقه جو (؟)
	٤٥	
١	نعوم دوناطو واخوته	معلمين انوال
١	شكري كنيدو	جوقة جو (؟)
١	انطون عزوز	جوقة جو (؟)
١	انطون شامي	كاتب

١ قس يوسف عبديني	قسيس
١ جرجي برغود	كاتب كمرك
١ فتح‌الله صولا	دلال
١ انطون راجي واخوه قسيس	مزرعي
١ انطون طباخ واخوته	دكانجية فانوره
١ الياس مكاوي	مختار محلة التومايات
١ مخائيل صولا	ترجمان دولة انكلتره
١ انطون بطق	تاجر
١ نعوم جد	تاجر
١ انطون مغربيه وابنه	دكانجي
١ قس بطرس ايود واخوه	عطار
١ عدول شراباطي	خياطه
١ انطون اندريا	تاجر
١ نعوم حكيم	تاجر
١ انطون اسود	معلم بصمه
١ فرنسيس سرور	خادم كنيسة
١ بطرس سرور	دلال
١ يوسف ايوب	معلم تاجر
١ نعوم جد واخوانه	تاجر
١ بنات شكري جنو	ايتام
١ ارملة انطون دياب وابنتها	طرازه
١ شكري مقل	صائغ
١ حنا قطش	حمال
١ ارملة حنا حصرم	كبابه
١ الياس نقاية	حجار
١ فتح‌الله مصفي	دكنجي تتون
١ الياس عبد الاحد	قصيجي
١ انطون مورا	صايغ
١ اولاد انطون نقاية	حجار
١ الياس توما واخوه	دلال وصايغ تقليك
١ جبرا سعد	صايغ
١ يوسف نعيمة خياط	يتيم
١ ارملة انطون زامل	كبابه
١ اولاد يوسف شامي	صناع

١	جرجي ازرق	صانع
١	نعوم الياس نوما	تنكجي
١	بطرس شراباتي	بستاني
١	انطون جالينوس	تنجي
١	سوسان اسكندر	كبابة حرير على كيسها
١	جرجي جوان	مقسب
١	سيدة حانان	كبابة
١	فتح الله دوناطو	صايغ
١	نعوم مارون	دلال
١	جرجي عبدني	ناجر
٦٥		
١	انطون حصرم	معلم وتاجر
١	يوسف صقال	صانع
١	ميخائيل حجار	معلم
١	الياس شامي	جوقة جو (؟)
١	يوسف جالينوس	مقسب
١	سليمان بستاني	حمامي
١	ميخائيل كيلون	صانع
١	غرا ارملة ميخائيل غضبان	ارمله
١	مريم ارملة كلداني	ارمله

علم الدكاكين المنهوبة الى ابناء طايفة الموارنة

١	يوسف انطون حكيم	عطار وشربتجي (او صيدلاني)
١	كرخانة قصب الى يوسف وانطون خاطي	
١	كرخانة قصب الى جرجا سمبان	
١	دكان الياس هارون	حارس الصليبه
١	دكان نعوم توتل	عطار وشربتجي (او صيدلاني)

وقدرت الاضرار التي حدثت للنصارى بما يقارب قيمته « ماية الف كيس » والكيس خمس مئة غرش ذهب . ومما رواه كامل النزي ٣ ، ص ٢٧٦ دليل على ان ذلك المبلغ لم يكن ضرباً من الضروب المبالغة قال : « وان النهب لم يزل يجري احكامه الى اليوم الثاني عشر من شهر ذي الحجة وكان البدوي قد ينهب الشيء من اثاث المنزل وهو لا يعرف ماذا يراد استعماله وصادف ان بدوياً نهب ساعة دقاقة ظنها صندوقاً فيه نقود وبينما هو ساثر بها اذ دقت الساعة فارتاع منها وحسب ان فيها جنياً فبصق عليها وطرحها الى الارض فتحطمت ورأى بدوي في بعض البيوت كيساً فيه لؤلؤ ظنه رزاً فحمله فلما كان في اثناء الطريق ذاقه

فلم تقطعه اسنانه فحسبه خرزاً فرماه الى الارض فتبعثر وسحق تحت الاقدام ».

وكان والي حلب من قبل الباب العالي ظريف باشا ولم يحسن السياسة فيها ولم يتدارك وقوع الشر فالجأ الى النزول عند حكم الثوار ومجاراتهم على رغائبهم على ان يكفوا السلب والنهب . وفي غضونها كان قد بلغ امر الفتنة الى السلطان وتحادثت به الدوائر السياسية اخذاً عن تعليمات القناصل فتحركت العساكر الشاهانية الموجودة في انحاء حلب ودخلت المدينة وشددت احياء الثوار بالهجوم واطلقت المدافع عليها فتبدد شمل المشاغبين والجأوا الى الفرار وسكنت البلد وتشكلت لجنة لجمع المال المنهوب ورده الى اصحابه وتقدير الخسارات وما يترتب على الاهالي في تعويضها ومعاقبة المجرمين ودخلت الحادثة في طور لعب فيه الاتراك دورهم باللباقة التي عهدت فيهم في مثل هذه الازمات بين المماطلات والتسويفات والعهود الكاذبة .

وفي كانون الثاني سنة ١٨٥٣ اجتمع نوري باشا الوالي مع رئيس لجنة التعويض والقاضي وبامر المشير محمد باشا دعا اليه المطارين وبعض اعيان المسيحيين وحاول اقناعهم بقبول ٢٫٥٠٠ كيس ليرموا بها الكنائس ويعوضوا عن الخسارات للفقراء . وكان رشيد باشا قد امر بضرب ٥٠٠٠ كيس على مسلمي حلب فطلب نوري تخفيض هذه القيمة الى نصفها وطلب مصادقة المطارين خطاً على ذلك . وكان عدد المتهمين بالنهب ١٬٨٠٠ وهؤلاء اقتسموا ٦٠٠ غيرهم وفكر محمد باشا بضرب التعويض على المسلمين اجمعين » القنصل البريطاني الى سفيره في ١٠ حزيران ١٨٥٣ » وفي ٩ تشرين الثاني دخل البلدة قبرصلي محمد باشا على رأس جيش مكون من طابورين خيالة و٢٫٥٠٠ سيارة فقويت شوكة الحكومة واصبح الامر بيدها وصار باستطاعتها طلب التعويض وتنفيذه .

الا ان الغرامة نالت لا اصحاب الثروة والاغنياء ولكن المساكين وكثيرين ممن لم يكن لهم مسؤولية في الحادثة . وخاف الارمن والموارنة والسريان من الالحاح بطلب التعويضات ، اما الروم الكاثوليك والارثوذكس فقد اصروا على المطالبة ورأى الباب العالي انقسام وتراخي المسيحيين في الامر فاخذ يتراخى من طرفه ايضاً بتحصيل التعويضات .

وفي ٢٧ شباط ١٨٥٣ كتب القنصل الانكليزي لسفيره : سمعنا ان سوف يصدر الامر بان كل ذكور الدولة العثمانية سوف يؤدون كل منهم ٣٠ غرشاً للخزينة في سبيل التعويضات اولاً ثم في غير ذلك سداً لاحتياجات الدولة ولكن كل الظواهر تدل على ان مطالب المنكوبين سوف تدخل في خبر كان » (Despatches... 1851-1854) (Jeopardized)

وقبضت الحكومة على زعام الامر ونفت من حلب نحو ٨٠٠ شخص على ما رواه الاب ناجان وغيره قال ٧٠٠ او ٦٠٠ وكان من جملة المنفيين عبدالله البابنسي محرك الفتنة وقال فيه الشيخ راغب الطباخ ٣ ص ٤٤٠ ، سطر ٧ : « ففي الطريق الى الاحتانة توفي عبدالله بك في جناق قلعة ودفن فيها والآن له هناك قبر واهل البلد يزورونه تبركاً » . وكثيرون من المنفيين ما عتموا ان عادوا الى اوطانهم بضمة اسابيع بعد خروجهم من البلدة .

١٨٥٤

٧ ايار : السيد باسيليوس عيواظ رسم كاهناً الشماس يوسف صقال.

اعتنق اهالي كسب الايمان الكاثوليكي وجاء الى حلب كاهنهم القس دير اروتين الكسبلي ومعه البعض من متقدمي القرية وقرأ علناً صورة الايمان في كنيستنا في نهاية القداس الاحتفالي بحضور كل رؤساء الطوائف الكاثوليكيين والقناصل المدعوين لهذا الاحتفال وبعد قراءة صورة الايمان قدم القس بولس بليط والقى خطبة نفيسة في الكنيسة وعلاماتها وسافر القس جبرائيل شفاوات ومعه جرجي بلايان ليقتبل رجوع باقي اهل القرية الطالبين اعتناق الايمان الكاثوليكي وكان عدد المرتدين نحو مئتين وخمسين نفراً في وقته.

وفي هذه السنة تنيح السيد يوسف فرا مطران ماردين بحلب وطه وكان قد تنازل عن ابرشيته ودفن في كنيستنا في القبر الذي امام هيكل قلب يسوع علامته حجر احمر ببرواز اسود في وسط الكنيسة.

١٨٥٥

١٥ تموز : انتخب جبرائيل خوكاز متقدماً ويوسف صباغ كاتباً (اخذ الاباء الفرنسيسكان يهتمون بعمار كنيستهم في الشيباني - عن سجلاتهم).

١٨٥٦

١٤ ايار : ستانيسلاوس كونته بنتيفوليو قنصل فرنسة حضر القداس الكبير في كنيستنا والقى الاب بولس بليط خطاباً.

ارمن براجيك[1]

كانون الاول : ارسل بعض ارمن براجيك تحريراً الى سيدنا المطران ممضياً ومختوماً من خمسة وعشرين شخصاً يطلبون فيه كاهناً يسافر اليهم ليتعلموا عليه ويعتنقوا الايمان الكاثوليكي ويقتبلوا الاسرار المقدسة فارسل اليهم سيادته القس بيدروس الانقورلي كاهن كاس وكان صدقةً في حلب وغايته دير بزمار بامر غبطة البطريرك فتوجه هذا الكاهن الى براجيك وقد اخذ

(١) راجع المشرق ، ٩ ص ٤٦٢

اللوازم من اواني المذبحة الالهية وتوزيع الاسرار وكثيرون من اهالي براجيك مستعدون لاعتناق الايمان الكاثوليكي.

١٨٥٧

في شهر اذار : اتى حلب من عينتاب القس اروتين لاجل جمع الحسنات لعمار كنيسة وفتح مدرسة في براجيك للمرتدين حديثاً وجمع نحو ١٠ الاف غرش من ابناء الطائفة وغيرهم وسافر الى براجيك.

ارمن كسب

وفي اذار : جاء من ضيعة كسب القس باسيل آدم لاجل المرافعة مع جوزف ميناس الاراتيكي الذي كان سبب الاضطهاد للكاثوليكيين المحدثين وبحسب طلب قنصل فرنسة جاؤوا ميناس الى حلب عنفاً ثم انهزم وبقي القس باسيل منتظراً انجاز القضية.

في شهر آب : رياضة الاخلاء لطائفتنا وغيرها في كنيستنا بهمة مرشدها الاب بولس بليط وطائفتنا اول من مارسها للعلمانيين وغير طوائف تبعتنا في ممارسة مثلها.

في شهر ايلول : توجه الاب نيرسيس الماردينى تلميذ مدرسة بندقية بامر السيد البطريرك الى ماردين

وفي اواخر هذه السنة اصطلحت احوال الكاثوليك المرتدين حديثاً في ضيعة كسب بفضل عناية السيد البطريرك وتدخل قنصل فرنسة الجنرال في بيروت دي ليسبس لدى الولاة لتأمين الحرية الدينيّة للكاثوليك.

المجلد الثالث[1]

١٨٥٨

في ٩ كانون الثاني : صار انتخاب بارشاد الاب بولس بليط . انتخب متقدماً الشماس حنا كازي الانجيلي وكاتباً نعوم جينه.

١) قلنا في المقدمة اننا لم نعثر على المجلد الثالث لكننا استعضنا عنه بما استطعنا تحصيله من الاخبار التالية اخذًا عن التعليقات في ذيل المجلد الثاني وهي موقعة باسم نيقولاكي

١٨٥٩ .

١٠ تشرين الاول : تأسس معهد تراسنتا الثاني.

في شهر ايار : حدث ارتداد المطران انكيفوس الارمني لكنه لم يثبت في الكثلكة وسبب شكوكاً عظيمة.

١٨٦٠:

في ١٨ كانون الثاني : توفي السيد باسيليوس عيواظ وفي اليوم التالي دفن باحتفال عظيم بحضور جميع المطارنة والقناصل دفن في الكنيسة وراء هيكل قلب يسوع في القبر الذي وضعت فيه رفات المطران ابرهام كوبلي واقيم القس يوسف كيال نائباً بطريركياً وبعد بضعة اشهر اجتمع الكهنة مع ارخندوس الطائفة لانتخاب مطران جديد وسلم العوام امر الانتخاب الى الكهنة على ان يقر رأيهم على رجل واحد ورضي البطريرك بذلك وعندئذٍ دعي الاب يوسف عبديني الكاهن الماروني ليكون كاتباً للانتخاب ومارس الكهنة رياضة اختلاء وجرى الانتخاب بالاقتراع السري ونال اكثرية الاصوات الاب مخائيل اسطنبلي ، اما هذا فقد استعفى من قبول الاسقفية وقبل غبطة بطريركينا غريغوريوس استعفاءه وامر باعادة الانتخاب فنال اكثرية الاصوات فيه الاب مخائيل بليط فثبت غبطته هذا الانتخاب وفي ٢٣ كانون الاول سنة ١٨٦٠ سافر الى بزمار الاب مخائيل بليط برفقة الاب بولس بليط وارتسم الاب مخائيل اسقفاً بعد وصوله ودعي غريغوريوس في ٣ شباط ١٨٦١ وفي ٦ اذار رسم البطريرك الاب بولس بليط ورتبيتاً ورجع الاسقف والورتبيد الجديدان الى حلب يوم عيد الشعانين في ٢٤ اذار ١٧٦١ . (عن نيقولا كي بليط).

(له صلة)

جبرائيل بليط قال : قصدت ان اشرح جملة ما يجري من الحوادث الطائفية وغيرها ليكون هذا الدفتر والذي قبله كمؤونة يساعدني على ضبط تاريخ لابرشية ارمن كاثوليك حلب رغبة حضرة عمي الورتبيت المحترم والفريد النجرة ».

وهذه الحاشية مؤرخة في ١٢ نيسان ١٨٨٦ لكنها تتناول الوقائع التي سبقتها.